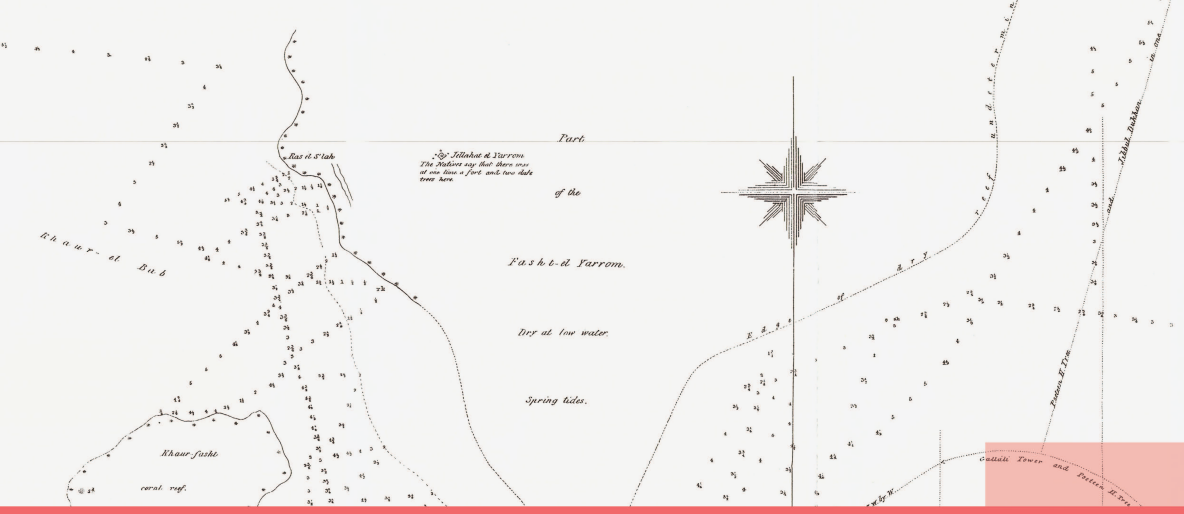


# البحر هو التاريخ

## وثائق المسح البحري والبري للبحرين

سلسلة وثائق البحرين في الأرشيف البريطاني
1820 - 1971م

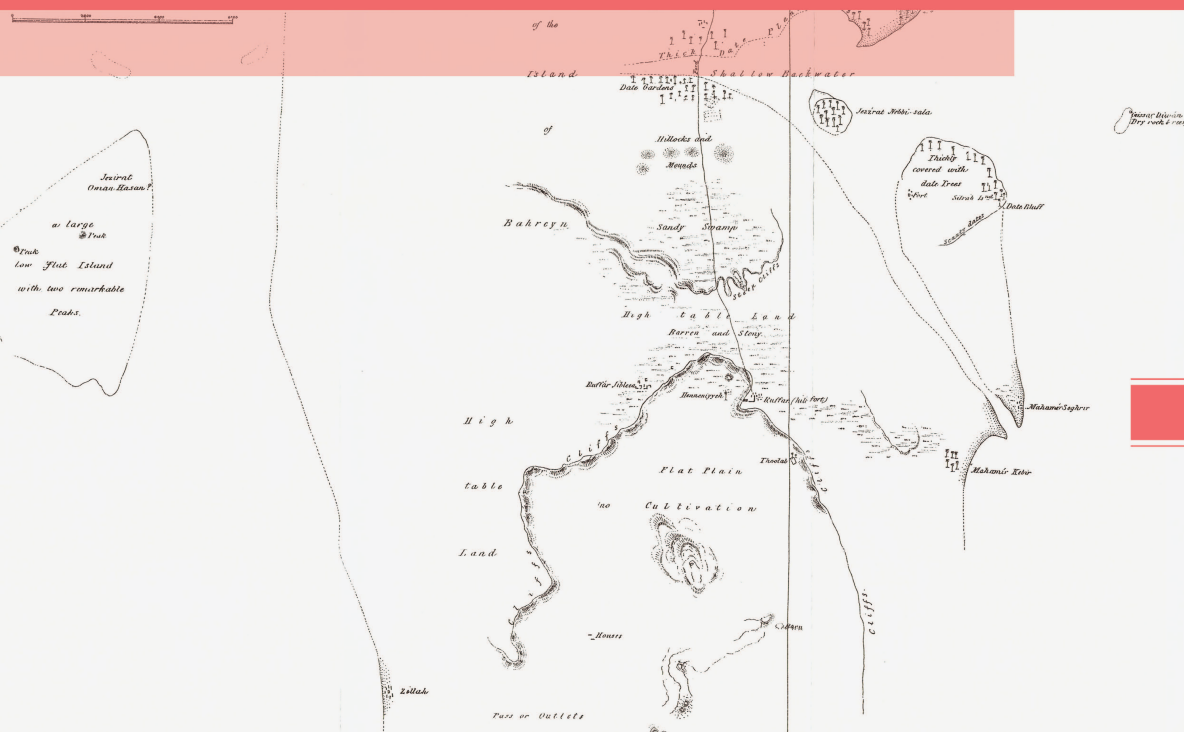

# البحر هو التاريخ

وثائق المسح البحري والبري للبحرين

مركز أوال للدراسات والتوثيق
WAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION

**اسـم الكتـاب:** البحـر هـو التاريـخ، وثائـق المسـح البحـري والـبري للبحريـن.
الكتـاب الأول مـن سلسـلة وثائـق البحريـن في الأرشـيف البريطـاني.

**لوحـة الغـلاف:** خريطـة مـن الأرشـيف البريطـاني تظهـر مسـحًا أجـراه المـلازم (آر. دبليـو. ويـش) لميناء البحريـن وخـور الـكاب بـين العامـين 1859 و1860م.

**الطبعة الثانية:** بيروت، 2022.

© لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال.

www.awalcentre.com | info@awalcentre.com
ISBN 978 - 9953 - 0 - 5127 - 7

# البحر هو التاريخ

## وثائق المسح البحري والبري للبحرين

[سلسلة وثائق البحرين في الأرشيف البريطاني، تصدر عن مركز أوال للدراسات والتوثيق، تُعنى بنشر وثائق البحرين في الأرشيف البريطاني (1820 - 1971م) وفق موضوعات معينة [اللؤلؤ - المسح البحري - بلدية البحرين ومرسوم البحرين الملكي - إصلاحات 1923م - ميناء المنامة...].

# الفهرس


**المقدمة** **9**

**المسح البحري للساحل العربي 1821 – 1828م** **21**
- مذكرة وصفية حول الملاحة في الخليج الفارسي 23
- ملاحظات تمهيدية 25
- ملاحظات موجزة تتعلق بسكان الشواطئ والجزر 28
- مخطط مثلثي يمثل جزيرة البحرين وميناءها 39

**مساحو الأراضي والمسافرون 1832 – 1837م** **43**
- سجل يوميات الملازم (دبليو. إتش. وايبورد) 45
- أسفار إلى مدينة الخلفاء 55

**المسح الثاني لمنطقة الخليج 1857 – 1860م** **71**
- تقرير حول البحرين 73
- دليل الخليج الفارسي يتضمن خليج عمان عام 1864م 89

**التضاريس (الطوبوغرافيا) وعلم الآثار القديمة (أركيولوجيا)** **113**
- ملاحظات حول جزر البحرين وآثارها القديمة 115
- جزر البحرين 157
- ملاحظات على تقرير (ديوراند) حول جزر البحرين 172

**كشاف عام** **205**

# المقدّمة

«تجارتنا وسلامتكم كانا مهددين، واستوجبا تأمين الحماية لهما. كما أن رعايا ملك إنجلترا يسكنون في الموانئ الموجودة على هذا الساحل، وهم يمارسون تجاراتهم فيها. إمبراطورية الهند العظيمة، التي يتوجب علينا الدفاع عنها، قريبة من حدودكم إلى حدٍّ كبير. لقد فتحنا هذه البحار للسفن القادمة من الدول كافةً، ومنحناها القدرة على الإبحار، رافعة أعلامها بسلام. نحن لم نستول على أراضيكم، أو نسيطر عليها. إننا لم نقض على استقلالهم، لكننا حفظناه من أجلكم»[1].

هي كلمات من خطاب ألقاه اللورد (جورج كرزون)، نائب الملك والحاكم العام في الهند، أثناء زيارته إلى منطقة الخليج، حين التقى بحكام الساحل المتصالح، وغيرهم من زعماء الدول المجاورة على متن سفينة قبالة الشارقة.

فكيف عملت بريطانيا على تأمين هذه الحماية؟ وما الوسائل التي اعتمدتها للحفاظ على أمن الشعوب، والأراضي، والتجارة، والسفن؟ ما هو الهدف الرئيس من هذه الممارسات؟ هل حقًّا إن بريطانيا عملت على حفظ استقلال الخليج، أم إنها كانت تفرض سيطرة غير مباشرة لحماية مصالحها؟

---

(1) انظر:

John Gordon Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia, Vol. I, Historical Part II, Appendix P: Cruise of his Excellency Lord Curzon, Viceroy and Governor-General of India, in the Persian Gulf, pp, 2637 - 2639.

«تجارتنا وسلامتكم» ... هي عبارة تفتح عقودًا مما يسمى بـ «العلاقات» بين الخليج وبريطانيا. لم تكن علاقات ودية بما توحيه الكلمة، إنما كانت مبنية على حماية المصالح البريطانية بشكل خاص. على مدى 151 عامًا، كانت بريطانيا القوة المهيمنة في الخليج. لم يكن ظاهر هذه السيطرة سياسيًّا، كان اقتصاديًّا بحتًا، لكن المصالح الاقتصادية لا تفترق كثيرًا عن السياسة؛ بل إنها تكاد تكون متلازمة.

اضطلعت شركة الهند الشرقية بالدور الرئيس في هذا المشهد، إذ إنها كانت إحدى أكبر الشركات التجارية التي أُسِّسَت منذ العام 1600م. إنها شركة تجارية عالمية، كان هدفها ممارسة العمليات التجارية بين أوروبا وجزر الهند الشرقية في بادئ الأمر، ولكنها انتقلت إلى مزاولة التجارة مع شبه القارة الهندية والصين. كما كانت الشؤون السياسية للجزيرة العربية بين العامين 1820م و1947م تقع ضمن نطاق سيطرة شركة الهند الشرقية، ولاحقًا الحكومة البريطانية في الهند حتى العام 1970م.

تطورت الشركة من مشروع صغير يديره عدد من التجار في لندن، إلى منظمة تجارية سياسية قوية، وذلك بعد الحرب التي دارت بين بريطانيا وفرنسا حول السيادة في الهند في منتصف العام 1740م تقريبًا. عندئذٍ ارتفعت أرباحها بشكل كبير، حتى باتت المنطقة المحيطة بالهند، إلى جانب المسارات التجارية التي توصل إليها، ذات أهمية كبرى. ومنذ ذلك الحين، صارت تتدخل في شؤون منطقة الخليج بشكل مباشر[1]. وقد فرضت وجودها السياسي بعد أن أحكمت سيطرتها على عدد من الدول هناك.

أما سلامة الطرق البحرية التي تصل بين الهند وبريطانيا، فكانت تعتمد على استقرار ساحل الجزيرة العربية وحياديته، وذلك من خلال

(1) انظر:
Louis Allday, The British in the Gulf: An Overview, Qatar Digital Library.

الحفاظ على سياسة المحميات[1] التي تحدث عنها (كرزون)[2] .

الخليج كان ممرًّا للتجارات من أوروبا إلى الهند، لكن القرصنة كانت متفشية فيه، ودائمًا ما شكّلت تهديدًا للسفن التجارية العابرة في الخليج، وأطلق البريطانيون هذه التسمية (القرصنة) على الأعمال البحرية التي كانت تعترض سفنهم في البحار، كما أطلقوا على ساحل عُمان الشمالي اسم (ساحل القرصنة).

وبهدف قمع هذه العمليات، أرسلت حكومة بومباي السير (وليام جرانت كير) بتسليح قوي في تشرين الأول/ أكتوبر 1819م. وفي كانون الثاني/ يناير من العام

---

(1) لقد تحدث اللورد كرزون عن سياسة المحميات التي انتهجتها الإمبراطورية الهندية، حين أحاطت الأراضي التي تقع تحت سيطرتها بحزام من الدول المحلية التي لا تقع تحت الحكم البريطاني المباشر، إنما تحصل على النصح من بريطانيا، وتخضع لرقابتها. وقد عقدت مع هذه الدول تحالفات ومعاهدات. انظر:

James Onley, The Arabian Frontier of the British Raj: Merchants, Rulers and the British in the Nineteenth-Century Gulf, Oxford University Press (New York, 2011), Preface.

(2) اللورد كرزون هو السياسي والرحالة جورج نثانيال كرزون، مركيز كدلستون. كان نائب ملك الهند. بدأت رحلة الأسفار العظيمة لـ (كرزون) في آب/ أغسطس 1887م عندما انطلق في رحلته حول العالم. كان الهدف الرئيس من أسفاره سياسيًّا: وقد شكلت جزءًا من مشروع واسع وشامل لدراسة المشاكل في آسيا وتأثيرها على الهند البريطانية. خلال رحلاته، كتب (كرزون) مقالات وأرسلها إلى موطنه لصحيفة (التايمز)، وغيرها من الصحف. في تشرين الثاني/ نوفمبر 1891م، عيّنه رئيس الوزراء في منصب وكيل الوزارة في دولة الهند. وفي العام 1895م، تمّ تعيينه مستشارًا في مجلس الملكة، ووكيلًا للوزارة في وزارة الخارجية. أصبح (كرزون) المتحدث الرسمي الرئيس في الخارج باسم مجلس العموم البريطاني. في 6 كانون الثاني/ يناير 1899م، تمّ الإعلان عنه بصفته نائب الملك في الهند. وعند وصوله إلى بومباي، أعلن (كرزون) أنه أتى إلى الهند «كي يحكم بالعدل والمساواة» بين الأعراق والديانات المختلفة في البلاد. أما في ما يتعلق بالشؤون الخارجية، فقد كان حازمًا، وحثّ على التأسيس للحماية البريطانية في الكويت، فنجح بذلك بمنع نمو النفوذ الفرنسي في مسقط. لم يكن مهتمًا بالسياسة الداخلية. في كانون الثاني/ يناير 1919م، وبالإضافة إلى مهامه الأخرى، طُلِبَ من (كرزون) أن يتولى مسؤولية وزارة الخارجية. انظر:

David Gilmour, 'Curzon, George Nathaniel, Marquess Curzon of ٤Kedleston (1859 - 1925)', Oxford Dictionary of National Biography, Oxford University Press, 2004; online edn, Jan 2011 [http://0-www.oxforddnb.com. serlib0.essex.ac.uk/view/article/32680, accessed 20 March 2017].

1820م، وقّع (كير) على معاهدة عامة للسلام نيابة عن الحكومة البريطانية مع زعماء قبائل الملاحة العرب في الخليج[1].

ما كانت بريطانيا لتتمكن من ممارسة أي سلطة في الخليج لو أنها لم تعرف أدق التفاصيل عن تلك المنطقة، فالمعرفة هي السلاح الأقوى الذي يشكل حجر الأساس في السعي إلى فرض السيطرة. فكان لزامًا عليها أن تعرف البر، والبحر، والأعراف، والعادات، والطباع، والدين، والسياسة فيها. لذلك، شرعت في إرسال الرحالة، والمساحين، والمنقبين، والمكتشفين لإجراء عمليات المسح المختلفة للساحل العربي.

وجاءت نتائج هذه المسوحات في تقارير مطولة كتبها مجموعة من الموظفين البريطانيين، وكانت تحت مسميات مختلفة، من مسوحات، وأسفار، ورحلات، واكتشافات، هدفها كشف أسرار هذه المنطقة.

حُفظت هذه التقارير على شكل وثائق في المكتبة البريطانية، وهي تغطي المسوحات التي أُجريت من العام 1820م حتى العام 1879م، مجموعة في هذا الكتاب.

التقرير الأول جاء تحت عنوان (المسح البحري للساحل العربي ما بين العامين 1821 و1828م)، وقد بدأ بمذكرة وصفية حول الملاحة في الخليج، مع ملاحظات وجيزة عن الأعراف، والتقاليد، والدين، والتجارة، والموارد السكانية، في شواطئه وجزره.

أعدّ هذه المذكرة النقيب (جورج بارنز بروكس) من سلاح البحرية الهندية. لقد كان (بروكس) أول رجل إنجليزي يُجري مسحًا لسواحل الخليج في العام 1820م،

(1) انظر: علي عبد الله فارس، شركة الهند البريطانية ودورها في تاريخ الخليج العربي (1600 - 1858م)، (رأس الخيمة، 1997م)؛

Mathew, H. and Harrison B. (2004), From the Earliest Times to the Year 2000. [S.I.]: Oxford University Press, V. 23, PP. 347; Al-Qasimi, The Myth of Arab Piracy in the Gulf, second edition, (New York, 1988), S.M. PP. 348.

وهو شخصية مهمة في تاريخ البحرية الهندية. بدأ حياته البحرية في عمر الحادية عشرة، وأمضى ستة عشر عامًا في خدمة البحرية التابعة لبومباي.

في العام 1820م، أُوكلت إليه مهمة مساعدة النقيب غاي (Guy) على متن السفينة (سايك) الخاصة بشركة الهند الشرقية، وهي إحدى السفن الثلاث التي شاركت في حملة المسح في مياه الخليج.

إن الأهداف التي دفعت حكومة بومباي لإجراء هذا المسح متعددة، منها قمع القرصنة، وتوسعة العمليات التجارية، والحفاظ على وضع زعماء تلك السواحل، ووقف التدخلات الأجنبية في تلك المنطقة، ومنع تجارة الرقيق. وبعد تقاعد النقيب (غاي) في منتصف تلك الحملة، تولى (بروكس) القيادة مكانه[1].

ذكر (بروكس) في مذكرته أنه حصل على معلوماته من خلال عدد من الأسئلة التي طرحها على زعماء الخليج؛ وكانت أسئلة متعلقة بالقبائل، ومواقعهم، وعائداتهم، وتجارتهم، وغيرها من الأمور. كما طرح هذه الأسئلة على عدد من الأشخاص في فترات مختلفة، لكنه رأى أن الإجابات التي حصل عليها لا يمكن اعتبارها صحيحة بالكامل، إنما هي «أقرب إلى الحقيقة» حسب تعبيره.

بدايةً، شرع (بروكس) بتقريره عبر كتابة ملاحظات تمهيدية قصيرة، ذكر فيها المنهج الذي اعتمده في عملية المسح. ثم انتقل إلى كتابة ملاحظاته الموجزة عن السكان الذين يعيشون في جزر الخليج وشواطئه، وقد استهلها بتقديم عرض تاريخي سريع لجزيرة البحرين، والقوى التي تعاقبت عليها، ابتداءً بالبرتغاليين، مرورًا بالفُرس، ووصولًا إلى آل خليفة.

---

(1) انظر:
Dr. Mark Hobbs, George Barnes Brucks and the First English Survey of the Gulf, Qatar Digital Library.

بعد ذلك، قدّم وصفًا لجزيرة البحرين من ناحية المساحة، وعدد السكان، والقبائل، والمهن. كما تحدث بشكل موجز عن صيد اللؤلؤ، وعدد المراكب المشاركة في هذه الصناعة، ووصف المدن الرئيسة في الجزيرة.

ذكر (بروكس) أن البحرين يمكن أن تكون قيِّمةً جدًّا إذا ما كانت حكومتها فاعلة. وقد اعتبر أن تجارة المنطقة العربية بأكملها يمكن أن تتمركز في هذه الجزيرة، كما يمكن أن تُصبح مركزًا لإنتاج القمح والشعير إذا ما تمّ استثمارها بشكل صحيح.

لقد وصف المياه الضحلة التي تحيط بميناء البحرين، وتحدث بشكل مختصر عن مختلف الفشوت، أو الأحياد التي تحيط بالجزيرة. ثم قدَّم شرحًا مفصّلًا للاتجاهات العامة لدخول ميناء البحرين الشمالي الغربي.

على الرغم من أن الخرائط التي وضعها (بروكس) قد استُبدلت سريعًا بخرائط أكثر دقة، إلا أن كتاباته قدَّمت لمحة تاريخية مهمة حول هذه المنطقة.

ولا بدّ أن نذكر هنا أن بعض المعلومات التاريخية التي ذكرها تخللتها بعض الأخطاء. ومثال على ذلك أنه قال إن العتوب يرجعون إلى قوم النصور، كما أخطأ في عرضه للعلاقات التي جمعت العتوب بالفرس. وقد تمّت الإشارة إلى هذه الأخطاء، مع تصويب لها في الهوامش.

أما التقرير الثاني، فهو مقتطف من سرد ليوميات الملازم (وليام هنري وايبورد). كان (وايبورد) ضابطًا في البحرية الهندية، وطلب من الحكومة أن تعفيه من مهامه في البحرية بشكل مؤقت بهدف استكشاف نجد في العام 1831م. وفي الطلب الذي قدّمه إلى الحكومة، ذكر (وايبورد) أنه يأسف لأن حكومته لا تمتلك المعلومات الكافية عن تلك المنطقة في وقت كانت فيه الاستكشافات الجغرافية قد بلغت ذروتها في أوروبا. وبرَّر مطلبه قائلًا: «إنه من المفيد دائمًا أن نستعلم عن الشعب الذي يمتلك عادات مضطربة، ويُقدِم على أفعال جريئة قد تُشكِّل عائقًا في المستقبل في طريق إحدى المراسلات الدورية بين إنجلترا والهند عبر البحر

الأحمر، وقد يرون أنها تمثل شيئًا من الأهمية بالنسبة إليهم. كما أنه من الضروري جدًّا أن نجمع استخبارات دقيقة عن أولئك المتعصبين [أي الوهابيين] الذين يجمعون القوة والسلطة من جديد، وذلك كله بهدف ضمان أمننا في علاقتنا مع الجزيرة العربية»[1].

بدأ (وايبورد) رحلته في 3 أيلول/ سبتمبر 1832م، منطلقًا من (بوشهر) نحو (البصرة)، وبعد أن فقد الأمل في إيجاد مرشدين أو رفاق يشاركونه هذا الطريق في الصحراء، غادر البصرة باتجاه (المحمرة) على متن سفينة (بغلة)، معرِّفًا عن نفسه أنه مواطن من (الشارقة). بدأ بسرد يومياته ابتداءً من 13 تشرين الأول/ أكتوبر 1832م.

ذكر في هذه اليوميات وصفًا للأشخاص الذين قابلهم، بالإضافة إلى وصفٍ موجزٍ لبعض المناطق التي مرَّ فيها، وحال الطقس أثناء تواجده في البحر، وبعض الصعوبات التي عاشها نتيجة التقلبات في المناخ.

تابع سرده ليوميات هذه الرحلة حتى وصوله إلى (العقير) عصر يوم 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 1832م.

بعد ذلك، قدّم (وايبورد) وصفًا موجزًا عن جزر (البحرين)، فذكر مساحتها، وزراعتها، وينابيعها، وأهم مدنها، وسكانها، وتجارتها، وصيد اللؤلؤ فيها.

التقرير الثالث كُتب بقلم (جايمز ريموند ولستيد) من زمالة الجمعية الملكية، وزمالة الجمعية الملكية الآسيوية. عمل (ولستيد) تحت إشراف النقيب (أورمسبي) في إجراء مسح تفصيلي لخليج العقبة، والجزء الشمالي من البحر الأحمر، ثم أُرسل لإجراء مسح للساحل الجنوبي للجزيرة العربية تحت قيادة النقيب (هينز).

---

(1) انظر:
Bahrain Through the Ages: The History, ed. Shaikh Abdullah bin Khaled Al-Khalifa and Michael Rice, int. Tariq Al Moayad, p. 534.

نشر (ولستيد) نتائج رحلته تحت عنوان (مذكرات في جزيرة سقطرى)، كما ألَّف (أسفار إلى الجزيرة العربية) في مجلدين، و (أسفار إلى مدينة الخلفاء) في مجلدين أيضًا. وفي هذا المُؤَلف الأخير، خصص (ولستيد) جزءًا لوصف مجموعة جزر (مود)، أو (Maude's group of islets)، على الرغم من عدم وجود مجموعة جزر في الخليج تحت هذا الاسم.

ذكر (ولستيد) أنه مرَّ بالجانب العربي من الخليج، متحدثًا بشيء من التفصيل عن صيد اللؤلؤ ومواسمه، وعن أعداد المراكب المشاركة في عملية الصيد، وعن أنواع اللآلئ واستخداماته. ثم انتقل للحديث عن مجموعة جزر (مود)، وذكر من بين هذه الجزر جزيرة صير بني ياس، ورأس ركن.

تمّ إرسال سفينتين في هذه الرحلة، وكانت البحرين وجهة (ولستيد) الرئيسة، فأورد في تقريره أسماء الضباط الذين كانوا على متن هاتين السفينتين، وشاركوا في عملية المسح.

قال (ولستيد) إن الهدف من هذه الرحلة هو الإبقاء على هذه الموانئ البحرية في الساحل العربي مفتوحة أمام مختلف السفن التجارية وغيرها. وركّز في حديثه على البحرين، وعلى الأهمية التي أولاها إياها الجغرافيون، والرحالة، والمستعمرون، الذين وجدوا فيها من الأهمية ما دفعهم إلى التسابق والتنافس لفرض السيطرة عليها.

وصفها (ولستيد) بأنها واحة وسط القفار الواسعة، ومما قاله في وصفه للبحرين: «إن كان على البريطانيين احتلال محطات ما في الخليج الفارسي، فلتكن (البحرين) و(خارك). وأنا أكنُّ الكثير من الاحترام للبرتغاليين بسبب المحطات التي اختاروها».

بعد المسح الذي أجراه (جورج بارنز بروكس) للخليج في العام 1820م، أجريَ مسحٌ ثانٍ ما بين العامين 1857 و1860م بقيادة الملازم (ريتشارد وليام ويش)

من البحرية الهندية. هو مسَّاح وكاتب مذكرات، أعدَّ تقريرًا حول البحرين ألقاه أمام الجمعية الملكية بتاريخ 21 تشرين الثاني/ نوفمبر 1861م. كان الهدف من رحلته مراقبة تحركات زعيمي (البحرين) و(الدمام)، للتبليغ عن أي أعمال عدائية قد يقومان بها.

يبدو أن المصالح البريطانية كانت المسيطر الرئيس على اهتمام كل من يعمل في الخليج؛ فعلى الرغم من أن مهمة (ويش) كانت مراقبة الزعماء، إلا أنه أقدم تطوعًا على معاينة أحد الفشوت في المياه للتأكد من صحة الخرائط الخاصة بـ (البحرين)، التي تعتمدها السفن في تلك المنطقة.

لقد كان يتأكد من عمق المياه التي يمكن للسفن أن تعبرها على مدار السنة. ففي (البحرين)، يتغير ارتفاع المياه المحيطة حسب نسبة مياه الأمطار، وحركة المد والجزر، كما أن المياه الضحلة فيها كثيرة.

إلى جانب المسح البري لدول الخليج وجزره، اهتم البريطانيون كثيرًا بمسح المناطق المائية، إذ إن فيها ممرًا لسفنهم، وهم كما ذكرنا في البداية هدفهم الرئيس حماية سفنهم في هذه المياه من أي أخطار قد تلحق بها سواءٌ أكانت بشرية أو طبيعية.

لقد عدَّد (ويش) بعض الأخطاء التي وردت في الخرائط السابقة للمناطق التي مرَّ بها، لكنه ذكر أيضًا أن النقص في مسح بعض المناطق أحيانًا كان نتيجة الاضطرابات الحاصلة في ذلك المحيط، الأمر الذي منع الضباط الذين كانوا مسؤولين عن المسح من إجرائه بشكل كامل.

قدّم (ويش) وصفًا لجزر (البحرين)، لكنه لم يكن شبيهًا بما قدَّمه غيره. فالتقارير الأخرى كانت مرتبطة باللؤلؤ، والسكان، والتجارة، والمعيشة، وغيرها من الموضوعات التي تناولها الرحالة والمساحون السابقون. لقد كان معظم حديثه يرتكز على وصف البحرين وتضاريسها ومساحتها، والمسافات التي تصل بين المناطق المختلفة. كما

وصف طبيعة الصخور والأحجار فيها. كان (ويش) ينتقل من منطقة إلى أخرى، فيذكر أبرز معالمها، وعيون المياه فيها، ويقدِّم لمحة عامةً عنها.

بعد المسح الذي أجراه (ويش)، أجرى (آرثر وليام ستيف) و(سي. جي. كونستبل) مسحًا آخر للبحرين بين العامين 1857 و1860م، جُمعت نتائجه ضمن ما يُسمى بـ (دليل الخليج الفارسي وخليج عُمان). نُشر هذا التقرير في العام 1864م، وهو أشبه بمعجم للبلدان، لكنه يتضمن معلومات عن المناطق الواقعة على ساحل الجزيرة العربية، الممتدة من (رأس ركن) إلى (جزيرة بوبيان).

ويحتوي التقرير على تعدادٍ لأبرز المدن والقرى، والقلاع في البحرين. أثناء قراءة هذا التقرير، يشعر القارئ أنه يتقدم مع (كونستبل) و(ستيف) في رحلتهما عبر البحرين خطوةً بخطوة.

يبدأ المسح بوصف جزيرة (البحرين) بشكل عام، من مساحتها، وسكانها، ومياهها، ثم ينتقل إلى (المنامة)، فقلعة البرتغال، وجزيرة (المحرق)، فـ (السايه)، فـ (خصيفة)، فـ (قلالي)، وغيرها من معالم (البحرين). وبين هذه المناطق، كان (كونستبل) و(ستيف) يمران على ذكر مناطق أخرى بشكل موجز. كما يذكران الاتجاهات التي يتوجب على السفن اتباعها أثناء الإبحار في المياه المحيطة بتلك الجزيرة. إنه وصفٌ يجمع بين الإيجاز والتفصيل في موضوعات مختلفة عن (البحرين).

التقرير الأخير يستأثر بالقسم الأكبر من هذا الكتاب. وهو وصف (إدوارد لو ديوراند) لجزر (البحرين). لقد شغل (ديوراند) منصب المساعد الأول للمقيم السياسي في الخليج في العام 1878م. وفي تلك الفترة، أرسله المقيم السياسي في (بوشهر)، العقيد (إي. سي. روس) ليجريَ مسحًا لـ (البحرين).

قدَّم (ديوراند) وصفًا تفصيليًّا لجزر (البحرين)، وتضمن هذا الوصف عرضًا لجغرافية الجزر ومياهها المحيطة، إضافة إلى موقعها حسب خطوط الطول

وامتدادها. كما تحدث عن تجارتي اللؤلؤ والتمور، وعن وسائل تحسين هاتين التجارتين. ثم وصف المنطقة الداخلية للجزر متحدثًا عن أبرز المعالم الجغرافية، وعيون المياه العذبة فيها. كما ذكر الأشجار والحيوانات باختلاف أنواعها.

سرد (ديوراند) أيضًا التاريخ القديم لهذه الجزر، بما فيها حكم الفينيقيين، والبابليين، والفُرس، والعرب، والبرتغاليين. ثم انتقل للحديث عن الآثار القديمة الموجودة في الجزيرة، فذكر المساجد القديمة، ووصفها وصفًا دقيقًا، إلى جانب البئر القديم قرب بساتين النخيل في (بلاد القديم).

بقي (ديوراند) أيامًا عدة يعمل على اكتشاف مدافن تلال (عالي)، التي كان يَعتقد أنها تعود إلى أصول فينيقية (مقبرة الجرهاء الفينيقية). ويتضمن التقرير رسومات توضيحية لمعظم المعالم التي ذكرها.

ومن أبرز ما اكتشفه (ديوراند)، حجر من البازلت الأسود، في مسجد في البلاد القديم، عليه نقوش بالكتابة المسمارية، ونقش لرسم سعف نخلة. وقد ساعد اكتشاف هذا الحجر على ربط البحرين بدلمون، التي لم يكن قد تمكن أحد من تحديد موقعها الجغرافي، أو التحقق من وجودها فعلًا. فقد أقدم السير هنري رولنسون على فك نص هذه النقوش، ونصها: «هذا قصر ريموم خادم الإله إنزاك من قبيلة أغاروم». فشكلت هذه العبارة مفتاحًا لفك الغموض حول دلمون القديمة.

# المسح البحري للساحل العربي

1821 - 1828م

# مذكرة وصفيّة حول الملاحة في الخليج الفارسي

مع ملاحظات وجيزة عن الأعراف، والتقاليد، والدين، والتجارة،
والموارد السكانية الخاصة بشواطئه وجزره.

أعدّهـــا
النقيـــب جـــورج بارنـــز بروكـــس
(George Barnes Brucks)
ســـــلاح البحريـــــة الهنديـــــة

## ملاحظات تمهيدية[1]

عند وضع التقرير التالي حولَ تعليمات الملاحة في خليج فارس أمام الحكومة، من الضروري أن أذكر أنّ الجزء الأكبر من المساحة الممتدة من رأس مسندم إلى جبل علي على ساحل الجزيرة العربية، قد جرى تجميعه من مذكراتي الخاصة قبل انضمامي إلى الدراسة، ويتّضح ذلك من خلال المعلومات التي استطعت الحصول عليها، ومن الدراسات الاستقصائية نفسها.

إنّ غيابي عن الجزء الأكبر من الفترة التي تم فيها الكشف على الساحل، وعدم إبلاغ أسلافي إيّايَ بأي معلومات عن الموضوع؛ أمران جعلاني على ثقة بورود بعض الأخطاء، التي آمل أن تكون بسيطة، في حال وُجِدَت. ويجب أن أبرِّئ نفسي من عدم مراعاة الدقة في كتابة هذه المذكرة.

لقد عملت مرارًا في الجزء المتبقي من الساحل، وبالتالي يمكنني أن أشهد على دقة ما يتعلق بالملاحة.

وفيما يتعلق بالكثافة السكانية والدين والأعراف والتقاليد والتجارة والموارد، فإنّه من الصعب تصوّر أنّ شخصًا مثلي قد أمضى حياته في عرض البحر منذ أن كان في الحادية عشرة من عمره قادرٌ على كتابة ذلك، بأسلوبٍ تاريخي أو مراعيًا القواعد النحوية التي يعرفها شخص لديه الوقت الكافي لدراستها، لذا فإنّ ما قمت به هو محاولة وصف مسائلَ تتعلّق بأشخاص قمت بزيارتهم، إن من حيث وضعهم أو سلوكهم أو عددهم، علمًا أنّهم أشخاصٌ بالكاد معروفون، وسأحاول أن أوضّحَ تلك المسائل بقدر ما سمحت لي معلوماتي وقدراتي.

(1) انظر: أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية الأصلية، مركز أوال للدراسات والتوثيق (بيروت، 2019م)، مج 1، ص 153 - 154.

لقد حصلت على معلوماتي على النحو الآتي؛ طرحت على الزعماء بعض الأسئلة المتعلقة بالقبائل ومواقعهم وعائداتهم وتجارتهم وإلى ما هنالك، ودوّنتها إلى جانب إجاباتهم. وقد كررت هذه الأسئلة على عدد من الأشخاص في فترات مختلفة، ثم أخذت الأجوبة التي بدت مناسبة، ولكن من المستحيل الوثوق بالتقارير المحلية في هذا الجزء من العالم، وبالتالي، لا يمكن اعتبارها صحيحة بالكامل بل هي أقرب إلى الحقيقة.

وأعتقد أنّه من المهم ذكر صعوبة أخرى، وهي فترة تواجدي القصيرة في أماكن عدة ومواقع مختلفة، ولا سيما في الأماكن التي تطلب منّي رأب الصدع بين سكانها؛ إضافةً إلى ابتعاد الطبقات الموقّرة من السكان الأصليين عن إعطاء معلومات حول هذه المواضيع. وقد سعيت لتقديم الأشياء كلها بشكل مبسط قدر الإمكان، وحافظت على إبقاء الأسماء المحلية كما هي، وفيما يتعلّق بهذا الموضوع من الجانب الفارسي، فثمّة اسمان، أمّا الأوّل فهو الاسم المحلّي، وأمّا الثاني فهو من نسج الأوروبيين.

ومن الضروري أيضًا الإشارة إلى أنّ المقيمية في «بوشهر» تُعتبر خط الزوال الأول لدينا، وهي تقع عند خط عرض 29 درجة ما بين 00 و 15 درجة شمالًا، وخط طول 50 درجة ما بين 51 و30 درجة شرقًا. وبغض النظر عن المسح الذي تم في الموسم الأول والجزء الذي تمّ في الموسم الثاني؛ فإنّ الاختلاف في البوصلة قد ظهر على الساحل. ويمكننا أن نذكر هنا أيضًا أنّه من خلال الملاحظات التي تمت في فترات مختلفة خلال الستة عشر عامًا التي كنت فيها في البحرية، يظهر أنّ التباعد بين دول الخليج ينخفض إلى معدل الأربعة أميال ونصف الميل سنويًا بحسب ما يؤكد الملازم ماكلور (McClure)[1] وغيره.

(1) **جون ماكلور John McClure** أجرى المسح الأول للخليج الفارسي في العام 1785م. مؤلّف «قصة الملاحة بين الهند وخليج فارس في جميع المواسم...». انظر:
(HEIC, London, 1786) BL IOL:W 4199.

وقد تمت مراقبة خطوط الطول والعرض جميعها على الساحل بالاستناد إلى الأفق الاصطناعي، فظهر انكسار كبير في الخليج، إلى درجة أنّ المراقبة التي جرت بالاستناد إلى الأفق الطبيعي تختلف بين ليلةٍ وضحاها.

وأمّا قياس العمق المسبور بالقرب من الساحل، فكانت تقوم به المراكب التي ترسو دائمًا عندما يطرأ أي تغيّر، فيتم ضبطه عبر زاوية بين هدفين محددين. وتتم معالجة الأماكن الضحلة كلّها عبر سلسلة ثلاثية الشكل. وفي الأحوال كلّها التي كانت فيها الدراسة على شكل ثلاثي، باستثناء الناحيتن الجنوبية والغربية من «بوشهر»، تم العمل بحذر عن طريق اتخاذ قواعد الإرساء من أجل الحصول على الملاحظات عالية الدقة بغيةَ التحقّق من العمل.

وأرجو من الحكومة أن تتوخّى العناية القصوى خلال المسح تفاديًا للأخطاء، وأظن أنّه قد يرد بعض الأخطاء، ولكنّني على ثقة أنّها ستكون تافهة وغير مهمة بالنسبة إلى الملاحة في الخليج.

أمّا فيما يتعلق ببيان ختام هذه المذكرة، المرتبطة بارتفاع نسبة القرصنة وأسبابها وقمعها، فتلك أهم المعلومات التي تمكّنت من الحصول عليها وتُعتبر موضوعًا لرسالة أخرى بعيدًا عن البحارة من ناحية كبح القرصنة. وقد استخلصت من معرفتي الوثيقة بالشعب وبعد تجربتي الطويلة المدى؛ الوسائلَ الأقل كلفة والأكثر فعاليّة. أشعر أنّني مدين للملازم هيوتون (Houghton) من الشركة البحرية المحترمة والملازم هينز (Haines) من الشركة نفسها بالمعلومات الأكثر فائدةً التي زوّداني بها.

**توقيع** (جورج بارنز بروكس)[1]

(1) **جورج بارنز بروكس George Burnes Brucks** هو شخصية مهمة في تاريخ البحرية الهندية. وُلد في إنجلترا وأخذ أول رحلة له على سفينة في سن الحادية عشرة، ثم قضى ستة عشر عامًا في الخدمة البحرية في بومباي. وفي العام 1820، عُين مساعدًا للنقيب (غاي) على متن سفينة «سايك» التابعة لشركة الهند الشرقية، وهي إحدى السفن الثلاث المشتركة في بعثة لإجراء مسح عن مياه الخليج الساحلية. كان (جورج بارنز بروكس) أول إنجليزي يقوم بعملية مسح عن سواحل الخليج في عشرينيات القرن التاسع عشر. كتب مذكرات في البحرين بعنوان: ملاحة خليج فارس؛ خريطة خليج فارس، تمّ إعدادها بأمرٍ من شركة الهند الشرقية، وأعدّها (جورج بارنز بروكس)، قائد في [ولاية] ماين، شمالي كارولينا، 1830 بمقياس واحد إنش لكلّ 14 ميل بحري.

## ملاحظات موجزة تتعلّق بالسكان الذين يعيشون على الشواطئ والجزر[1]

كانت جزيرة البحرين أو أوال، والجزر المجاورة، تُعرف عندَ القدماء باسم تايلوس، وقد تحدث عنها أريان (Arrian). ولا نمتلك أي تقرير وافٍ يتطرّق إلى هذه المنطقة ويعود إلى تلك الفترة. بقي الأمر على هذه الحال إلى أن احتلها البرتغاليون الذين أنشؤوا مستعمرة هنا في أوال وفي القطيف، واحتكروا نسبة كبيرة من صيد اللؤلؤ وتجارته في الخليج، وذلك بعد فترة وجيزة من استيلاء البوكيرك على «هُرمز». لكنّ الفرس طردوهم بعد سقوطها، وتعرضوا بدورهم للطرد على يد هود بن جامين (Houd bin Jamain)، شيخ قوم ألاسار (Alassar)[2]، الذين احتلوا الجزيرة سنواتٍ عدة. وبعد هذه الجماعة، عاد

(1) انظر: أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية الأصلية، مركز أوال للدراسات والتوثيق (بيروت، 2019)، مج 1، ص 155 - 161.

(2) لعل الكاتب يقصد هنا «آل نصور»، حيث تشير بعض الكتابات إلى أن جزءًا من قبيلة الجبور، وبعد هزيمتهم على يد البرتغاليين وتفرقهم في شرق وجنوب الجزيرة العربية وجزء من جنوب وغرب العراق، هاجروا إلى الساحل الشرقي للخليج وأسسوا مستوطنة باسم «الجعيمة» تيمنًا بآخر موقع لهم قرب القطيف حمل هذا الاسم أيضًا هناك في البر على الساحل الشرقي للخليج، وهناك مسجد سيذكره كاتب التقرير الإنجليزي هذا بأنه يُنسب لهم في جزر البحرين، لا يُعرف موقعه حاليًّا. ونُسب هؤلاء، النصور، إلى زعيمهم الأمير منصور بن خالد بن مهنا الجبري. وأصبحوا جزءًا من حلف تمّ بين عدد من القبائل أو الأُسر العربية التي انتقلت من ساحل الخليج الغربي، إلى ساحله الشرقي، وأطلق عليهم اسم حلف «الحولة»، أي العرب الذين تحولوا من ساحل الخليج العربي إلى ساحله الشرقي. وبمرور السنين، تغير الاسم تدريجيًا، بعد اختلاطهم بالفرس، فعُرفوا هناك بآل نصوري أو قوم النصور. ومن أشهر حكامهم العرب الشيخ جبارة بن ياسر بن خالد بن مهنا الجبري. وقد اشتهر، عندما حكم جزر البحرين، بالشيخ جبارة الهولي خطأً. واستولى على البحرين عام 1718، وذلك بعدَ أن استغل انشغال الحكومة الصفوية بغزو الأفغان لفارس، فاحتلها وطرد منها الحكام العرب السابقين من آل حرم، ثم تحالف مع الشيخ رحمة ابن مطر زعيم القواسم آنذاك. انظر الخالدي، جبارة بن حاتم النصوري، دراسة وتحقيق محمد محمود خليل، إمارة النصور الخالدية: دراسة وثائقية (بيروت، 2013)؛ دريائي، عبد الله، أمراء عرب الهولة آل نصّور وآل حَرَم، ترجمة جابر أحمد البوخلف، دراسة وتحقيق جلال خالد الهارون (بيروت، 2012).

الفرس وسيطروا عليها عقب صراع حاد، حيث دُمّرت مدينة النصور دمارًا شاملًا. إلاّ إنّه، وبعد وصول التعزيزات، استجمع قوم النصور قواهم، وأبعدوا الفرس عن الجزيرة، وأعادوا بناء عدد من المدن على أنقاض تلك القديمة التي يمكن رؤيتها في الوقت الحالي.

وقبل سبعين أو ثمانين عامًا، أبرم جدّ الشيخ الحالي، الذي كان يتحدّر من عائلة قوية، يعود أصلها إلى النصور[1]، من قبيلة العتوب، معاهدةً سريّة مع حاكم «بوشهر» حينئذٍ، تعهّد بموجبها بدفع ضريبة إلى الحكومة الفارسية، في حال قدمت له المساعدة في السيطرة على الجزيرة. ولمّا كان يتمتّع بشعبية كبيرة، تم قبول هذا العرض، وعُيِّنَ شيخًا أو حاكمًا بمساعدة الفرس. وقد سيطر في فترة حكمه على الحكومة بشكل سلمي. وبعد وفاة الشيخ بوقت قصير، قتل حاكم «بوشهر» ابنه وخليفته، أحمد بن خليفة، وبعضًا من أتباعه، فاتجه أهل البحرين نحو التّسلح، وقطعوا الروابط مع الفرس. وحشد هؤلاء الآخرون جيشًا كبيرًا مؤلفًا من سكان «بوشهر»، و«ديلم»، و«بندر ريق»، و«گنگون»، و«لنجة» -من الجهة الفارسية- بمساعدة أشخاص جاؤوا ممّا أصبح يعرف بموانئ القراصنة، واجتاحوا الجزيرة[2].

ووقفت جماعة ألاسار مع سكان القطيف إلى جانب شعب البحرين. وتعب الطرفان من الحرب بعد أن دامت أشهرًا عدة، تخلّلها الكثير من الانتصارات، وخسائر في الأرواح من الطرفين. وبعد أن تخلّى عنهما بعض حلفائهما، أبرما اتفاقًا انسحبت بموجبه القوات الفارسية، ووافق الشيخ أحمد على تأدية ضريبة إلى الفرس، واستمر بدفعها حتى العام 1790، عندما قطعت العلاقات مع الفرس بشكل كامل، وحازوا منذ ذلك الحين استقلالهم عن فارس[3].

(1) العتوب ليس لهم علاقة بقوم النصور.

(2) معلوماتٌ بعضها يشوبها خطأ وبعضها مشوش.

(3) الوثائق البريطانية نفسها في المجلد الأول من مجموعة أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية الأصلية 1820 - 1971م تشير إلى أنّ العتوب لم تكن علاقتهم بحكام فارس كما هو مذكور هنا.

وعلى الرغم من أنّهم تلقوا تهديدات كثيرة بالتعرّض للاجتياح، إلّا إنّ أيًّا منها لم تُنَفَّذ. كما أنّهم خاضوا عددًا من الحروب مع إمام مسقط الذي اجتاح الجزيرة منذ تسع سنوات، لكنّه طُرد منها وتكبّد خسائر فادحة إلى جانب مقتل أخيه. ولمّا كانوا على علاقة جيدة مع قراصنةٍ من قبيلة القواسم -كانوا يصرفون بضائعهم المنهوبة- ضمّهم السيد (دبليو. جي. كير) إلى اتفاق العام 1819. وفي الوقت نفسه تقريبًا، أبرموا وإمام مسقط اتفاقًا، ودفعوا له ضريبة سنوية قيمتها 9,000 «دولار». ووقعت حروبٌ عدّة قرب القطيف بينهم وبين حاكم الدمام، رحمة بن جابر الذي كان ينتمي إلى العائلة نفسها. لكن بعد توسط الحكومة البريطانية، تمت تسوية الخلافات الناتجة عن هذه الحروب، إلّا إنّ تصرفات رحمة العنيفة، عكّرت صفوَ العلاقات، وأشعلت الحرب بين الطرفين، وانتهت بمقتل الشيخ رحمة.

يبلغ محيط جزيرة البحرين، أو أوال، بين 80 و90 ميلًا، خُمس مساحتها تقريبًا مرويّ بشكل جيّد، وتتميز بكثافة سكانية عالية، ويُستغلّ جزءٌ منها في الزراعة. وما تبقى من مساحة هذه الجزيرة يُقسم إلى قسمين متساويَين، أمّا الأوّل فكثير التلال وأمّا الثاني فصحراوي.

وفي الجزيرة أيضًا، عددٌ جيّدٌ من بقايا خزانات وقناطر مائية بناها البرتغاليون[1]، لكنّها سرعان ما انهارت، كما هو حال القلعة البرتغالية، التي كانت في الأصل موقعًا متينًا، يحمي الميناء البرتغالي. وتجدر الإشارة إلى أنّ الميناء البرتغالي لم يعد يُستخدم في الوقت الحالي بسبب العمل في ميناء المنامة القريب منه. أمّا الأنقاض الوحيدة المثيرة للاهتمام فهي أنقاض المسجد الذي بنته جماعة النصور.

ويتنوع عدد السكان في الجزيرة، ولكن المعلومات الأكثر ثقة، التي حصلت عليها، تفيد أنّ عدد سكان جزيرة البحرين، وعدد سكان المحرّق، وعراد، وسماهيج يصل إلى 60,000 رجل ينقسمون بين القبائل الآتية: آل بوكوارة، وآل

(1) تعود تلك القناطر والمجاري المائية إلى ما قبل غزو البرتغاليين الجزر في العام 1521م.

زايد، والسلطة، وآل مهندي[1]، ومتسلمة، وقيصر، وقناعات [أو جناعات][2]، وغيرها من القبائل المختلطة. وتضمّ هذه القبائل مجتمعةً ما يقارب 18 أو 20 ألف رجل قادرين على حمل السلاح، أمّا ما تبقى من السكان، الذين يبلغ عددهم نحو 40 أو 45 ألفًا فهم من البحرينيين المنقسمين بين عرب وفرس، ومعظمهم من المزارعين، والتجار، والصيادين، الذين أخذوا من الفرس الخمول والاحتيال أكثرَ من أخذهم الصراحة والجرأة التي يشتهر بها العرب. ويحتقر العرب هؤلاء الأشخاص.

ويقع تحت عهدة الشيخ، أيضًا، نحو 300 شخص من الأحرار، و800 من قبيلة بني خالد. وفي المنامة، يقطن 100 من تجار وأصحاب المحال من (البانيان). وعلى الرغم من أنّ البحرين منطقة يغلب عليها الطابع الإسلامي التابع لعمر [أي السنة]، إلّا إنّ نسبة كبيرة من البحرينيين هم من الشيعة. ويبلغ عدد الرجال الكلّي أثناء حكم الشيخ، سبعين ألفًا، علمًا أنّ الشيخ يمتلك المناطق الآنف ذكرها والواقعة على الساحل. فعمليات صيد اللؤلؤ، وحدها، تشغل نحو ثلاثين ألف رجل، وتمتلك الحكومة 2430 مركبًا لصيد اللؤلؤ[3]، يتسع كلٌّ منها لعدد يتراوح بين 8 رجالٍ و20 رجلًا. وتشغل البحرين، أيضًا، مكانًا مهمًا على الصعيد التجاري، فهي تمتلك عشرين سفينةً كبيرةً موزعةً بين سفن «البغلة»، و«البتيل»، وتتراوح

(1) **آل مهندي** قبيلة من الرعاة تقيم في قطر، وتقول بعض المصادر إنها قدمت من إيران. ومن يعتقد بهذه المصادر يرفض الحقيقة التي تفيد أن هذه القبيلة تنتمي إلى الهولة. تتفرع القبيلة إلى آل حسن، وآل إبراهيم، والمهاندة. وهم يعملون في تجارة اللؤلؤ وصيده، وتربية الماشية والجمال، وهم من السنة على مذهب الإمام المالك. انظر: لوريمر، جيه. جي.، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ص 1408.

(2) **قناعات** [الجناعات] مفردها جناعي وهي قبيلة تدعي أنها على صلة قربى مع قبيلة السهول في نجد وهم مسلمون سنيون يتبعون المذهب المالكي. وكانت الجناعات في الماضي كثيرة العدد في البحرين، ولكن معظمهم هاجر إلى الكويت (...) وقد شاعت فكرة في بعض الأوساط أن الجناعات كانوا من الصابئة، ولكن الجناعات أوضحوا هذا الالتباس بأن قالوا إن السبب وراء هذه الإشاعة هو أنهم وصابئة الشمال متشابهون من حيث نظرة وجوههم وقوة أجسامهم. انظر: لوريمر، جيه. جي.، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ص 1112.

(3) لم تملك حكومات إمارات الخليج في زمن اللؤلؤ السفن ولم تسيّرها لرحلة الغوص قط، بل هي سفينة تابعة لتجار ونواخذة اللؤلؤ بشكل خاص، وما دور الحكومات إلاّ تأمين الحماية لها في مقابل تسلم الضرائب منها.

حمولتها بين 140 و350 طنًا، ويعمل معظمها في التجارة الهندية، وبالإضافة إلى نحو مئة سفينة تتراوح حمولتها بين 20 طنًّا و100 طنٍ، وتعمل في التجارة في منطقة الخليج. وقد أُرفِقَ بهذه الرسالة تقريرٌ حول الصادرات والواردات.

ويسكن الشيخ عبد الله بن أحمد في المحرَّق التي تقع على جزيرة تحمل الاسم نفسه، وهي بلدة كبيرة، يسكنها نحو ستة آلاف شخص.

تعتبر المنامة المدينة الرئيسة في البحرين، وهي ميناء الجزيرة، حيث يسكن معظم التجار، أو يمتلكون خانًا في تلك المنطقة. ويتم تفريغ النسبة الأكبر من الواردات في هذا الميناء مقابل رسوم تساوي خمسة في المئة من كلفة البضاعة. وقد أنشِئ هذا الميناء في العام 1826م وخُصَّصَ للمنتجات الهندية، والسلع القادمة من الساحل الفارسي، والبصرة، ومسقط.

أمّا البلدة الرئيسة الأخرى في جزيرة البحرين فهي الرفاع، وتقع على تلةٍ تبعد سبعة أميال عن المنامة. وتعتبر هذه البلدة مسكنَ الشيخ خليفة، وهو ابن أخ عبد الله بن أحمد، وشريكه في الحكومة. وتتألّف الرفاع من القلعة المربعة أو غوري[1]، ويحيط بها مساكن يقطنها، بشكل رئيس، أتباع الشيخ خليفة. وفي الجزيرة أيضًا، عددٌ من البلدات والقرى الصغيرة الواقعة على طول الأجزاء المزروعة منها، لكنّ أيًّا منها لا يمتلك المواصفات الكافية التي تستأهل التوقّف عندها. أمّا عند الجهة الشرقية من الجزيرة، فثمة أنقاض بلدة قديمة كانت تدعى جو[2]، وكانت سابقًا مسكن الشيوخ الذين هجروها في العام 1800م بسبب حاجتهم إلى الحصول على ميناء محمِيّ، أمّا سكّانها، فانتقلوا إلى المحرَّق.

(1) كان يطلق على القلاع في تلك الفترة لفظ غوري، وهي لفظة هندية تصف القلاع الدائرية، وقد استُخدمَ اللفظ نفسه في الخليج للدلالة على إبريق الشاي المعدني الدائري. وفي الهند، قلعة أسير جور، وتُكتب جور كذلك الأمر، وتتميّز بصفات قلاع البحرين نفسها. وقد سُجِنَ الشيخ محمد بن خليفة وأتباعه في قلعة أسير جور بعد أن نفتهم السلطات الإنجليزية من الخليج إلى الهند، في الفترة الممتدة من كانون الثاني/ يناير من العام 1870م حتّى آذار/ مارس من العام 1871م.

(2) **جو** قرية ساحلية تقع على شاطئ جزيرة البحرين الجنوبي الشرقي.

وثمة ينابيع ماء عذبة، قريبة من البحر قبالة الجزر، فوق الشعاب البحرية تقريبًا[1]. ويصل بعض هذه الينابيع إلى عمق قامتين، أو 3، أو 4، أو 5 قامات بحسب ما سمعت. ويحصل السكان على المياه عبر تعبئة الماء بواسطة (Mussuk)[2] التي يضعونها على فوّهة جرة ثابتة فوق الينبوع.

وغالبًا ما يبدأ موسم صيد اللؤلؤ في الأول من شهر حزيران/ يونيو، ويستمر بنشاط متزايد حتى شهر تشرين الأول/ أكتوبر. وأثناء فترة الصيد، يتم جمع لؤلؤ، ما يبلغ قيمته ما بين ستة عشر وعشرين «لك» من «الدولارات»، ويتم تصديرها بالطريقة المشار إليها في تقرير العمليات التجارية الخاصة بالجزيرة. ويتسلَّم الشيخ مبلغًا صغيرًا كضريبةٍ من كلّ مركبٍ يتم تشغيله، كما أنّه يُشغِّل بعض المراكب لحسابه الخاص أثناء عملية صيد اللؤلؤ. وتتم هذه العملية بسرعة كبيرة، فيبدو المشهد في مصائد اللؤلؤ مثيرًا للاهتمام، حيث ترى آلاف المراكب في الوقت نفسه، بعضها في البحر، وبعضها الآخر عند المرسى، لكنّها كلّها تعمل بلا كدّ.

ويُقسم سكان الجزيرة إلى قسمين، أمّا القسم الأوّل فيُسمّون العرب، ولا يعملون في التجارة، كما أنّهم على صلة بالشيخ وحكومته. وأمّا القسم الثاني، فيتألف من أولئك الذين يعملون في مجال التجارة، وهم حتى الآن الأكثر ثراءً، غير أنّهم الأقل رضًى. وقد كان واضحًا شعور الفئة الأخيرة بالارتياب وخيبة الأمل حينَ نفى الإنجليز الذين كانوا يجرون مسحًا للسكان في الجزيرة، أي احتمال

(1) تسمى في البحرين باسم «جواجب»، أو الكواكب، أي جمع كوكب، وهي عبارة عن عيون عذبة منتشرة في البحر، وشعاب صخرية تمر المياه العذبة بينها وتفور كما العين الفوارة، وهي ذات مياه حلوة يرتوي منها الغواصون وصائدو الأسماك، وكذلك السكان الذين يسكنون بالقرب منها. وعادةً ما تنكشف هذه العيون في حالة الجزر أمّا في حالة المد فتغطيها مياه البحر.

(2) Mussuk وردت الكلمة على هذا الشكل في النص المتن. الطريقة التي اعتمدها سكان البحرين في جرّ مياه «الجواجب» من قاع البحر إلى البرّ ليستخدمها الناس. فلِجَرِّ المياه طرقٌ عدّة منها طريقة تسمى طريقة «الجود» أو القرب الجلدية، وهي تتم بإفراغ تلك القرب أولًا من الهواء وغلق فوهاتها، ثم الغوص بها في البحر وعند الوصول إلى قاع الينبوع تُفتح القرب وتوضع فوهاتها على رأس ذلك الينبوع حتى تمتلئ ماء، ثم تُربط من رأسها بحبلٍ آخر ويصعد الغواص بها إلى ظهر السفينة.

أن يستولوا عليها، فلقد اعتقد التجّار أنّ تدخل الإنجليز هو ما سيخلصهم، كما اعتقدوا أنّ أحدًا لن يُدركَ رغبتهم تلك.

ويشك الشيخ في أنّنا قد نتبنّى وجهة النظر تلك، فهو لا يستطيع أن يدرك لِمَ تكلّفنا عناء إجراء مسحٍ مماثلٍ وتكبّدنا كلفته ما لم نكن نمتلك هدفًا خفيًا. ويمكن أن تكون البحرين ذات قيمة كبيرة إن تولتها حكومة جيدة؛ فتجارة المنطقة العربية في الخليج بأكملها، قد تتمركز في الجزيرة التي تستطيع بمفردها أن تتطوّرَ نحوَ الأفضل، وقد تصبح مركزًا لإنتاج كميات كبيرة من القمح والشعير الذي يقتصر زرعه على أماكن محدودة ويتمتّع بجودةٍ لا مثيلَ لها.

ويمكن القول إنّ نحو 25 في المئة من أراضي الجزيرة غني وقابل للتحسّن في حال تم الاعتناء به بشكل جيد، لكنّ القسم الأكبر من الجزيرة قد أُهمِلَ، وإن زُرِع بقليلٍ من النخيل، والشعير، وحقول البرسيم. ويمكن زيادة المساحات الزراعية في الجزيرة عن طريق توصيل المياه إلى المناطق غير المزروعة بواسطة قنوات لجر المياه، كما أنّ الينابيع المتوفّرة عند خزانات المياه تمتلك قدرة هائلة على تزويد التربة بالمياه. وباستثناء التلال، وبعض المساحات الصغيرة المتاخمة للبحر، أعتقد أنّه يُمكن زراعة المساحات المتبقية بأكملها، لكن يبدو أنّ هذه الخطوة لن تتم في ظل الحكومة الحالية للجزيرة، التي لا تمدّ سكّانها بدعمٍ أو تشجيع. وإضافةً إلى ما سبق، تنتج الجزيرة الليمون، والرمان، والتوت، والتمور، والتين، البطيخ، وغيرها من الفاكهة، إلى جانب بعض أنواع الخضار. ويلاحظ كذلك تربية الدواجن والماشية، لكنّها، للأسف، مكلفة، وذلك نتيجة إحضار الحيوانات من أماكن أخرى. أمّا فيما يتعلق بسوق الأقمشة، فإنّه يضم تجهيزات كثيرة.

وتمتد جزر المحرَّق، وعراد، وسماهيج[1] على قطر يبلغ 12 ميلاً، ولا تنفصل إلّا عند نقاط المد أو الجزر التام، وفيها عددٌ قليل من بساتين النخيل، ويسكنها

(1) **سماهيج** من قرى البحرين، وتقع في الساحل الشمالي الشرقي من جزيرة المحرّق. يحدّها من الشمال الغربي قرية الدير، ومن الجنوب قرية قلالي. تميزت سابقًا بكثرة بساتين النخيل، وكانت من أشهر المواقع التاريخية منذ الحضارات القديمة.

نحو سبعة آلاف وخمسمئة شخص. لكنّها تفتقر إلى المياه، ومعظم كميّة المياه المُستخدمة على هذه الجزر تُجرّ من البحرين [أي الجزيرة الأم]. وتضمّ هذه الجزر قلعتين أو «غوريتين»، إحداهما في المحرَّق، والأخرى في عراد. وتقع بلدة المنامة بين خطوط عرض 26 و13 و50 درجة شمالًا، وخطوط طول 50، و36، و50 درجة شرقًا.

ويمتلك الشيخ خمس سفن حربية من نوع «البغلة»، غير أنّه يستطيع أن يجهّز خمس عشرة أو عشرين منها عند الاقتضاء. وتبلغ زِنة إحدى هذه السفن نحو أربعمئة طن، وتحمل اثنين وعشرين مدفعًا. أمّا التحصينات، فهي تتمركز في القلعة في المحرَّق، في منطقة رملية، تضمّ أيضًا ستة أو ثمانية مدافع، وتسيطر على الممر المائي. هذا وثمّة موقعان آخران من التحصينات، أحدهما في المحرَّق، والآخر في سماهيج حيث يحيط جدارٌ مهدّم بالبلدة. وتقع في البحرين الرفاع التي تبعد سبعة أميال عن المنامة، وتتواجد فيها أيضًا نحو 50 قلعة أخرى[1]، مع بضعة أبراج في أطراف مختلفة منها. لكنّ أفضل ما تستطيع الدفاع عن نفسها به هو الشعاب المرجانية[2] المحيطة بالجزيرة، التي توفرها الطبيعة المحيطة بالجزر، وتوازي قوة 500 رجلٍ قادرين على مواجهة قوّة مؤلفة من آلاف الرجال الذين ينزلون إلى الشاطئ.

(1) لم تضم جزر البحرين، طوال تاريخها، هذا العدد من القلاع أو الحصون في آنٍ معًا، أكانت صغيرة الحجم أو كبيرة.

(2) يُطلق عليها في البحرين اسم (الفشت) وجمعها (فشوت).

## التجارة في البحرين

فيما يلي جدولُ تقديرات للصادرات والواردات البحرينية في العام 1824م، بحسب ما وردت في تقرير وسيط الشركة، ووزير الشيخ:

| الصادرات «الكراون الألماني» | |
|---|---|
| لؤلؤ إلى الهند | 1,200,000 |
| لؤلؤ إلى الجزيرة العربية، وتركيا، والبصرة | 300,000 |
| لؤلؤ إلى فارس | 100,000 |
| عدد من السلع إلى الهند والسند، وغيرهما | |
| تمور مجففة | 15,000 |
| درع [قصعة] السلحفاة | 3,500 |
| أقمشة بحرينية | 3,000 |
| زعانف القرش | 2,000 |
| إلى فارس | |
| أقمشة بحرينية | 1,200 |
| سجاد | 3,000 |
| دبس [عصير] التمر | 2,000 |
| تمور مجففة | 1,200 |
| إلى البصرة | |
| أقمشة بحرينية | 5,000 |
| سجاد | 1,200 |
| أقمشة خشنة ملونة | 1,000 |
| إلى الكويت أو قرين | |

(1) لم يتم التعرف إلى نوع هذه البضاعة، وقد يُقصد بها نوعٌ من أنواع الأسماك الكبيرة المجففة.

| الصادرات «الكراون الألماني» | |
|---|---|
| أقمشة بحرينية | 5,000 |
| سجاد | 8,00 |
| إلى عدد من المناطق: | مبلغ يصل إلى |
| متفرقات | 5,000 |
| **المبلغ الكلي** | **1,651,900** |

| الواردات من هندوستان «الكراون» الألماني | |
|---|---|
| أرز من مانجلور | 60,000 |
| (Morahs)[1] | 65,000 |
| أرز من البنغال، 8,000 كيس | 24,000 |
| سكر، 600 كيس | 12,000 |
| قصب السكر، 500 أصيص | 5,000 |
| فلفل، و400 (Morahs) | 10,000 |
| سبيكة لحام، أو صفائح قصدير | 2,000 |
| حديد، 5,000 من القضبان | 10,000 |
| 2,000 قطعة من الرصاص الخام | 2,400 |
| فولاذ، 100 قضيب | 1,000 |
| ألواح خشبية للسفن | 17,000 |
| ليف جوز الهند [الجوت] | 5,000 |
| أقمشة زرقاء وبيضاء مشتركة، ونسيج قطني خشن، 600 رزمة ضخمة | 100,000 |
| قرفة 600 | |
| بهارات أخرى | 4,000 |
| المسك 2,000 | |

| | |
|---|---|
| الصبغة النيلية | 5,000 |
| كركم، 400 كيس | 4,500 |
| كافور4,000 | |
| خشب الصندل | 2,000 |
| عدة أنواع من الأدوية | 5,000 |
| تمر هندي | 2,000 |
| متفرقات | 1,800 |
| **المبلغ الكلي للواردات من الهند** | **284,300** |

الواردات من البحر الأحمر ومسقط

| | |
|---|---|
| بن، 1,520 قنطارًا | 93,000 |
| من مسقط والساحل الفارسي | |
| فاكهة مجففة، حبوب، ومنتجات هندية | 200,000 |
| من البصرة | |
| تمور، وحبوب | 200,000 |
| من مناطق مختلفة | |
| متفرقات | 30,000 |
| المبلغ الكلي | 807,300 |

## مخطط مثلثي يُمثّل جزيرة البحرين وميناءها[1]

### المياه الضحلة التي تشكل ميناء البحرين

### حيد جيليا[2]

يحيط حيد جيليا المرجاني ذو المياه الضحلة أو حيد عراد، بجزر سماهيج وعراد والمحرَّق ويشكل الجانب الجنوبي من مدخل شمال غرب ميناء البحرين، والجانب الشمالي من مدخل جنوب شرق الميناء. ويُعتبر هذا الحيد جافًا في معظم أجزاء مياهه الضحلة. وتقع المنطقة الشمالية الغربية عند خط عرض 26 وما بين 18 و40 درجة شمالًا، وعند خط طول 50 وما بين 37 و10 شرقًا، وتقع المنطقة الشمالية الشرقية عند خط عرض 26 وما بين 18 و20 شمالًا، وعند خط طول 50 ما بين 41 و50 شرقًا. أمّا المنطقة الجنوبية الشرقية فتقع عند خط عرض 26 و10 درجات شمالًا وعند خط طول 50 درجة ما بين 44 و10 درجة شرقًا. ويكون المد والجزر في بعض الأحيان قويًّا باتجاه هذا الحيد.

### غابة الرصيف القاري

تسمى غابة الرصيف القاري التي تتكون من الأشجار في سماهيج برصيف عراد، وهو يتألّف من أشجار البلح في جزيرة سماهيج، مشكلًا بذلك واديًا قريبًا

(1) انظر: أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية الأصلية، مركز أوال للدراسات والتوثيق (بيروت، 2019م)، مج 1، ص 162 - 164.

(2) قد يقصد المؤرّخ ما يُطلق عليه في الخليج اسم جال، وفي لهجة الكويت يال، أي بقلب الجيم ياء، والجال هو الحدّ البحري الذي يفصل بين اليابسة والماء.

من المنطقة. وعلى تلٍّ قريبٍ منه، مبنًى صغير. ويقع الرصيف عند منطقة خط عرض 26 درجة ما بين 16 و50 شمالًا، وخط طول 50 درجة ما بين 39 و52 شرقًا.

## فشت اليارم [الجارم]

فشت الجارم، أو حيد (Teignmouth)، هو أحد أوسع أماكن المياه الضحلة في الخليج، ويمتد تقريبًا على مساحة تسعة عشر ميلًا في الاتجاه الشمالي والجنوبي، وثلاثين ميلاً في الاتجاه الشرقي والغربي. يشكّل فشت الجارم حدود ميناء البحرين الشماليّة الغربيّة، وهو جاف في معظم الأماكن. تتم عمليات السبر على مسافة نصف ميل، وتصل إلى عمق ما بين 3 و4 قامات. يعتبر فشت الجارم خطيرًا جدًا لأنّه يتألف من صخور صلبة ورمال. ولتضمن مرورًا آمنًا إلى الطرف الشرقي عند تخوم البحرين، اسلك طريقًا بحيث تكون غابة الرصيف القاري إلى الجهة الجنوبية الشرقية، حتّى تصل إلى منتصف القناة بين فشت الجارم وحيد جيليا. أمّا الأجزاء المتعددة من هذه المياه الضحلة فتتركّز في الأماكن التالية: منطقة شمالية عند نقطة خط عرض 26 ما بين 32 و50 درجة شمالًا، وعند نقطة طول 50 درجة ما بين 30 و38 شرقًا. وتقع المنطقة الشرقية عند نقطة خط عرض 26 درجة و29 درجة شمالًا وخط طول 50 درجة و39 درجة شرقًا. أمّا المنطقة الغربية فتقع عند 26 درجة ما بين 20 و27 درجة شمالًا وعند خط طول 50 درجة ما بين 24 و20 درجة شرقًا. والمنطقة الجنوبية الشرقية تقع عند نقطة خط عرض 26 درجة ما بين 15 و25 درجة شمالًا وخط طول 50 درجة ما بين 38 و10 درجات شرقًا.

## الاتجاهات العامة لدخول ميناء البحرين الشمالي الغربي

بعد عبور ساحل اللؤلؤ {عند نقطة زوال 50 درجة و50 درجة شرقًا}، يظهر أمامكَ رصيف عراد البحري، فاتجه إليه بحيث يكون إلى الجهة الجنوبية الغربية بحسب البوصلة، حتّى تصل إلى جنوب الجارم أو حيد (Teignmouth).

وإذا استطعت رؤية القلعة البرتغالية في البحرين، التي يكون الطقس فيها صافيًا، استدر بحيث تكون القلعة إلى الجنوب الغربي. وانتقل من الغرب الشمالي أو الغرب ثم الشمال الغربي، حتّى يبقى حيد الجارم على أقرب مسافة إليك. وإذا كانت الرياح هادئة في القلعة، اتجه إلى الجنوب الغربي متّبعًا التوجيهات من أجل الوصول إلى الرأس البحري، وبعد ذلك، خذ يمينك حتّى يصبح رصيف عراد البحري إلى الجهة الجنوبية الشرقية. وفي حال كنت متوجهًا إلى الميناء الداخلي، تابع سيركَ في الاتجاه الأيمن حتّى تقترب من الرأس البحري في الميناء الداخلي المستدير. وبعد أن يظهر لك الحيد بوضوح، يجب أن ترشدكَ خبرتك في القيادة، وانتبه إلى ألّا تصل إلى مكانٍ يتدنى مستوى المياه فيه عن الثلاث قامات ونصف القامة، أثناء اتجاهك إلى الرأس البحري في الميناء الداخلي الذي هو على مقربةٍ منك. واحرص على أن ترسوَ بسفينتكَ متى بلغ عمق المياه ثلاث قامات ونصف القامة أو أربع قامات فوق قاعٍ رملي.

وغالبًا ما يظهر الرأس البحري بوضوح، إلّا عندما يكون مستوى المياه مرتفعًا. ولطالما نصحت السفن بأن تدخل إلى الميناء الداخلي عند منتصف عملية الجزر أو ربعها الأخير، وذلك لأنّ مخاطر الإبحار تحوم كلّها هناك، لكنّ على الغريب ألّا يدخل من دون ربّان. وإن كنت تريد العمل بين فشت الجارم وحيد جيليا، عليك ألّا تقترب من الجارم إلى مستوى أعمق من ثلاث قامات ونصف القامة، ومن حيد جيليا إلى مستوى أعمق من ثلاث قامات. وبعد عبورك النقطة الشمالية الغربية من حيد جيليا، يمكنك الوصول إلى عمقِ ثلاث قامات حتّى تصل إلى رصيف عراد البحري في الاتجاه الجنوبي الشرقي. وعليك ألّا تتخطّى عمق أربع قامات من الجهة الغربية وثلاث قامات من الجهة الشرقية حتّى تصل إلى الرأس البحري في الميناء الداخلي.

يحد الجزء الغربي من ميناء البحرين الشمالي الغربي فشت الجارم ورأس بحري مصدره جزيرة البحرين، أي الجزيرة الأم، وبينهما قناةٌ ضيقة يبلغ عمقها قامتين في بعض المواقع.

ويُخصّص ميناء البحرين الجنوبي الشرقي للقوارب وحسب، وأحد أجزاء مداخله ضيّقٌ جدًا وعملية الملاحة فيه مُعقّدة، لذا يجب الاستعانة بربان للدخول إلى هذا الميناء لأنّه قد يصعب إعطاء إرشادات واضحة.

# مسّاحو الأراضي والمسافرون

# 1832 - 1837م

# وايبورد[1] وولستيد[2]

# (Wyburd and Wellsted)

(1) **وليام هنري وايبورد William Henry Wyburd** هو ضابط في البحرية الهندية انضمّ إلى بحرية بومباي كطالب في الكلية الحربية عام 1823. طُلب منه أن يقلّل من مهماته البحرية في العام 1813 كي يستكشف نجد. كتب مذكّرة حول مصائد اللّؤلؤ في الخليج الفارسي في العام 1832 وأُعيد نشرها في [مجلة] «الدراسات العربية» في العام 1979. كتب مذكّرات في البحرين: مجلة رحلة إلى الجزيرة العربية.

(2) **جايمز ريموند ولستيد James Raymond Wellsted (1805 - 1842)** كان ملازمًا في البحرية الهندية وسافر كثيرًا في شبه الجزيرة العربية في العام 1830. كان ولستيد بين عامي 1828 و1829 سكرتير السير (تشارلز مالكولم)، المفتش في بحرية بومباي. وفي العام 1830، تم تعيينه برتبة ملازم ثانٍ على سفينة شركة الهند الشرقية «بالينوروس». ثمّ عمل تحت إشراف النقيب مورسبي في إجراء مسح تفصيلي لخليج العقبة والجزء الشمالي من البحر الأحمر. أعيدت السفينة في وقت مبكر من عام 1833، ثمّ تم إرسالها تحت قيادة النقيب (هينز)، لمسح الساحل الجنوبي للجزيرة العربية. نشر (ولستيد) نتائج رحلته تحت عنوان «مذكرات في جزيرة سقطرى». وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1835، حصل (ولستيد) على إذنٍ للسفر إلى سلطنة عمان، فذهب إلى مسقط في الحادي والعشرين من الشهر ذاته يرافقه الملازم (أف. وايتلوك) من البحرية الهندية. أعطاهما الحاكم المساعدة التي يقدر عليها كلها، إلّا أنّ حالة الاضطراب في البلاد اقتطعت مخططاتهما. وكان (ولستيد) قد ألّف «أسفار في الجزيرة العربية» (مجلدان، 1838)، و«أسفار إلى مدينة الخلفاء» (مجلدان، 1840). خلال أسفاره إلى البحر الأحمر وجزر سيال، وثّقت وجود الشعوب المعروفة باسم حوتيمي. انظر:
Matthew, H. and Harrison, B. (2004). from the earliest times to the year 2000. [S.l.]: Oxford University Press, pp.V.58 79 - 80.

## سجل يوميات الملازم (دبليو. إتش. وايبورد)[1]

في 3 أيلول/ سبتمبر من العام 1832، غادرتُ «بوشهر» متوجّهًا إلى البصرة في عهد الملك وليام الرابع (William the 4th)[2] وقد عزمتُ على سلوك طريق الزبير[3] إلى نجد. توقّفنا في جزيرة «خارك» لنستعين بربان لسلوك النهر، حيث أُتيحت لنا الفرصة لزيارة الشيخ نصر، ابن حاكم «بوشهر» السابق {الذي يُرجّح أنّه قُتِل مؤخرًا بتحريض من إحدى زوجات أمير فارس}. رسا أسطول الشيخ نصر الصغير في جزيرة «خارك» استعدادًا للإغارة المفاجئة على مدينة «بوشهر»، إلّا أنّ شكوكًا حامت حول نجاح تلك الغارة، بعد تلقّيه وعودًا بالمساعدة من زعماء موانئ القواسم الذين لطالما كانت «بوشهر» محطّ أطماعهم.

كان أمامنا سبعة عشر يومًا لنصل من «خارك» إلى البصرة. وقد وُضعت في هذا الوقت في مواقِفَ عدّة جعلتنيَ أتنبّه إلى عدم أهلية ربّان السفينة الذي

---

(1) انظر: أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية الأصلية، مركز أوال للدراسات والتوثيق (بيروت، 2019)، مج 1، ص 167 - 172.

(2) **وليام الرابع William VI (1765 - 1837)** هو ملك المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وأيرلندا، وملك هانوفر. طوال فترة حكمه، اعتبر وليام الرابع أنّ الشؤون الخارجيّة هي ضمن نطاق العمل الخاص بالملك، وأولاها اهتمامًا كبيرًا. وفي العام 1833، كتب أنّ العلاقات الجيدة مع مصر لها أهمية خاصة لبريطانيا، إذ توضّح مؤخّرًا أنّ التواصل عبر القناة والسفن البخارية قد ينشأ من القاهرة إلى السويس والبحر الأحمر. لكن من الصعب تحديد أيّ حالة أثّرت فيها نصيحته تأثيرًا كبيرًا فيما يتعلّق بتشكيل السياسة المُتّبعة. انظر:

Matthew, H. and Harrison, B. (2004). from the earliest times to the year 2000. [S.l.]: Oxford University Press, V.59 pp. 98 - 105.

(3) **الزبير** هي مدينة من مدن العراق، تقع في الصحراء على بعد أميال جنوب البصرة، وهي المحطة الأولى في الطريق من البصرة إلى الكويت أو نجد، ويوجد بها ضريح الزبير بن العوام الذي سميت المدينة باسمه. انظر: لوريمر، جيه. جي.، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ص 2593.

أحضرناه معنا من جزيرة «خارك». فقد كنّا نصطدم بضفاف النهر كلها. وفي طريقنا، مررنا بأسطول البصرة الذي كان يحاصر مدخل مدينة عفار[1]. وكانت الأعمال العدائية في ذلك الوقت قائمة بين تلك المنطقة وبين كعب[2]. وقد شهدت المهزلة الأكبر في سلاح البحرية حيث كانت ثلاثة مراكب شراعية -التي تشكّل جزءًا من البحرية- محاطةً بالطوب والجصّ، الأمر الذي يُمثّل خيرَ تمثيلٍ ما يطلق عليه البحّارة مصطلحَ «القلعة الأمامية».

وفي البصرة اعتمرتُ الكوفيّة والعقال[3] الخاص بالعرب الذين يقطنون الصحراء.

وبعدما وجدت أنّه من المستحيل الحصول على مرشدين، أو رفاق يشاركونني رحلتي في صحراء (Oomaseer)[4] إلى نجد، قرّرت المضي قدمًا عبر البحر للاتجاه إمّا إلى البحرين وإمّا القطيف. وغادرت البصرة باتّجاه المحمرة[5]، حيث أُبلغت أنّ سفينة «بغلة» كانت ستغادر مساء ذلك اليوم، فعزمت على السفر على متنها، وقدّمت نفسي كمواطن من الشارقة. وسأبدأ بسرد يوميات رحلتي ابتداءً منذ ذلك الوقت.

---

(1) أغلب الظّنّ أنّ المؤرّخ يقصد ميناء الفاو.

(2) **قبيلة بني كعب** في جنوب العراق. وبنو كعب ينتسبون إلى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن الناس بن مذر بن نزار بن معد بن عدنان. ومن كعب وبنيه تحدّر كثير من القبائل المشهورة والمعروفة أمثال: بني عقيل، وبني خفاجة، وبني مالك، وبني المنتفق، وبني عبادة، وبني عبد الله، وغيرهم. وقد انتشرت قبائل بني كعب على ضفتي الخليج في عهد الشيخ سلمان بن ناصر بن العزيز. انظر: الكعبي، عقيل حيادي أبو دايم، قبائل كعب من الماء إلى الماء (بيروت 2007).

(3) **الكوفية والعقال** الكوفية غطاء للرأس مخطّط باللونين الأحمر والأصفر وقد فرضه على العرب الملك سابور ذو الأكتاف كإشارة إلى الخضوع، وقد بقي رائجًا عندهم. والعقال هو شريحة من شعر الجمل توضع حول تاج الرأس ويميّز العرب البدو. (هامش الأرشيف البريطاني)

(4) ربما قصد المؤرّخ «أم قصر» في جنوب العراق.

(5) **المحمرة** هي عاصمة عربستان الجنوبية وهي المدينة الوحيدة والمهمة، الميناء البحري الوحيد والمركز الوحيد للتجارة الأجنبية في عربستان كلها. تقع على الشاطئ الأيمن لنهر كارون، وهي محاطة بالنخيل، سكانها الأساسيون عشيرة المحيسن ويسكن فيها بعض اليهود والمسيحيين وبعض البحارنة المهاجرين. انظر: لوريمر، جيه، جي.، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ص 1601 - 1603.

**13 تشرين الأول/ أكتوبر 1832:** في مساء هذا اليوم انتقلنا عبر النهر إلى المعامر؛ وهي قرية صغيرة وقلعة تقع على بُعد أربعة عشر ميلًا من مدخل شطّ العرب. وفي هذه المنطقة انضمّ إلينا خمسة رجال من عرب قبيلة (Dhafafed)[1]، التي قدمت إلى كعب لشراء الصوف. وسرعان ما تعارفنا بعضنا إلى بعض لأكتشف أنّهم مُمتعون جدًا وقذرون جدًا! كما أنّهم مدحوا كثيرًا جمَال نسائهم وبسالة قبيلتهم وامتدادها. بالإضافة إلى ذلك، تفاجؤوا بجهليَ أسعار الصوف والتمور، وسرقوا منّي بعض العيّنات من السلعتين المذكورتين، وأوصوني بمزاولة التجارة من أجل تحقيق الأرباح في نجد. برّرتُ موقفي بعدم امتلاكي الأموال وأخبرتهم أنّني ولدتُ جنديًا وتربّيت جنديًا وإن شاء الله أنوي أن أموت جنديًا.

**14 تشرين الأول/ أكتوبر 1832:** في صباح هذا اليوم قصدت الساحل في قرية (Moanir) التي تتألّف من 70 منزلًا محميًّا بقلعة من طين؛ وتقع في الجهة الجنوبية الغربية من شطّ العرب وتخضعُ لحكم الكعبيّين. ويقال إنّه، قبل تفشّي الوباء في هذه المنطقة، كانت نسبة مساهمتها في العائدات تبلغ 10,000 كيسٍ من التمر. أمّا سكّانها الحاليّون فهم: رجل طاعن في السنّ واثنان من أبنائه. أمّا زراعة التمر فيها، فقد دُمرت جزئيًا على أيدي قبيلةٍ عراقيّة اسمها بدو النصّار[2]. وهناك دخلتُ مساكن مهجورة عدّة وعثرت في معظمها على هياكل بشرية.

**15 تشرين الأول/ أكتوبر 1832:** بعد هبوب الرياح المعاكسة ومُلاحظة عدم استعداد رجال المركب للتحرّك، قمتُ بإقناع رجال البدو {تحت ذريعة إطلاق النار} بمرافقتي إلى الصحراء بهدف زيارة (Pala Copas)، أو القناة التي قطعها

(1) الاسم غير مفهومٍ في صيغته الأجنبية.

(2) **بدو النصّار** هم من عشائر بني كعب، يسكنون كصبة من المحمرة تجاه الفاو على ساحل شط العرب ما وراء عبادان. رئيسهم الشيخ شايع ومذخور، ويعدون مع الدريس عشيرة واحدة تعادل المحيسن في كثرتها. وكلهم منتشرون في أنحاء البصرة كما في إيران. وفروعهم مشتركة في الناحيتين، وهم تحت رئاسة البونصار ثم صاروا في مشيخة الشيخ خزعل. انظر: الشيراوي، عباس، عشائر العراق، ج 3، ص 219.

إسكندر الأكبر من جوار الحلّة إلى خور عبد الله. وتبعد المسافة من ضفاف النهر إلى هناك سبعة أميال؛ علمًا أنها تبلغ 150 ياردة عرضًا، وتبدو الضفاف في الكثير من الأماكن مدعومة بالحجارة ومملوءة جزئيًا برمال الصحراء وقد بقي ما يكفي منها لتبيان حجم العمل المنجَز. ومررنا كذلك ببعض خيم بني خالد، وأمضينا الليل في معسكر بدو النصّار، حيث قدّموا لنا لحم الجمال، وأرزًا مسلوقًا، وزبدة الحليب.

**16 تشرين الأول/ أكتوبر 1832:** عُدنا إلى سفينة «البغلة» واحتُجزنا في (Moanir) حتى 25 تشرين الأول/ أكتوبر بسبب العواصف الجنوبية الشرقية.

**26 تشرين الأول/ أكتوبر 1832:** عند طلوع صباح هذا اليوم فوجئنا بالعرب يقومون برفع المرساة التي غيّرت الرياح وجهتها خلال الليل إلى الشمال الغربي. وقفنا أمام النهر ورسونا في المساء في جانب محميّ من الرياح في عراد، على ضفةٍ رمليّة تبعد 20 ميلًا من مصبّ النهر. وكنتُ قد قدّمت خروفًا، اشتريته مسبقًا، إلى البدو، فتناولوه خلال النهار مع أحشائه من دون تنظيفها.

**27 تشرين الأول/ أكتوبر 1832:** انطلقت السفينة في الصباح وكنّا على وشك بلوغ الساحل على حيد مرجاني بسبب غباء النوخذة، إلّا أنّنا نجونا بفضل العرب الذين أخبروني بالأمر برحمة إلهية، وعون الرسول. وفي المساء وصلنا إلى رأس المشعاب.

**28 تشرين الأول/ أكتوبر 1832:** هبّ النسيم العليل، لكنّ العرب لم يكونوا مستعدين لطلب العناية الإلهية بعد هربهم بالأمس، وقرّروا عدم الإقلاع قبلَ أن تهدأ الرياح الشمالية الغربية. وانضمّ إلينا هناك خمسة مراكب من القرين، فلحقَ بنا شابٌّ عربيّ كان على متنِ إحداها، ويُدعى ثوينيّ ليرافقنا في السفر. عرّف هذا الشاب عن نفسه على أنّه من قبيلة المناصير التي ترتبط بتركي بن سعود، وبدا قلقًا في محاولته كسبَ ثقتي. ومن جانبي، تجنبته قدر الإمكان، لأنّني كنت أعتقدُ أنّ نواياه كانت شريرة، علمًا أنّه كان حميدَ الخُلق بحيث كان من الصعب عليّ ألّا أشعرَ بالفرح معه.

**29 تشرين الأول/ أكتوبر 1832:** أبحرنا حينَ هبّ النسيم الشمالي الخفيف، وفي فترة ما بعد الظهر تلبّدت السماء بالغيوم، وبدأت الرياح تهبّ بقوة بين الحين والآخر من الجهات كلّها. خاف العرب، وتشاوروا فيما بينهم، ووافقت الأغلبية على العودة إلى (Moshaub)، في حين ارتأت أقليّة منهم الاستمرار باتجاه البحر بُغية تجنّب الشعاب المرجانية التي كانت تكثر بين (Moshaub) والقطيف. وتمت تسوية الأمر بإنزالنا على ساحل الضفة المرجانية[1]. ولحسن الحظّ، كان أمامنا مسافة قصيرة لنعبرها في البحر معًا طوال الليل بفضل المد، علمًا أنّ قعرَ السفينة كان متضررًا جدًا، ووصلنا بصعوبة إلى القطيف حيث تمّ سحبها إلى الساحل.

**30 تشرين الأول/ أكتوبر 1832:** عندما أدركت أنّ إصلاح المركب سيستغرق وقتًا أكثر ممّا كنت أتوقعه، قرّرت الاستفادة من الوقت ومتابعة طريقي عبر اليابسة متّجهًا إلى العقير، وأقنعت البدو بمرافقتي. استخدمنا الجِمال في القطيف، وانطلقنا صباحًا وتوقّفنا في نحو الساعة السابعة مساءً عند بئر ماءٍ مالح. وكانت المنطقة التي مررنا بها نهارًا صحراويّة ورمليّة إجمالًا، باستثناء المنطقة المجاورة للقطيف التي تكثر فيها الحدائق والينابيع.

**31 تشرين الأول/ أكتوبر 1832:** وصلنا إلى العقير عند الظهيرة، وهي تتشابه إلى حدّ كبير والمنطقة التي كنّا فيها البارحة ولكن ثمّة بعض الاختلاف بينهما. ووجدنا مركبًا على وشك الإبحار إلى البحرين، وكنت قد فضّلت التوجّه إليها بعد أن بادلت أموالي كلّها بالذهب في البصرة لأنّني اعتقدت أنّه ليس من الآمن تبادل الذهب في الواحات الداخلية. لذلك تركت أصدقائي البدو {الذين غادروا إلى موطنهم الأصلي في الجشّ}، وصعدت على متن المركب. أمّا الشاب العربي، ثوينيّ، الذي انضمّ إلينا في (Moshaub)، فقد قرّر مرافقتي ولم أستطِع تجنّبه رغمًا عنّي.

(1) تقع هذه النتوء بين منطقة أبو علي ورأس تنورة. (هامش الأرشيف البريطاني)

**1 تشرين الثاني/ نوفمبر 1832:** رسونا بعد الظهر في مواقع مخصصةٍ لرسو السفن في البحرين، وشاركت هناك برمي ست قذائف هاون لم تنفجر بسبب رداءة البارود. وفي المساء، ذهبت وثوينيّ إلى الساحل وأمضينا ليلتنا في أحد المساجد.

**2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1832:** بعد أن حوّلت مبلغًا من عملتي فينيشيان وسكترين الأوروبيتين (Venetians or Sectrins) إلى «الدولار»، وهو مبلغٌ اعتقدُ أنّه سيكفيني لعبور شبه الجزيرة، وافقت على مرافقة ثوينيّ إيّاي إلى بلدة الرفاع، إذ إنّه ادّعى أنّ علاقةً تجارية تجمعه بخليفة بن سلمان شيخ البحرين[1]. فانطلقنا على الحمير التي استأجرناها، وعند وصولنا إلى بيت المضيف، أرسل لنا الشيخ فطورًا هو عبارة عن تمورٍ نصف ناضجة، بالإضافة إلى الخبز، وزبدة الحليب. ظهر الشيخ بعد الظهر وعرفت حينئذٍ من يكون ثوينيّ؛ ويبدو أنّه قد تلقى خبرًا مبهمًا عن مدى كرم الشيخ خليفة بن سلمان {5 تشرين الثاني/ نوفمبر} فرحل عن قبيلته واسمها المنتفق[2]، [من العراق إلى البحرين] متوقعًا أن يحصل على هدية ما. وأثناء مقابلتنا الشيخ، قدّم ثوينيّ نفسه على أنّه من أقارب زعيم قبيلة المنتفق الحالي ويُدعى عيسان بن حمود، الذي أُجبر على الرحيل بسبب العداء القائم بين فراس بن عجيل وذلك الزعيم. أمّا الاستقبال الذي أبداه الشيخ لثوينيّ فلم يكن ليمنح هذا الأخيرَ الأمل الذي يرضي توقعاته، ولكنّه بقيَ متفائلًا. وبعد البقاء في الرفاع حتى 6 تشرين الثاني/ نوفمبر، حيث حظينا بضيافةٍ واهتمامٍ مميّزين، غادرت باتجاه المنامة،

(1) كان عبد الله بن أحمد الحاكم آنذاك بالاشتراك مع ابن أخيه خليفة بن سلمان بن أحمد.

(2) **المنتفق** هم بطن من عامر بن صعصعة اشتهروا باسم أبيهم «المنتفق بن عامر بن عقيل» فقيل لهم المنتفق، وكانت منازلهم آجام القصب بين القصرة والكوفة، إلا أن هذا الاسم ليس محصورًا بهذه القبيلة فقط فهو يطلق على مجموعة قبائل ذات صلة بهذه القبيلة أو بمنطقة نفوذها في العراق، وهو يطلق على اتحاد قبائلي ترأسه آل شبيب في العام 1546. واستمر كشبه دولة حتى العام 1918. انظر: النبهاني، الشيخ محمد، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ص 390؛ السعدون، حميد، إمارة المنتفق، ص 40 - 41.

في حين بقي ثوينيّ مصرًّا على الاستفادة من كرم الشيخ. وسنحت لي الفرصة، خلال بقائي في الرفاع، لملاحظة العداوة القائمة بين زعماء البحرين وإمام مسقط، فقد كان يصل بعض الشعراء المتجوّلين وفي حوزتهم مجموعة من الأبيات المسيئة للشخصيات آنفة الذكر؛ الأمر الذي كان يبهج الشيخ وأتباعه كثيرًا، فيجني الشاعر بذلك حصادًا ذهبيًا.

**7 تشرين الثاني/ نوفمبر 1832:** انضمّ إليَّ اليوم ثوينيّ، وقد لعَنَ حاجته إلى سخاء الشيخ الذي لم يقدم له أي شيء، كما أقسم أنّ «رجاله لا يستطيعون تقديمَ شيءٍ ونساءه لا يقدرنَ على التعبير عن الرفض». ضحكت لقوله هذا وسألته عن الأُسس التي يستند إليها ليتوقّع مكافأةً من رجل لم يره قطّ ولم يقدّم له أدنى خدمة، فأجابني أنّ كونه من أتباع مشيخة كمشيخة عيسان بن حمود يكفي لنيل مكافأة، كما أنّ زعماء المشيخة الشمالية قد يشعرون بالعار من السماح لبدوي غريب أن يحقّر اسم أحدهم أمام مجموعة من القبائل. ودّعت ثوينيّ مساء هذا اليوم {معتزمًا التوجّه نحو العقير في الصباح، في حين قرر هو العودة إلى قبيلته} وقدّمت إليه سيفًا فارسيًا كهدية مقابل الوقت الطيّب الذي قضيته معه.

**8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1832:** غادرت البحرين متوجّهًا نحو العقير هذا الصباح، وما كدنا نجتاز نهاية الجزء الشمالي الغربي من الجزيرة حتى تحوّل اتّجاه الرياح إلى الجهة الجنوبية فاضطرِرنا إلى الاحتماء في ميناء القريّة؛ وهي قرية صغيرة في جنوب غربي جزيرة البحرين تبعد 12 ميلًا من المنامة.

**9 و10 تشرين الثاني/ نوفمبر 1832:** كنت لا أزال عالقًا في الميناء، إذ إنّ العرب لا يفكّرون بالإبحار إلاّ عندما تكون الرياح مناسبة.

**11 تشرين الثاني/ نوفمبر 1832:** أبحرنا، وكانت الرياح تهبّ من الجهة الشمالية، وتابعنا الطريق نحو العقير التي تبعد 32 ميلًا بالاتجاه الجنوبي الغربي من القريّة. رسونا في العقير عند الرابعة عصرًا.

## جزيرة البحرين

يبلغ طول هذه الجزيرة نحو 28 ميلاً {من قلعة البرتغال إلى رأس البرّ[1]} وعرضها 9 أميال. وهي تتبع أصلًا الفرس، وانتزعها منهم عرب العتوب الذين قدموا من الساحل المقابل في قطر.

تكثر الينابيع ومزارع التمر في قسم من الجزيرة {حيث يقع برج المنامة ويتصل بالرفاع عبر مضيق ضيّق ليشكّل معه جزيرة منفصلة}. وتعتبر هذه الأراضي خصبةً على الرغم من أنّ نسبة خصوبتها ليست كافية لإنتاج الكمية المناسبة من الحبوب التي تغطي احتياجات سكانها. أمّا القسم الأكبر من الجزيرة {حيث تقع الرفاع، وفيها مقرّ خليفة بن سلمان} فهي أرضٌ قاحلة وصحراويّة، كما أنّها ذات طبيعة صخرية أكثر من المناطق المجاورة للمنامة، وتكثر فيها تلال منخفضة، ولا سيما في منطقة غزالة.

تضمّ جزيرة البحرين عددًا من المدن والقرى؛ أهمّها المنامة التي تتميّز بحجمٍ كبير وكثافة سكّانية عالية على الرغم من تفشّي الإصابات بداء الكوليرا خلال السنوات الخمسة أو الستة الأخيرة، الأمر الذي قد ساهم، بشكلٍ كبير، في انخفاض نسبة الكثافة السكانية. أمّا التجارة في هذه المدينة، فهي مزدهرة وتتزود أسواقها بسلعٍ من الهند وفارس، وقد بلغني أنّ 36 سفينة تتوجه من المنامة سنويًا لزيارة الهند؛ منها 20 سفينةً من نوع «البغلة»، وتتراوح حمولتها من 100 طنٍ إلى 200 طن.

(1) **رأس البر** هو حد جزيرة البحرين الجنوبي، وهو منطقة ضيقة جدًا، طولها نحو ميل واحد، ويُعرف أيضًا باسم رأس حد البحرين. وفي بعض فصول السنة تُغطى الشواطئ في هذا الموضع ببيض الطيور البحرية، كما تعيش عليها بعض الحيوانات البرية كالأرنب والغزلان. انظر: موسوعة تاريخ البحرين، مج 2، ص 79.

أمّا المصدر الرئيس الذي يعزو إليه العرب الحالة المزدهرة التي تعيشها البحرين، فهو الإنتاجية السنوية من صيد اللؤلؤ، الذي يُقال إنّ عائداته تبلغ 300,000 «دولار». والجدير ذكره أنّ التجّار الهنود والبغداديين يشترون اللآلئ بحسب شكلها، وحجمها، ولونها، ويتمّ إرسالها إمّا إلى الهند وإمّا إلى آسيا الصغرى[1]. أمّا معدّل ارتفاع أسعار هذه الحليّ فهائل، إذ يتفاوت ما بين اللآلئ الصغيرة وتلك التي تساوي درهمًا ونصف الدرهم، وهو أقصى وزن يمكن أن تصل إليه اللآلئ. وأخبرني صيادو اللؤلؤ، خلال محادثةٍ جرت بيننا، أنّ معدّل الربح الذي يناله كلّ غواص في موسم الازدهار هو نحو 20 «تومان».

المحرَّق، عبارة عن جزيرة صغيرة وبلدة مُشابهة للمنامة من حيث الحجم، إلاّ إنّها لا تتّسم بالميّزات التجارية نفسها. وتقع قرية عراد في أقصى شمال هذه الجزيرة، وهي قرية كبيرة تحيط بها بساتين النخيل، وهي تُعدّ ميراث عبد الله بن أحمد، عمّ زعيم البحرين خليفة بن سلمان.

أقدمَ شيوخ البحرين، بفعل الغيرة التي يكنّونها لإمام مسقط منذ تحالفه مع الحكم في «شيراز» عبر صلة الزواج؛ على عقد اتفاقٍ مع الوهابيين الذين كانوا يدفعون لهم ضريبة سنوية، أو زكاة.

يقع مقرّ إقامة شيخ البحرين العامّة في الرفاع، في حين تُرِكت دوائر العدل للعبيد السود، الأمر الذي يُعدّ بالطبع خسيسًا ودنيئًا.

(1) لم تكن تركيا (آسيا الصغرى) واحدةً من أهم أسواق تجارة اللؤلؤ، بل اعتُبرت السوق الأوروبية، ولا سيما الفرنسية، الأسواق الأهمّ آنذاك.

# أسفار إلى مدينة الخلفاء على طول سواحل الخليج الفارسي والبحر الأبيض المتوسط

وتشمل رحلة إلى ساحل الجزيرة العربية وجولة في جزيرة سقطرى[1]


**أعده**

جيه. آر. ولستيد المحترم
(J. R. Wellested)

من زمالة الجمعية الملكية، وزمالة الجمعية الملكية الآسيوية، وغيرها،



مؤلف كتاب «أسفار في الجزيرة العربية» في مجلّدين المجلّد الأول لندن: هنري كولبيرن، الناشر (Henry Colburn) شارع مالبورو (Marlborough) الكبير 1840م


(1) **سقطرى** وتكتب أيضًا سقطراء أو سوقطرة، هي أرخبيل مكوّن من أربع جزر يقع في المحيط الهندي قبالة سواحل القرن الأفريقي ويتبع اليمن. تم تصنيف الجزيرة كأحد مواقع التراث العالمي في العام 2008، ولُقبت بأكثر المناطق غرابة في العالم نظرًا إلى أهميتها والتنوع الحيوي الفريد الذي يُميّز بيئتها.

## مجموعة جزر (Maude)[1] وصيد اللؤلؤ - وطريقة الحصول على اللآلئ - وقيمتها المحتمَلة وتجارة البحرين - وإيجابيات الموقع - وسفن المسح - وتقطير المياه المالحة[2]

استمر مسيرنا، في الأيام القليلة الأولى، على طول الضفة الممتدة التي تحيط بالقسم الأكبر من الجانب العربي للخليج الفارسي. تصل سلاسل الصخور المرجانية إلى مستوى المياه تقريبًا وأحيانًا ترتفع عاليًا، لكنّ العمق يتراوح بشكل عام بين خمس قاماتٍ وخمسَ عشرة قامة. ومنذ زمنٍ بعيد، بدأت من هذا المكان عمليات صيد اللؤلؤ الأضخم في العالم. وأعتقد أنّ اللآلئ التي يتمّ الحصول عليها تُعدّ من أجود اللآلئ وأكبرها وأعلاها قيمة. إن هذه السلعة التجارية، وحدها، تؤمّن قوتَ معظم سكّان الساحل العربي من هذا البحر. ويُعثرُ على محار اللؤلؤ على امتداد طول الساحل العربي، وإن بنسبٍ متفاوتة.

أمّا حق الصيد فيتمتّع به الخليج كلّه، إلّا أنّ أكثر المشاركين في هذه التجارة هم سكّان ساحل القراصنة وجزيرة البحرين. وفي هذا الصدد، حدّدت الأعراف المحلية نصيب كلّ من الطرفين، علمًا أنّ المراكب التابعة لساحل القراصنة نادرًا ما يصل عملها إلى ما بعد جزر حالول[3] أو إلى شمالها، في حين أنّ مراكب

(1) لا جزرَ على خارطة جزر البحرين تحمل هذا الاسم.

(2) انظر: أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية الأصلية، مركز أوال للدراسات والتوثيق (بيروت، 2019)، مج 1، ص 175 - 182.

(3) **جزر حالول** تقع في الخليج على بعد 61 ميلًا شرق الشمال الشرقي لمدينة الدوحة. يتألف جزء منها من التلال وجزء منها مسطح، ولا يوجد فيها ماء عذب ولا أعشاب، ولكنها قريبة من مصائد الأسماك ومن مصائد اللؤلؤ، ويستخدمها الصيادون للاستراحة وللاحتماء من الرياح. انظر: لوريمر، جيه. جي.، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ص 789.

سكان البحرين تواصل أعمالها بين الجزيرة وميناء القطيف. ويقول الرائد ويلسون (Wilson) إنّ «ما يتمّ صيده في البحر القريب من جزر «خارك» و«Borgo»، هي لآلئ يُقال إنّها ذات لونٍ ومظهرٍ رائعَيْن، وتتكوّن من ثماني طبقات أو طيّات، في حين يقتصر عدد طبقات غيرها على خمسٍ فقط، إلاّ أنّ المياه عميقة جدًا، ممّا يُصعّب عملية الصيد ويجعلها لا تدرّ ربحًا كبيرًا. ويحتكر شيخ «بوشهر» عمليات الصيد بالكامل، ويبدو أنّه يعتبر تلك الجزر من ملكياته الخاصة». وتعود مراكب البحرين من المنطقة المجاورة إلى مينائها لكي يُفتح المحار المُحمّل على متنها، في حين أنّ القادمين من ساحل القراصنة يواصلون مسيرهم إلى جزر عدّة تتوزع على الجزء السفلي من الساحل، وذلك بغية تحقيق الغرض نفسه. ويتم تشغيل ثلاثة آلاف مركب على الأقل خلال الموسم. وقد سنحت لنا الفرصة أن نشقّ طريقنا بين أسطول مكون من مئتين أو ثلاثمئة مركب. كان الجميع يعمل بنشاط بفضل الطقس المستقر، والحارّ، والرّطب، ممّا كان يساعد على هدوء مياه البحر، وصفاء الأجواء، وكان هذا مناسبًا جدًا لهم.

وأقتبس مرة أخرى من تقرير الرائد (ويلسون) الأكثر أهمية، إذ يقول فيه «ينقسم موسم الصّيد إلى قسمين؛ يُسمّى الأوّل الموسم القصير والبارد، أما القسم الآخر فهو الطويل والحار مع العلم أنّ موسم الصيد القصير والبارد شائعٌ في الأمكنة كلها. وفي الطقس الأكثر برودة في شهر حزيران/ يونيو يُمارَس الغطس على طول الساحل في المياه الضحلة ولا تُقصد الضفاف البحرينية المذكورة أعلاه إلاّ في الأشهر الحارّة جدًا، أي في تموز/ يوليو وآب/ أغسطس ومنتصف شهر أيلول/ سبتمبر، إذ إنّ المياه هناك أعمق، بحيث تصل إلى نحو سبع قامات، وينزعج الغواصون كثيرًا عندما تكون المياه باردة؛ فهم في الحقيقة لا يُحسنونَ الصيد بشكلٍ جيّد إلّا عندما تكون المياه دافئة كما الهواء، وترتفع حرارة المياه في أشهر الصيف الحارّة كما ذُكر آنفًا».

ويُقدّر ربح صيد اللؤلؤ بشكل عام في الخليج الفارسي بنحو نصف مليون «جنيه إسترليني» سنويًا، إلّا أنّ استخدام اللؤلؤ يبدو في تراجع نوعًا ما، فالقدماء

كانوا يقدّرون هذه اللآلئ أكثر من المعاصرين. وهنا أقتبس مجددًا عن العقيد (ويلسون) قوله الآتي: «لم أعترف في التقدير المذكور أعلاه بأكثر من سدس القيمة التي ذكرها التجّار المحليون، نظرًا إلى أنّ المسألة تبقى مسألة تخمين أو مجرّد رأي، ومن الصعب الحصول على حقائق موثوقة. أمّا تقديري الخاص فهو يرتكز إلى حدّ كبير على أرباح المراكب الصغيرة التقديريّة، ولكنّ المجموع الذي قدّرته يُعدّ قيمة سنوية كبيرة بالنسبة إلى سلعة متوفّرة في أماكن أخرى من العالم ولم تُستخدم إلاّ كحُليّ في أفضل الحالات. إضافةً إلى ذلك، تُستخدم كميّة كبيرة من اللآلئ الصغيرة في آسيا في تركيب المعجون والمستحضرات الدوائية لتشكّل المادةَ التي تُمزج بها أحيانًا أنواع الأحجار الكريمة كلّها بعد سحقها باستثناء الألماس الذي يُعدّ {نظرًا إلى صلابته} غير قابل للسحق على الإطلاق. كما إنّ المعجون هذا يحتوي كمية كبيرة من اللآلئ، ويكثر الطلب عليه وتُقدّر قيمته بحسب صفاته التحفيزيّة والقويّة المفترضة. إلاّ أنّني أتصوّر أنّ اللآلئ ليست سوى كبريتات كالسيوم مائية، وأنّ لآلئ كليوباترا لم تكن فاخرة في الواقع».

«يُقدّر عدد مراكب صيد اللؤلؤ البحرينية بنحو ألف وخمسمئة مركب، ويتولّى صيد اللؤلؤ تجّار المنطقة الذين يمتلك بعضهم رأسَ مالٍ كبيرًا. يقسو التجار كثيرًا على المنتجين، أو الصيّادين، فالرجل الذي يبذل الجهود الأكبر في الغوص [الغواص] بالكاد يملك ما يقتاتُ به. أضف إلى ذلك أنّ التاجر يعطي بحّارته نسبة مئوية من المال[1] فضلاً عن حصةٍ من التمر، والأرز، وسلعٍ ضروريةٍ

(1) في نظام الغوص في البحرين والخليج عمومًا، يقوم من يسمى النوخذة السلفي، وهو من أهم نواخذة الغوص ضمن أنظمة الغوص المالية وتقاليده، بتسليف بحّارته مبالغَ من المال قبل دخوله رحلة الغوص، إذ إنّ البحّارة العاطلين عن العمل خلال فصل الشتاء لا يجدون ما ينفقونه على أنفسهم وعائلاتهم، فيقوم النوخذة السلفي، بعد انتهاء موسم الغوص مباشرة، بإعطائهم مبالغ مقدمة، تسمى «التسقام» على ذمة إيراد الغوص في العام القادم حيث تُقتطع ممّا سيحصلون عليه في موسم الغوص الصيفيّ، حتى يتمكنوا من تلبية مطالب الحياة. وقبيل شروع البحّارة برحلة الغوص التالية، يقوم النوخذة السلفي بإعطاء بحّارته مبلغًا آخر من المال يسمى «السلف»، كي يقوم البحّارة بشراء حاجيات بيتهم خلال فترة الغوص التي سيكونون فيها على متن مراكب الغوص خارج البلاد. وتوثّق هذه المبالغ وغيرها التي تُعطى البحارة مُقدمًا في دفتر خاص لكل بحّار، بحسب وظيفته على متن مركب الغوص، وكذلك

أخرى وكلّها على نفقة المُزوّد الخاصة. كما إنّه يقدّم لهم مركبًا للصيد حيث ينال حصة من الأرباح الكبيرة عما تم صيده كافة، وفي النهاية يشتري اللآلئ بالسعر الذي يريده تقريبًا، ويبقى الصيّادون المساكين مدينين له إجمالًا، وبالتالي يبقون تحت رحمته».

«يمكن أن يُعدّ ما سيتمّ ذكره لاحقًا أسلوبًا شائعًا في العمل؛ إذ يتفق خمسة غوّاصين وخمسة سيوب[1] -أي الذين يسحبون حبال الغوّاص إلى الأعلى- على المشاركة معًا في مركب[2] واحد؛ وقد يكون الرأسماليّ بينهم قد أقرض هؤلاء الرجال العشرة نحو 250 «كراون» ألمانيًا لدعم عائلاتهم خلال الفترة الأولى من العام، وربّما لم يحالفهم الحظّ أيضًا في الصيد في العالم الفائت ولم يكسبوا إلّا القليل».

---

في دفاتر النوخذة لتستند المحاسبة إليها لاحقًا. ويحتسب بعض النواخذة فائدة تتراوح بين 10 و20 في المئة على هذه الدفعات المقدمة للبحّارة. لأنّ هذا النوع من النواخذة ليس من النوع السلفي، بل يقترض بنفسه من تجار اللؤلؤ الذين يطلق عليهم اسم المسقم، أمّا النواخذة الذين يقومون بدفع المبالغ المقدمة للبحارة من أموالهم الخاصة من دون الاقتراض من أي أحدٍ، فلا يحتسب أغلبهم فائدة على هذه المبالغ المدفوعة سلفًا. انظر: الشملان، عبد الله خليفة، صناعة الغوص، ط 2، (البحرين، 1993)، ص 102 - 103، 149.

(1) **السيب** جمعه «سيوب»، وهو الشخص الذي يقوم بمهمة خطرة فيها حياة أو موت الغوّاص، لأنّه المسؤول الأوّل عن سحب الغوّاص من قاع البحر ولذا فهو بحّار ذو دراية كافية بأمور البحر، دائمًا حاضر البال ومركزٌ حواسه لأي إشارة تصدر من الغوّاص في قاع البحر وذو قوة بدنية عالية. ويقوم السيب بأعمال كثيرة وشاقة في رحلة الغوص، ولكل غوّاص سيبٌ مسؤول عنه طالما أنّه تحت الماء. لذا، فمهمّته تجهيز الحبال وفحصها جيّدًا قبل نزول الغواص إلى القعر. وكذلك من مهمة السيب تسلم الديين، وهو كيس حفظ اللؤلؤ المستخرج من قاع البحر، بحيث يأخذه من الغواص بعد رفعه من الماء فيفرغه على متن السفينة ثمّ يرجعه إلى الغواص فارغًا مرّة أخرى. ويقوم السيب بأعمال أخرى أيضًا على ظهر السفينة، منها الاشتراك مع البحارة في فتح المحار وفحصه واستخراج ما فيه من لؤلؤ في فترات الراحة أو الأوقات التي يتعذر فيها الغوص نظرًا إلى سوء أحوال الطقس. وتجدر الإشارة إلى أنّ للسيب سهمين من محصول السفينة في كل الموسم. انظر: الشملان، عبد الله خليفة، صناعة الغوص، (البحرين، 1993)، ص 8 - 10؛ الشملان، سيف مرزوق، تاريخ غوص اللؤلؤ في الكويت والخليج، (الكويت، 1986)، ج 1، ص 272.

(2) لا يبحر بدون نوخذة متمرّس بالإبحار وله خبرة عريقة في ذلك، ولا يجازف أحدٌ من نواخذة البرّ أو المسقمين بإرسال غواصّين وسيوب وحدهم من دون نوخذة لصيد اللؤلؤ.

«ومن المفترض أنّهم قد يكسبون في العام الحالي ما يقدّره، مُتكرّمًا، ذاك الرأسمالي بحيث ينالون 1,000 «كراون» ألماني، وهو مبلغٌ يعتبر عادلًا نوعًا ما، لا بل سخيًّا بالنسبة إلى موسم واحد. ويكون التقسيم على الشكل الآتي:

| **القيمة الإجمالية المكتسبة/ «كراون» ألماني** | **1,000** |
|---|---|
| أولًا، تخصم نسبة 1/11 لصالح الرأسمالي صاحب المركب | 910 = 90 - 1,000 |
| ثانيًا، تخصم 250 «كراون» مدفوعة سلفًا للطعام، غيره من الأمور | 660 = 250 - 910 |
| ثالثًا، تخصم 100 في المئة من 250 «كراون» مدفوعة سلفًا | 410 = 250 - 660 |
| رابعًا، تخصم 5 «كراون» من كل صياد، تدفع كضريبة للشيخ أو لزعيم الجزيرة | 360 = 50 - 410 |
| **الرصيد** | **360** |

ويُقسّم هذا المبلغ بين الصيادين العشرة، فيبقى لكلّ منهم 36 «كراون».

«إذا كان الصيّادون سيئي الحظّ، أو كان الموسم سيئًا، فقد لا يحقّقون أرباحًا على المبلغ الذي يتمّ إنفاقه -كما هو الحال في بعض الأحيان- وبعد ذلك يرزحون تحت الديون، ويعيشون إلى الأبد تحت رحمة الرأسمالي الجشع. وقد يحالف الحظ أشخاصًا آخرين في الحصول على كمية كبيرة من اللآلئ القيّمة وبالتالي يصبحون رأسماليين. وقد يتمّ، من حينٍ إلى آخر، إحضار المحار إلى الساحل قبل فتحه وبيعه بالمُراهنة، إلاّ أنّه عادةً يتم فلق المحار في البحر وتُستخرج منه اللآلئ. ويتم الاحتفاظ بالأصداف الكبيرة؛ علمًا أنّ الكثير منها يتراوح قطره بين 6 و9 بوصات، ويُعتمد في تقدير قيمتها على اللؤلؤة الأم التي كانت فيها. أمّا المحار بحدّ ذاته فلا يُؤكل حتّى في البلدان التي يندر فيها الطعام».

«إن مكان إنتاج السلعة لا يكون بالضرورة المكان الأسهل لبيعها، وفي حال تمّ بيعها في هذا المكان فيجب أن تكون الأكثر رخصًا أو الأفضل جودةً. وفي بعض الأماكن، تشابه أحوال الطبيعة تلك الواردة أعلاه، ممّا يُحبط عملية الإنتاج المُعدّة للأسواق الأجنبية عمومًا قبل الحصول فعليًا على أي لآلئ. أمّا الأفراد الذين ليسوا بتجّار، فهم ملزمون بدفع مبلغ كبير دائمًا مقابل حرية انتقاء الأشياء الأفضل جودةً، لأنّ أخذها يقلّل من القيمة التجارية الخاصة بالإنتاج؛ فضلًا عن أنّ الرجال الذين يعملون في أرضٍ وعرة وفي مجال البيع بالجملة، لن يقوموا بخفض قيمة سلعهم إلى ما دون المستوى الشائع من دون تلقّي رشوة كبيرة. وقد يفسّر هذا الأمر طلب الكثير من الأفراد اختيار اللآلئ الأجود هنا بدلًا من شرائها من لندن.

أمّا اللآلئ السيئة وغير المتميّزة فهي متوافرة بكثرة وبأسعار زهيدة، كما أنّها تُستخدم بكثرة في تطريز ملابس النساء والرجال في فارس، فثوب مخمليّ أزرق مثلًا سيبدو رائعًا ما إذا طُرّز بأناقة باللآلئ. وتعتبر اللآلئ الأكبر والأكثر قيمة التي تراها معظم الشعوب الشرقية جيدة وقيّمة نظرًا إلى حجمها وشكلها؛ مرفوضة في أوروبا، حيث تُعدّ ممزوجة ومُفرزَة بطريقة سيئة. والاختلاف نفسه ينطبق على تقدير عيوب الأحجار والمجوهرات، إلاّ أنّه، في الواقع، تبدو الحاجة إلى الدقة والتميّز، أكان ذلك في تصوّر الأفكار وطريقة التعبير عنها، أمرًا جليًّا لدى الآسيويين أكثر منه لدى الأوروبيين بشكل عام. أضف إلى ذلك، أنّ الناس في الأقسام الشرقية والغربية من العالم قد يقصدون جميعهم قول الحقيقة، ولكن وصفَ أيّ شيء قد يختلف إن أتى على لسان فارسي، أو عربيّ، أو هنديّ، مُقارنةً بما يأتي على لسان الإنجليزيّ!».

عندما يصل أحد المراكب إلى موقع يُعدّ مناسبًا من حيث طبيعة قاع المياه، يرسو هناك، ويقسم الطاقم نفسه إلى قسمين؛ بحيث يبقى قسم في المركب لتسلم المحار وسحب الغواصين، في حين يخلع القسم الآخر ملابسهم العلوية

ويقفزون إلى البحر. ثمّ يُعطى الغواص سلّة صغيرة قادرة على حمل ما بين ثماني محارٍ إلى عشر محار، بحيث يعلّقها في ذراعه اليسرى، ويغلق أنفه بقطعة من المطاط، ويضع قدمه على حجر مربوطٍ بحبل[1]، ليأخذ بعدها نفسًا عميقًا ويُبقي يده اليمنى مرفوعة إلى الأعلى كإشارة عند بدء الصعود، ويُترك الحبل رخوًا عندما يغوص الغوّاص إلى الأعماق. وبعد جمع أكبر قدر ممكن في متناول يده، يهزّ الحبل ويُسحب إلى سطح المياه فورًا. يبلغ متوسط مدّة العملية أربعين ثانية، ويمكن للغواصين المكوث في الأسفل مدّة دقيقة واحدة وخمسًا وثلاثين ثانية كحدّ أقصى.

ويتمسك الغواصون بضع دقائق بالحبال المعلّقة على جوانب المركب للغوص مرّة ثانية، ويكررون محاولاتهم إلى أنّ يتعبوا، فيتبادلون المواقع مع أولئك الواقفين على متن المركب، وتتكرر العملية مرات عدّة حتى تكتمل حمولتهم. يُقدّر ثمن المحار المفتوح بـ «دولارين»، فإذا أحضروا خمس محار إلى السطح فإنّ كلّ عملية غطس تكلّف بنسًا واحدًا، ما يعتبر مبلغًا ضئيلًا جدًا مقابل وظيفة شاقّة وغير صحية كهذه، إلاّ أنّ الحظَّ يحالف العاملين في حال أرضوا مطالب أسيادهم الجشعة ليحصلوا بعدها على «دولار» ثالث. لا يتلقّى أي من الصيّادين أجرًا محددًا، بل تُدفع لهم حصص معيّنة بحسب مهاراتهم كغواصين، أو لأسباب أخرى. وتسبب أسماك القرش القليل من الفزع، لكنّ سمك المنشار يرعب الغواصين أكثر، وقد بلغني أنّ هذه الوحوش قطّعت بعض الرجال إلى نصفين. ومن أجل حماية أنفسهم من حيوان الدُّول[2] المنتفخ، الذي يطوف أحيانًا في بعض الأماكن، ويلدغهم

(1) يسمى حبل «الزبيل» حيث توضع في طرفه قطعةٌ من مادة الرصاص الثقيل تسمى «الحير»، من شأنها أن تسرّع إنزال الغوّاص إلى قاع البحر حيث اللآلئ.

(2) الدُّول بتشديد الدال وتسكين اللام، هو كائن بحري هُلامي التكوين من الرخويات وينسب إلى فصيلة اللافقريات، أي لا عظام له ولا عمود فقريًا، ولا معدة، فالأمعاء هي التي تستقبل الطعام. يُسمّى علميًّا بقنديل البحر، فهو يعكس ضوء الشمس من مظلته الشفافة لهذا أطلق عليه العلماء هذا المصطلح،

إذا احتكوا به، فهم يغطون أنفسهم بأثوابٍ بيضاء[1] عندما يطوفون في المياه تحت أشعة الشمس الساطعة.

ولفتح المحار أساليبُ عدّة، إلاّ أنّ أكثرها شيوعًا هو فتح المحار بسكين مشبّك للحصول على اللؤلؤة الكامنة في القسم العضلي من السمكة حيث تكون ملتصقة بالصدفة. وتكون الأصداف أحيانًا مكدّسة على الساحل حيث تؤدي حرارة الشمس إلى تحلّل الكائن اللحمي فيها فيسهل الحصول على اللآلئ.

يفرض الشيوخ ضريبة تتراوح بين ثلاثة «دولارات» وخمسة «دولارات» على كل مركب بحسب حجمه. أمّا قيمة إنتاج الموسم أجمع في الميناء الرئيس، فيُقدّر بأربعمئة ألف «دولار»، أو نحو ثمانين ألف «باوند»، ويشتري التّجار الهندوس قسمًا منه، ويُحوّل ثلثاه إلى الهند، في حين يرسل الجزء المتبقي منه إلى فارس والجزيرة العربية.

---

ويُعرف في الأصل بالإنجليزية باسم (Jelly Fish). ينتشر الدُّول في بحار العالم اجمع، ويعيش بالقرب من سطح الماء. شكل جسمه اسطوانّي أو مخروطيّ وله زعانف طويلة تُسمى شراشف. ويختلف حجم الدُّول بعضه عن بعض، فمنه ما يقل حجمه عن طرف الأصبع، في حين أنّ النوع المسمى «ذو الجرس العدسي» يبلغ عرضه 2.25 مترًا، وسُمكه 90 سنتيمترًا، وله أكثر من ألف ذراع لاسع، يبلغ طول بعضها أكثر من 36 مترًا، ووزنه لا يقلّ عن 90 كيلوجرامًا. يطلق على هذا الكائن الغريب اسم آخر هو «لواسع البحر» لأنّه يمتلك عددا كبيرًا من المجسات الطرفيه المدببة المحتوية على عدد كبير من الخلايا اللاسعة التي تستخدم جميعها في وقت واحد عند الهجوم على العدو أو الضحية، وهي تتكون من انتفاخ صغير جدًا مملوء بمادة كيميائية، إضافة إلى أنبوب ملتف صغير وشعيرات على هيئة قذائف تُطلق عند الحاجة، فعند لمس هذه القذائف تنطلق من الأنبوب إبرة حادة تخترق جلد المهاجم لتنفث سمها في جسمه. ويطلق على هذه الخلايا اللاسعة اسم (nematocyst) وهي تعني أنبوبة المثانة.
وكان الدُّول يسبب حروقًا للغواصين في الخليج في زمن اللؤلؤ، بمجرد لمسه أجسادهم، ممّا يضطر بعضهم إلى العودة من رحلة الغوص لتلقي العلاج في البلاد. وتزداد أعداد الدُّول، أو قنديل البحر، بحسب درجات الحرارة المناسبة لهجرتها، ولهذا كانت تكثر في مياه الخليج في فصل الربيع وهو حدود شهر أيار/ مايو وحزيران / يونيو، أي فترة بداية موسم الغوص. انظر: سيف مرزوق، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج، ج 1، ص 313 - 412.

(1) عادةً ما يتقي الغوّاصون في الخليج الدُّول بلباس أسود خفيف حالما يرون هذا الحيوان، وهو يُسمى بلباس الغوص.

وبعد خمسة أيام من مغادرة رأس الخيمة، رأينا أمامنا مجموعة من الجزر يطلق عليها اسم مجموعة (Maudes)، تُشابه إحداها الأخرى بشكلٍ كبير من حيث الحجم والشكل والتكوين. ويبدو أنّ طبيعتها تعود إلى أصول بركانية بسبب كثرة الكبريت والجبس والأنتيمون، والحديد فيها. وتشكّل هذه الجزر منظرًا رائعًا من جهة البحر. فعلى سبيل المثال، تُظهرُ جزيرة صير بني ياس مجموعةً من القمم الوعرة ذات الألوان المتباينة؛ بعضها أسود، وبعضها الآخر أخضر، أو رماديّ، أو بنيّ، أو ناصع البياض. أحسست حينذاك بالقليل من المرض والخوف نتيجةَ تفاقم مرضي بعدَ التعرّض لأشعة الشمس، ولولا ذلك، لكنت انتهزت بسرور فرصة معاينة بُنْيَة تلك الجزر؛ ولكنّني اكتفيتُ بإقناع نفسي أنّ المنطقة ستحظى باهتمام بعض المسافرين في المستقبل.

وتمتدّ بحيرة جميلة في هذه الجزيرة حتّى وسطها تقريبًا، علمًا أنّها أرضٌ مغلقة وفيها قناة ضيقة تتميّز فيها المياه بانسيابها وكأنّها في طاحونةٍ مائية. وترسو المراكب عادةً هناك بأعداد كبيرة أثناء عمليات الصيد، وتكثر الأصداف عند طرف الميناء. وفي الوقت الذي يبقى فيه البحّارة على الجزيرة، يقومون بتحويل صواري المراكب والأشرعة إلى خيَمٍ. أمّا طعام هؤلاء الصيادين المساكين فيرثى له؛ فهم يأكلون التمور وحسب، لأنّها الطعام الوحيد الذي يستطيعون الحصول عليه، بالإضافة إلى المياه. وخلال جولتنا البحرية بين الصيّادين على متن السفينة، كانت هدايانا الصغيرة من الخبز أو الأرزّ، تُعدّ قيمةً إضافيّةً مرحّبًا بها. أمّا المشهد التالي المثير للاهتمام الذي دنونا منه، فكان الرأس الرمليّ المنخفض -واسمه رأس ركن- الذي يقطنه، والمنطقة المتاخمة له، مجموعةٌ من البدو المولعين بالحروب والعنف. وبالتالي لم نُعِر تلك الأرض اهتمامنا بل واصلنا الطريق نحو تلك الجزيرة -أي البحرين- التي تمثّل البقعة الأكثر خضرةً في بحر عُمان الأخضر. إنّ الخريطة التي نستندُ إليها في هذا العمل، تمّ جلبها من مسحٍ مفصّل أَجرته مؤخّرًا شركة الهند

الشرقية، وهي تعكس أمانة المسؤولين الذين شاركوا في إعدادها، كما أنّني فخور وسعيد لذكر أسمائهم في هذه الصفحات. فحتّى العام 1764، لم نكن نملك أي خريطة للخليج الفارسي. وفي هذا الصدد، يُعدّ نيارخوس (Nearehus)[1] من بين الأوروبيين الأوائل الذين عبروا مياه هذا الخليج. وقد تحدّث بنيامين التطيلي[2] عن هذه المنطقة في العام 1292م.، لكنّنا لم نحصل على الخريطة إلّا بعد زيارة نيبور الشهير لها. فالدّقة الاستثنائيّة التي اتّصف بها ذاك الرجل البارز تتجلّى بوضوح في هذا العمل كما في أعماله في فروع أخرى من المعارف الإنسانية التي لفتت إليها الأنظار خلال فترة إقامته في الشرق. ويُعتبر الملازم ماكلور (Mclure) أحد أدقّ المتخصصين العصريين في علم مسح البحار لكنّه لم يكن معروف جيدًا، وقد زوّدنا بخريطة ومذكّرات حول تلك المناطق المثيرة للاهتمام.

وبعد سقوط رأس الخيمة، تبيّنَ أنّ القراصنة لاذوا بالفرار من سفننا عبر اللجوء إلى الموانئ الكثيرة التي يعجّ بها الساحل العربي، كما أنّ حكومة ماونتستيوارت إلفينستون (Mountstuart Elphinstone) الليبرالية أدركت، على الفور، الفائدة التي ستنشأ عن إبقاء هذه الملاجئ البحرية مفتوحة. وفي حزيران/ يونيو من العام 1821، اختيرَت سفينتان لهذا لغرض؛ وهما «ديسكڤري» (Discovery)[3]، و«سايك». وفيما يلي أذكر أسماء المسؤولين عن السفينتين:

---

(1) **نيارخوس** هو القائد اليوناني في جيش اسكندر الأكبر، الذي أبحر في مياه الخليج في العام 225 ق.م. بتكليفٍ من اسكندر الأكبر.

(2) **بنيامين التطيلي** هو رحّالة يهودي، واسمه الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي، من مدينة طليطلة الإسبانية العربية. قام برحلته إلى أوروبا، وآسيا، وأفريقيا في القرن الثاني عشر الميلادي. كتب عن رحلته باللغة العبرية، ثم نُقلت كتاباته إلى اللاتينية، وثم إلى أغلب اللغات الأوروبيّة.

(3) **ديسكڤري** قادت مهمّة ضدّ القواسم في العام 1820م، وهي سفينة مسح دخلت الخدمة في العام 1800 وتمّ بيعها في العام 1828م.

| سفينة «ديسكفري» | |
|---|---|
| الملازم جيه. إم. غاي (J. M. Guy) | القائد |
| روبرت كوغان (Robert Cogan) | ملازم أول |
| دبليو. إي. روجرز (W. E. Rogers) | ملازم ثانٍ |
| دبليو. أل. كليمونتس (W. L. Clements) | ملازم ثالث |
| الملازم أم. هوفتون (M. Houghton) | رسّام هندسي |
| السيد جيه. أندرسون (J. Anderson) | مساعد جرّاح |
| إي. بي. سكوايرز (E. B. Squires) | ضابط صف بحري |
| توماس موليون (Thomas Mullion) | ضابط صف بحري |
| إتش .إتش. وايتلوك (H. H. White lock) | ضابط صف بحري |
| سفينة «سايك» | |
| الملازم جي. بي. بروكس (G. B. Brucks) | القائد |
| جيه. إتش. روبانز (J. H. Rouband) | ملازم أول |
| دبليو. أم. لوي (W. M. Lowe) | ملازم ثانٍ |
| دبليو. سپراي (W. Spry) | مساعد جرّاح |
| جيو. پيلتشر (Geo. Pilcher) | ضابط صف بحري |
| توماس بوير (Thos. Boyer) | ضابط صف بحري |
| تي. إي. روجرز (T. E. Rogers) | ضابط صف بحري |

وبعد ثماني عشرة عامًا، حصد الموت المؤلم أرواح الأشخاص الذين ذكروا في هاتين اللائحتين!

لقد أطلقَ جغرافيونا اسم البحرين على ذلك الجزء من الجزيرة العربية الواقعة مقابل جزيرة تيرا التي ذكرها بطليموس، وجزيرة إيكيريا التي ذكرها (سترابو)، مع أنّ السلطات السابقة قد أتت على ذكرها مرارًا، إلا إنّ البرتغاليين لم يغفلوا أهميتها حين سيطروا على محطات في الخليج الفارسي.

وسرعان ما توجّه الاهتمام مجددًا نحو تلك المنطقة التي تتّصف بالتربة الخصبة وكثرة مصادر المياه، فضلًا عن قابليتها لأعلى مستوى من الزراعة. وهناك لاحظنا بقعة أشبه بواحةٍ تقع وسط القفار المحرقة والشاسعة. وموانئ هذه المنطقة جيدة على الرغم من صعوبة الوصول إليها، لذا إن كان على البريطانيين احتلال محطاتٍ ما في الخليج الفارسي، فلتكن البحرين و«خارك». وأنا أكنّ الكثير من الاحترام للبرتغاليين بسبب المحطات المهمّة التي اختاروها.

ويبلغ عدد سكان البحرين، في الوقت الحاضر، نحو 5,000 نسمة[1]، ويُعد صيد اللآلئ مصدر العمل الرئيس ونمط العيش الأساس، كما أنّهم يعتمدون على العلاقات التجارية مع موانئ أخرى في الخليج الفارسي. وتقع المدينة الرئيسة، المسماة بالمنامة، في أقصى شمال الجزيرة، ويبلغ طول الجزيرة نحو عشرين ميلًا، وهي ضيّقة وترتفع تلال جبلية في الجزء الأكبر منها[2].

لا يُمكن ألّا يُوجّه الاهتمام إلى أولئك الذين صبّوا تحقيقاتهم وملاحظاتهم على تلك المناطق المثيرة للاهتمام، إذ إنّ الجغرافيين العرب، ومن تبعهم لاحقًا، قد وجدوا نهرًا يتدفّق من الداخل ويصبّ في الساحل المقابل لجزيرة البحرين.

وفي هذا الشأن، لا أدري إن كانت سفن المسح قد أجرت هذا البحث، وإن كان ذاك النهر واحدًا من الجداول الكثيرة الموسميّة -كما هي الحال في

(1) يتّضح الخطأ في الرقم مقارنةً بتقاريرَ إنجليزيةٍ أخرى سابقة.

(2) على الرغم من أنّني أقترح إدراج جدول يتضمّن خطوط الطول والعرض جميعها الخاصة بمختلف الأماكن الوارد ذكرها في ملحق المجلّدات؛ إلاّ أنّني أعتذر عن مقاطعة مسار السرد القصصي من خلال ذكر تلك الأرقام في النصّ. (هامش الأرشيف البريطاني)

أجزاء أخرى من الجزيرة العربية- حيث يفيض عند هطول الأمطار ثمّ يختفي على الفور. ولم يأتِ النقيب سادلير (Sadler)، مرّة أخرى، على ذكر ذلك النهر في رحلته البارزة التي قام بها إلى شبه الجزيرة العربية، كما أنّ النهرَ هذا لا يظهر في خرائط المسح، ومع ذلك لا أريد الاستخفاف بخبرة المؤلّفين الجغرافيين العرب، إذ ثمّة ظاهرة غريبة تتعلّق بالمياه المنعشة التي تزخر بتلك المنطقة، وهي ظاهرةٌ تستأهل التوقّف عندها، إذ تُبيّن أنّ ماءً عذبًا يتجمّع تحت البحر في جوار البحرين، ويستخدمه السكّان وتُملأُ به السفن والمراكب التي تزور الجزيرة. أمّا طريقة الحصول عليه فبسيطة وخاصة بأولئك السكان؛ إذ يغوص الغواص في البحر حاملًا قُربة فارغة، ويضع فوهتها فوق البقعة التي تتدفّق منها المياه العذبة ويربطها بحبلٍ وعند ملئها يسحبها إلى السطح. تُغطّى هذه الينابيع عند ارتفاع المدّ باثني عشر قدمًا من المياه، ولا يراودني أدنى شكّ أنّه لو أُجريت الأبحاث عليها لعُثرَ على ينابيعَ من الطبيعة نفسها في أنحاء أخرى من العالم.

# المسح الثاني لمنطقة الخليج

1857 - 1860م

# الإصدار السابع

# تـــقـــريـــر حـــــول الـــبـــحـــريـــن[1]

**أعده**

الملازم آر. دبليو. ويش(R. W. Whish)[2]

البحرية الهندية الخاصة بجلالة الملكة

{أُلقيَت أمام الجمعية

في 21 تشرين الثاني/ نوفمبر 1861}

(1) انظر: أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية الأصلية، مركز أوال للدراسات والتوثيق (بيروت، 2019)، مج 1، ص 185 - 194.

(2) **ريتشارد وليام ويش Richard William Whish** هو مسّاح، وكاتب مذكّرات، عُيِّنَ ملازمًا في البحرية الهندية ما بين الخمسينيات والستينيات، وتمّ تعيينه في البحرية الهندية في العام 1842؛ حاز على رتبة قائد فخري في 30 نيسان/ أبريل 1863.

أثناء تقديم النسخة المرفقة من {مسح ميناء البحرين وخور الباب[1]}، يُستحسن وصف الظروف التي أُجريَ المسح في ظلها، إضافةً إلى تسليط الضوء على النواقص الواضحة فيه وإلى عدم اكتماله.

وبالتالي، أودّ أن ألفت نظركم إلى أنّه تم إجراء هذا المسح أثناء تواجدنا على متن باخرة «ماهي» (Mahi) الخاصة بجلالة ملكة بريطانيا، والتابعة للبحرية الهندية، وذلك بغيةَ القيام برحلات بحرية بين البحرين والدمام لمراقبة تحركات زعماء المناطق المذكورة، والتبليغ عن أيّ أعمال عدائية تقوم بها تلك الأطراف. وأثناء قيامي بهذه المهمة، سنحت لي الفرصة لمُعاينة قناة تدعى خور الكاب، تقع بين فشت الجارم وخور فشت، والتحقّق من صحة الخريطة الخاصة بالبحرين، التي تُزوّد بها السفن في تلك المحطة.

وبحسب ما ذُكِر في تقرير الملازم كونستبل (Constable)[2]، الذي نُشر في العام 1856، يبدو أنّ قناة خور الكاب كانت معروفة عندَ مساحي الخليج وضباط البحرية منذ سنوات عدّة، ولكن ما من سجلٍّ يُشير إليها، وهي غير معروفة وغير باديةٍ في خريطة ميناء البحرين المتوفرة؛ ذلك أنّ فشت الجارم يظهر متصلًا بالساحل بحسب الخريطة و«يجف عند المياه الضحلة».

(1) **خور الكاب** هو مساحة مائية ليست عميقة جدًا وشبه مغلقة. يقع الخور في خليجٍ، وتحيط المنامة والبلاد القديمة من الشمال والشمال الغربي، وقرية توبلي ومدينة عيسى الحديثة من الشرق، وخليج توبلي وجزيرة سترة من الجنوب والجنوب الغربي.

(2) **تشارلز جي. كونستبل Charles G. Constable** هو ابن الرسّام جون كونستبل؛ عُيِّن ملازمًا في البحرية الهندية بين الخمسينيات والستينيات. أجرى مسحًا للخليج الفارسي ما بين العام 1857 و1860، ونشر أبحاثًا متنوعة حول المنطقة. كتب مذكّرات في البحرين.

أصبح المرور من خور الكاب متاحًا للملاحة، بحسب ما أثبتت الباخرة الهندية الخاصة بجلالة ملكة بريطانيا، «سميراميس» (Semiramis)، والتابعة لأسطول الهند، بالإضافة إلى سفن أسطول الخليج الفارسي، وذلك بعد مرورهم عبر القناة في العام 1859، وهي حتّى الآن مغلقة في وجه سفن الحكومة، وفقَ ما تبيّن لي، بسبب غيرة شيخ البحرين، الذي أعطى تعليمات لربان السفن بالإبلاغ عن خطورة القناة وعدم إمكانية سلوكها. وتعتبر هذه القناة من القنوات الأكثر أهميةً، فهي عبارة عن خطّ مباشر بين البحرين والقطيف، وهي المنطقة التي تشهد ازدحامًا مستمرًا ويمكن سلوكها على مدار السنة؛ أيًا يكن الفصل أو حال الطقس. وبينما كنت أبحر على متن السفينة الهندية الخاصة بجلالة ملكة بريطانيا، المُسمّاة «ماهي»، عصفت بي رياحٌ شمالية قوية أثّرت فيّ كتأثير أي زورق حربي. وخلال المرور عبر هذه القناة، يمكن اختصار عشرين ميلًا من المسار الطبيعي الذي يُسلكُ حول رأس الجارم، فالمسار التقليديّ يبعد مسافة 45 ميلًا من البحرين إلى القطيف، أما المسار الجديد فيبعد 25 ميلًا من المرسى إلى المرسى ويتميز بالمياه الهادئة.

وبغيةَ الوصول إلى الدمام، لا بدّ من الانتباه إلى الحيد الخطير الواقع إلى غرب خور فشت شديد الحدّة، ويُدعى حيد (Chaschus)، وكذلك إلى ما يُعرف بالنيوه، ويقع إلى الجهة الشمالية من الممر. وعندما كنّا نُبحر على متن سفينة «سميراميس» خلفَ الباخرة «ماهي»، كما ذكرنا سابقًا، مررنا بعمقٍ تراوحَ ما بين 24 قامة و74 قامة -من جانب حيد (Chaschus) الشمالي. إنّ الخطّ الساحليّ من الدّمام إلى رأس تنورة، هو مسارٌ خاطئ كليًّا، وأعتذر عن كوني غير مؤهّلٍ لتقديم أي خطة معدلة خاصة بهذا الطريق، ذلك أنّني أفتقد الوسائل اللازمة لهذا الأمر. والمكان الذي كنتُ متوجّهًا إليه للمراقبة يُدعى السنابس[1]

(1) **السنابس** من قرى البحرين المأهولة منذ القدم. تقع على ساحل جزر البحرين الشمالي، وتمتد نحو نصف الميل، عُرف أهلها بمهارتهم في الغوص وبناء السفن والصيد وتجارة اللؤلؤ، ومنهم أحد أكبر تجار اللؤلؤ في المنطقة ويدعى أحمد بن خميس.

من (Boo-Felassur) وهو لا يبان على خريطة القطيف، ويقع على حيدٍ تغطيه مياه مرتفعة. وقد اعتذر الملازم (كونستبل) في مذكراته عن عدم تخطيط القطيف هذا، بالإضافة إلى أنّ هذه الملاحظات استُخلِصت نتيجة ارتباط تلك المنطقة بخور الكاب البعيد عن أكثر المناطق التي تشهد مشاكل في الخليج. وقد تطلب الأمر بقاء سفينة من الأسطول لضبط النظام ومنع الاضطرابات.

وأثناء متابعة تفقّد منطقة خور الكاب، انتهزت الفرصة للتحقّق من صحة خريطة ميناء البحرين المستخدمة في الوقت الحاضر، ووجدتُ أنّه على الرغم من كونها تقدّم معلومات كافية عن المكان، فقد كانت تفتقر إلى بعض التفاصيل.

أمّا الخريطة المقدّمة الآن، فقد جرى إعدادها بحسب المقاييس المأخوذة من الطائرات، على اعتبار أنّ بوصة واحدة تساوي 2,000 ياردة، وقد صُمّمت بعناية ودقة كاملتين. وبالإضافة إلى عمليات الاستطلاع في الميناء، كنتُ قادرًا على تقديم فكرة عن المنطقة من الداخل، علمًا أنّ ذلك يعود إلى الجولة التي قمتُ بها إلى الرفاع وجبل الدخان[1]؛ وهي الأراضي الأكثر ارتفاعًا في جزيرة البحرين حيث نصبتُ شكلًا هرميًّا على قمة الجبل وتمركزت فيه.

تظهر الخريطة كلّها على أنّها أكثر من مجرّد دليلٍ بل تُعدّ مسحًا دقيقًا وكاملًا يُستفادُ منه في المستقبل، وهي فعلًا كذلك، حتى أنّني غامرت بعرضها على الملأ.

ومن خلال اعتماد قاعدة قياسية جيّدة، يتبيّن أنّ الزاوية الصحيحة الخاصة بمنزل الشيخ في المنامة {حيث حدّدت خط الطول الصحيح} والمأخوذة من

(1) **جبل الدخان** يعدّ تلاً بحسب المقاييس الجغرافية، لكن، نظرًا إلى أنه أعلى منطقة في جزر البحرين مقارنة بطبيعة سطح البحرين السهلي، فقد أطلق عليه الأهالي منذ القدم اسم جبل. ويقع جبل الدخان في قلب جزيرة البحرين الكبرى، جنوب منطقة الصخير، التي تمتاز بكثرة التلال والأراضي المرتفعة، ويرتفع الجبل نحو 134 مترًا عن سطح البحر، ويحتوي صخورًا بركانيّة بالدرجة الأولى. سُمّي الجبل بهذا الاسم بسبب التكوينات الضبابيّة التي تجعل الصخور تبدو وكأنها مُحاطة بدخان رماديّ متصاعد من البر، ولا سيما في فترات الصيف.

القمّة الأعلى في قلعة البحرين أو قلعة البرتغال، هي 88 درجة جنوبًا و20 و30 درجة شرقًا، وعلى بُعد 5,902 ياردة. يُطلق الأهالي المحليون على هذه القلعة أسماء عدّة، منها قلعة الفرنجة، وقلعة الجبلة، وقلعة البحرين، كما أنّها تُعدّ موقعًا يعود إلى مدينة قديمة حينَ كانت المنامة لا تزال مجرّد قرية للصيد. وتجدر الإشارة إلى أنّه ما من مُدوّنة تظهر عمر القلعة، لكن يُعرف عنها قدمها، وثمّة بعض الرموز والكتابات الظاهرة على حصون القلعة الخارجية. ولكن تبيّن لنا خلال التحقيق، أنّ تلك الحصون تعود إلى تاريخ حديث، وأنّ الأحجار هي، على الأغلب، أحجارُ بعض المباني الأخرى وقد استُخدمت لترميم القلعة بحيث ظهرت عليها رموزٌ عربية. وفي وسط القلعة، بئر عميقة ذات بناء جيّد وفي قعرها كمية صغيرة من المياه قليلة الملوحة. ويذكر السكان المحليّون أنّه كان في الماضي، اتصالٌ بين القلعة وصخرة الفنار التي تحمل إشارات واضحة تُبيّن أنّها كانت تضمّ بعض المباني، إلاّ أنّ المياه ضحلة جدًا في جوارها، فلم تسنح لي الفرصة لتعقّب أي معلومة تفسّر سبب تسميتها بميناء البرتغاليين.

وتقع قرية كرباباد[1] بالقرب من الجهة الشرقية من القلعة، وبينها وبين المنامة قريتا سنابس والنعيم[2].

أمّا مواصفات الجزيرة من الجهة الجنوبية كما هي معروضة في الخريطة المطبوعة، فقد اعتُمِدَ في تحديدها على التخمين، وبلغني أنّه بإمكان أي سفينة

(1) **كرباباد** أو كرب أباد، من قرى الساحل الشمالي في البحرين، وتقع على بعد نصف ميل من شرق قلعة البحرين التاريخيّة. كان يسكنها منذ القدم البحارنة الذين يعملون بالفلاحة، والصيد البحري، والغوص. انظر: لوريمر، جيه. جي.، دليل الخليج، الفهرس الجغرافي، (الدوحة، د.ت)، ج 1، ص 279.

(2) **النعيم** من قرى جزيرة البحرين على الرأس القريب من دوحة فكاكة في جزيرة المحرّق، وتقع على الساحل الشمالي، وهي حاليًّا من ضواحي عاصمة المنامة ولا ساحل لها. كان أهلها من أمهر صناع السفن الخشبية في الخليج، وتشهد على ذلك مصانعُ تلك السفن والصانعون الذين ما زالوا معروفين إلى يومنا هذا. وعمل أهلها في الغوص وصيد السمك سابقًا، وكان شربهم من عيون في قرية عراد. وتنسب هذه الحالة إلى قبيلة النعيم الذين كانوا ينزحون إليها من (قطر) صيفًا وفي القرية مسجد قديم، بني قبل مئة عام. انظر: موسوعة تاريخ البحرين، مج 2، ص 160.

أن تبحر حول الجزيرة حيث تجد في بعض الأماكن أنّ عمق المياه كبيرٌ ويصل إلى 60 قامة، وفي هذه الحالة يكون ذلك المكان القسم الأعمق في الخليج.

هذا وتمركز الزورق المسلّح، المُسمّى «فوكلاند» (Falkland)، هناك، ودارَ حول الجزيرة على أنّه زورق حراسة، لكن لم ترد تقارير حول سعة هذه القنوات.

وأخبرني الشيخ علي بن خليفة أنّه قد يجول على متن السفينة «سميراميس» حول الجزيرة. وأعتقد أنّ قائد السفينة قد فكّر بهذا الأمر على الرغم من أنّ الظروف حالت دون تنفيذه.

يؤدي الطريق من المنامة وصولًا إلى جبل الدخان إلى بساتين نخيل غنية وحدائق باتجاه المنارتين[1]، وعند المرور بها، إنّما تقطع مسافةً من الغابات الخلفية تختلف ضحالتها بحسب الموسم والمدّ والجزر. وبعد قطع نحو نصف ميل في بساتين النخيل، تظهر لك مساحة مفتوحة تضمّ ركامًا أو تلالًا {ربما موقع قرية كبيرة أو مدينة}، ثمّ تنحسر المساحة تدريجيًا إلى أرض سهلة فيها بعض المستنقعات، إلى أن تصلَ إلى منطقة تتغير فيها معالم الجزيرة. ومن هناك، تجتاز، صعودًا، طريقًا صخريًا، بين منحدرات حادّة على ارتفاع 40 أو 50 قدمًا، لتجد نفسك على أرضٍ مرتفعة، وقاحلة، وصخريّة، لا يمكن

(1) ربما يقصد المؤرّخ هنا «المشهد ذا المنارتين»، لأنّه يقع وسط الطريق بين الرفاع والمنامة، وهو مسجد الخميس المشهور تاريخيًّا. يقع هذا المسجد تحديدًا في شمال جزيرة البحرين، ويبعد قرابة 4 كم من مركز مدينة المنامة. يُعرف الحي الذي يقع فيه هذا المسجد باسم الخميس نسبة إلى السوق التي كانت تقام هناك كل خميس حتّى عهدٍ قريب وتُسمى سوق الخميس. ومنطقة الخميس ما هي إلا جزء من المنطقة التي كانت عاصمة البحرين وما زالت تُعرف بالبلاد القديم. وتتضارب أقوال الباحثين عن تاريخ بناء هذا المسجد التاريخي، فبعضهم يقول إن لا عِلمَ بالتحديد متى بُنيَ هذا المسجد ومن بناه، ولكن تواجد ثلاثة مساجد بُنيت في هذا المكان يدحض الأسطورة التي أطلقها النبهاني بقوله: «وهذا المسجد والمدرسة مع المنارتين من بناء عمر بن عبد العزيز الأموي». وقد بدأ أبو البهلول في نهاية عهد دولة القرامطة في إقليم البحرين القديم، بمخطط لبناء مسجد جامع، ولا نعلم بالتحديد متى تم البدء في بناء هذا الجامع، ولكن يمكننا تخمين ذلك إذ يعود إلى ما قبل حركة 450 هـ ما يوافق 1058. في المقابل، يرى آخرون أنّ الجامع بُني على يد أبي سنان محمد بن الفضل العيوني في العام 518 هـ ما يوافق 1144. انظر: حسين، محمد حسين، مسجد الخميس: الحوزة الأولى وأول مسمار في نعش القرامطة (البحرين، 2010)؛ مجلس الأوقاف الجعفرية، المشهد ذو المنارتين (مسجد الخميس) (البحرين، 2008).

اجتيازها إلّا على ظهر الخيول. ويرتفع الطريق تدريجيًا حتى تصلَ إلى قلعة الرفاع، حيث يؤدي بك الطريق نزولًا، مرة أخرى، نحو حفرة واسعة محاطة من الجوانب كلّها بالمنحدرات لتصل إلى أرضٍ صخريّة غير مستوية تمتد خمسة أميال طولًا وتشكّل الطريقَ المؤدّي إلى جبل الدخان، وهو عبارة عن كتلة صخرية كبيرة تقع وسط الحفرة. أمّا سطح التربة بين الرفاع وجبل الدخان فمغطًى، في بعض الأماكن، بالحصى الدائرية، التي سمعت أنّها تُسمى بحصاة البطاطس نظرًا إلى التشابه بينها وبين ذلك النوع من الخضار. وعندما كسرت هذه الحجارة وجدت أنّها جوفاء وأنّ جانبها جميل ومبلوَر ومحدّب ومكسوّ ببلورات لامعة، كما أنّها مغطّاة من الخارج بنوعٍ من نبات الأشنة[1]، لتمنح الأرض من بعيدٍ لونًا أخضر.

وأسفت لعدم إحضاري بعض النماذج التي كانت ستشكل برأيي موضوعًا جيولوجيًّا مهمًّا. ولا يمكن تمييز شيء من قمة جبل الدخان في اتّجاه رأس البر، إلّا أنّك تجد سهلًا رمليًّا قاحلًا مع واجهة من الأرض الوعرة بينها وبين البحر، ولكن بلغني أنّ جزيرة الزخنونية[2] {أي زكنون على الخريطة} يمكن رؤيتها إلى الجهة الجنوبية الغربية في يومٍ صافٍ. ومن هذا الموقع ومن منطقة الرفاع، كنتُ قادرًا على مراقبة مواقع قريتي الزلاق والمعامير[3]، وبالتالي تحديد عرض الجزيرة بين هذه الأماكن. وبين جبل الدخان والرفاع بعض التضاريس

(1) **الْأَشْنَةُ** نبات لا زهري، لا جذور له ولا أوراق، يتألف من كائنين نباتيَّين، وقد تكون الأشنة جذابة، فلونها يتدرج بين الرمادي الشاحب، أو الأبيض الشاحب، إلى الأخضر اللامع عندما تكون رطبة. والأشنة 1,600 نوع تقريبًا، وهي تنمو عادةً في الصحاري، وفي المناطق الصخرية، وبين النفايات، وفي بقايا جذوع الأشجار والأغصان، وتعيش من الحرارة، أو البرودة، أو الرطوبة، أو الجفاف. والمكان الوحيد الذي لا تعيش فيه الأشنة هو المدن، حيث يقتلها الغبار والدخان والضجيج. ويمكن أن يكون عمر الأشنة أربعة آلاف عام في المناطق القطبية الشمالية.

(2) **الزخنونية** جزيرة غير بعيدة عن جزر البحرين، تقع على بعد بضعة أميال إلى الجنوب الشرقي من ميناء الأحساء التاريخي المعروف باسم العقير. وهي جزيرة صغيرة غير مأهولة، ولكنّها كانت تتمتع ببعض المزايا الجغرافية، فوقَع خلاف تاريخي حولها بين السلطات العثمانية في الأحساء والقطيف، وبين السلطات البريطانية على البحرين.

(3) **المعامير** من قرى الساحل الشرقي المواجه لجزيرة سترة، وهي أقرب إلى جهتها الجنوبيّة ويسكنها الغوّاصون وصيادو السمك.

المنخفضة لكنني لم أمتلك الوسائل الكافية للتحقّق من ارتفاعها عن سطح البحر. أمّا جبل الدخان فيمكن رؤيته من مسافة عند الميناء وهو علامة جيّدة لدخول ميناء البحرين.

الرفاع هي منطقة بمثابة مصحّة بالنسبة إلى البحرين، وقد وردت تقارير أن هذه المنطقة صحيّة جدًا. وفي سهل قرية الحنينية[1]، قلعةٌ وبئر عميقة تُعتبر مياهها الأفضل في الجزيرة، إذ إنّها تختلف عن مياه المنامة التي يقول عنها سكّانها الأصليون إنّها مياه خفيفة، في حين أنّ مياه الرفاع ثقيلة، وهي مرادفات مشابهة لخشن وناعم أو أنّها تعبّر عن جاذبية معيّنة. أمّا القسم الأصغر سنًّا من عائلات الشيخ، فيعيش في الرفاع حيث يرتادون المدارس[2]، ويمارسون تمارين عسكرية، وبلغنا أنّه يتمّ إبعادهم عما يؤذيهم.

تكثر ينابيع المياه العذبة في جوار الجزيرة، ولهذا السبب أطلق عليها اسم «بحرين» أي بحر عذب، وبحر مالح، وهي بمعظمها أدنى من مستوى سطح البحر، وتقع على الشعاب المرجانية المواجهة للساحل، في حين أنّ بعضها مغمور بالمياه.

أمّا السايه[3]، فهي جزيرة صخرية صغيرة تقع إلى الجانب الغربي من قرية البسيتين[4]، وفيها ينبوع مياه عذبة يفور من وسط الحوض. وعند حركة المدّ

(1) **الحنينية** هي بئر ماء، تقع في منطقة الرفاع الشرقي في جزر البحرين. وتُعْتَبَر أحد أشهر مصادر المياه العذبة في البحرين، وتأتي بعد عين «عذاري»، وعين «قصاري» من حيث الشهرة. وتشكل العيون الثلاثة هذه أشهر عيون الماء العذب في البلاد. وكان ماء الحنينية عذبًا بحيث ضُرب به المثل في البحرين لشدة عذوبته فقيل (كأنه ماي حنيني).

(2) لا مدارس بالمعنى الحديث في تلك الفترة في البحرين، ولم يكن الأمر يتعدّى الكتاتيب أو المطوع، أيّ المعلم والمرشد الديني في أغلب الأحوال.

(3) **الساجة** أو الساية، عبارة عن جزيرة صغيرة تقع على الساحل الصخري على مسافة ميل بحري غرب قرية البسيتين في جزيرة المحرّق في البحرين. وفيها ماء عذب عُرف باسمها، والساجة جمع الساج، وهو ضرب من الشجر. وقد جرت في هذه المنطقة واقعة الساجة أو وقعة المحرّق بين الشيخ عبد الله بن أحمد والشيخ محمد بن خليفة في العام 1842. انظر: موسوعة تاريخ البحرين، مج 2، ص 86.

(4) **البسيتين** قرية بحرينية صغيرة مثمرة، واسمها يعني تصغير بستان. كان سكّانها يشربون من ينبوع بحري يسمى الساجة، كما ذكرنا، ويعملون في الغوص والحرف البحرية. انظر: موسوعة تاريخ البحرين، مج 2، ص 86.

البحريّ، ومع الرياح الشماليّة الغربيّة، تغمر مياه البحر الحوض وتلوّثه، إلاّ أنّ المياه التي يتمّ جمعها في أوقات أخرى تتميّز بعذوبتها التامّة. ومع المضيّ إلى الشمال الشرقي، نصل إلى ينبوعي ماء على الحيد الواقع بين جزيرة {Khasaefi} والساحل، وهي مكشوفة عند المياه المنخفضة وحسب، وعند التوجّه إلى الشرق مجددًا، نصل إلى ينبوعَين آخرين تتدفّق منهما المياه عبر الحيد الصخري لتمتدّ إلى قرية قلالي[1] ويسمى {Kashash} المحمية ببرج أو قلعة مبنية على حيد بحري وتُدعى (Yredi). وقد أُبلِغنا بوجود ينابيع عذبة في الجهة الجنوبية من جزيرة بوشاهين[2]، ولكن لم تُتَح لي الفرصة لزيارتها.

ونجد قرب قلعة المحرَّق[3] نبعًا يحاذي جدران القلعة أو برج المراقبة ويدعى بو ماهر، وهو ذو مياه دافئة جدًا يمكن الحصول عليها عبر خيزران متّصل بخرطوم، علمًا أنّ النبع مغطى بالمياه، بشكل دائم، نتيجة حركتي المدّ والجزر.

وفي خور فشت نبعٌ آخر علمًا أنّه في حالات المد والجزر الخفيفة، ترتفع مياهه إلى ثلاثة أقدام، وجمعت من هناك المئات من غالونات المياه (700) في يومٍ واحد من أجل ملء السفينة التي أقودها.

حصلتُ على مركب «بوم»[4] {ذي القعر الواسع والكبير}، ومخزن خشبي كبير،

---

(1) **قلالي** هي من قرى البحرين، وتقع على الساحل الشمالي الشرقي من جزيرة المحرّق، وكانت حتّى وقت قريب أعلى نقطة على اليابسة في هذا الجزء من الجزيرة، وكان أهلها يعملون في الغوص، وصيد السمك.

(2) **جزيرة بوشاهين** هي من ضمن مجموعة الجزر المواجهة لمنطقة الحد في جزيرة المحرّق. وتسمى أيضًا قصار بوشاهين، والقصار بمعنى الجزيرة الجبلية الصغيرة جداً، وتقع شرق جزيرة العزل جنوب جزيرة العزل جنوب جزيرة أم الشجر، وتبعد عنها بثلاثة أميال بحرية فقط.

(3) لا موقع يحمل اسم قلعة المحرّق، بل هي قلعة «بوماهر».

(4) **بوم** هي سفينة شراعية خليجية، استُخدمت في النقل التجاري البحري، والغوص بحثًا عن اللؤلؤ، ونقل الماء في فترة ما قبل النفط. تم تصميم أوّل «بوم» في أواخر القرن التاسع عشر ليكون بديلًا عن سفينة «البغلة» المشهورة، حيث أثبت تفوّقه في القدرات الملاحية، لكن في بادئ الأمر كان «البوم» أصغر حجمًا من «البغلة» ولم تتجاوز حمولته 150 طنًا. صمم «البوم» ليكون مدبب المؤخرة، ممّا أعطاه قدرة أفضل على المناورة وتحمل الأمواج. وتتشابه أشكال «الأبوام» عامةً مع بعض الاختلافات التصميمية في الحجم وفقَ الغرض المراد منه. ومن أنواع «البوم» المعروفة في الخليج، السفار المستخدم في النقل

في البحرين،؛ فصعدتُ على متنه ولحقتُ الباخرة «ماهي» إلى خور فشت، حيث رسونا على بعد 500 ياردة من النبع. وبعد ذلك أحضرت أنبوبًا نحاسيًا كبيرًا، وبعد أن ثبّتُّ خرطوم ضخ إلى عنقه، وضعته بشكلٍ معكوس في النبع، واستخدمت قطع القماش لسدّ أماكن تسرب المياه منه جميعها؛ وبهذه الطريقة كانت المياه تندفع إلى الأعلى عبر الخرطوم إلى أكياس جديدة من قماش القِنَّب التي ملأت بها مخزن المركب. وحاولت أيضًا استخدام مضخّة منفصلة متّصلة بعنق الأنبوب وقد نجحت بشكل كبير، إلى أن أجبرني المدّ والجزر على العودة لاستخدام الوسيلة السابقة. كما أنّ المياه التي جمعتها كانت عذبة تمامًا، وأكّدَ الجميع أنّ هذه المياه أفضل بكثير من تلك التي زوّدت بها السفينة في جزيرة البحرين.

يقع هذا النبع على بعد 6.25 ميلًا من أقرب يابسة. ويُمكن عبور القلعة البرتغالية، ومروادي (Marwaddi) ذات الرّمل الجاف من أجل الوصول إليه وإلى مركز جبل الدخان وعلى رأسه الأشجار ذات الشكل الهرمي {التي أدعوها «شجرة العبور»}، إلاّ أنّه من الصعب جدًا العثور على النبع عند ارتفاع حركة مدّ المياه، إذ يكون سطح البحر هائجًا.

وقد أخبروني الرواية التالية حول سبب وفرة ينابيع المياه العذبة في جزيرة البحرين وحولها. وبدأ محدِّثي قوله إنّه في يوم من الأيام، كان في الجزيرة ما لا يقل عن 666 قرية أو مدينة ثمّ تابع الحديث عن الينابيع قائلًا:

«ذات يوم، كان في الجزيرة نبعٌ واحد لا يبعد كثيرًا عن موقع المنارتين الحالي، واقترح قائد أحد الجيوش القادمة من الجنوب الغربي، التي حاصرت الجزيرة،

---

البحري البعيد، حيث كان يصل هذا «البوم» إلى موانئ الهند واليمن وشرق أفريقيا. كما يعتبر «البوم» السفار الأكبر حجمًا مقارنة بالأنواع الأخرى. أما «البوم» القطاع، فكان يستخدم في النقل البحري داخل الخليج، وهو أصغر حجمًا، وسعته 100 طن. وأمّا «البوم» الغوّاص، فهو في الأصل «البوم» قطاع لكنّه استُخدم في حرفة الغوص أيضًا. ويذكر أن بعض التجار اللؤلؤ وغيرهم، استخدمَ أبوام الغوص في النقل البحري بعد ان كسدت تجارة اللؤلؤ في منتصف القرن العشرين. ويستطيع «البوم» الغوّاص حمل 80 بحارًا في رحلات الغوص. أمّا النوع الأخير من «البوم» فهو «بوم» نقل الماء، وكان استخدامه يقتصر على نقل المياه العذبة بين مناطق الخليج.

ردمَ النبع، وبالتالي قطع إمداد المياه عن السكّان. كان من الصعب النجاحَ في عملهم هذا، إذ سرعان ما تفجّرت المياه في الينابيع الأخرى كلّها التي تُعرف اليوم في الجزيرة وحولها، كما أنّهم أشاروا إلى مسجدٍ تمّ بناؤه على تلة صغيرة تشكّلت جرّاء فيضان النبع الأصلي».

نزلتُ مرّات عدة إلى فشت الجارم لنصب علمٍ كعلامة لسبرِ القناة، ووضعته على بقعة صخرية كان قد أبلغني الضبّاط سابقًا أنّها من بقايا القلعة؛ إلاّ أنّني لم أستطع أن أرى آثارَ ما يشبه البناء مع أنّ السكان الأصليين يؤكّدون أنّ القلعةَ كانت قائمةً هنا وأنّ شجرتَيْ بلح نمتا إلى جانبها أيضًا. وكذلك أكّدوا أنّ في الجوار نبعًا عذبًا ماؤه. وتُعرف هذه القلعة بقلعة الجارم، وتقع على بعد 9 درجات إلى الشمال من القلعة البرتغالية، و12 درجة إلى غربها {مقياس حقيقي لا مغناطيسي}، وتبعد مسافة 23,283 ياردة. أمّا الطريق الأقرب إليها فهو أسفل رأس الصالح[1]، الذي يشكّل الجهة الشمالية من المدخل الغربي لخور الكاب. وقبل مغادرة المحطة، بنيتُ هرمًا على البقعة الصخرية يرتفع ستة أقدام عن مستوى المياه المرتفعة.

لم أكن قادرًا على إيجاد أي إشارة لدخول خور الكاب من الجهة الجنوبية الشرقية، كما أنّه حين تقدّم الربّان من البحرين، أتى من جهة مدخل خور الكاب الخلفية بحثًا عن القلعة البرتغالية، فعبرَ جبل الدخان ووصلت السفينة إلى حافّة الجارم؛ فتقدّم الربان نحو الجنوب وأدار ما يسمّيه (Jah'doom) علمًا أنّ عمليات السبر، بحسبما رأيت، كانت ترشده بشكل تامّ.

أمّا الأرض، شمال القلعة البرتغالية، فهي قذرة جدًا وتكثر فيها التصدعات، وبسبب ذلك لم يقُم الربابنة قطّ باستخدام ذلك الجانب من الميناء الذي يسمونه باللياح نسبةً إلى البقعة الصخريّة الجافة عند المياه المنخفضة.

(1) المقصود جزيرة النبيه صالح التي تقع بمحاذاة خليج توبلي.

وانطلاقًا من تجربتي، ونظرًا لأنني قد قصدت ميناء البحرين وغادرته مرّات عدة، شعرت أنّني أمتلك الصلاحية لتقديم الملاحظات التالية: إنّ البسيتين، إلى جانب طرف جبل الدخان الغربي، أو برج قلالي في الجنوب {أو مع مجموعة من أشجار النخيل إلى الجنوب وتُدعى زيمي Zimmee[1]} هي أماكنُ تُبعد المخاطر جميعها إلى الجهة الشرقية من الجارم. أضف إلى ذلك، أنّ هذا الطرف، حسبما أورد الملازم (كونستبل)، سيئ للغاية، والوصول إلى الميناء في الطقس الضبابيّ أمرٌ محفوفٌ بالمخاطر، لأنّه بعيدٌ عن اليابسة.

إنّ الزاوية التي يحيط بها شيئان، وتوضع على آلة السدس[2]، على نُدرة استعمالها، قادرةٌ على حماية السفن من المخاطر، أكثر ممّا تتحمّل أيدي الربان. ولهذا فإنّ برج قلالي والبسيتين يتواجهان بزاويةٍ تساوي 25 درجة، ويبدو أنّها تكشف الأرض الملوثة كلّها قبالة سماهيج {أو جُرف عراد}. وانطلاقًا من هذه الدرجة باتجاه البسيتين جنوبًا، يمكن التوجّه بالسفينة نحو الجنوب الغربي إلى أن يُشاهد جبل الدخان والمنارتان معًا، {أو في الجهة الجنوبية تقريبًا} بحيث تُبحر بالسفينة إلى أن تلتقي جزيرة السايه مع البسيتين، ومن ثمّ توجّه جنوبًا من ناحية الشرق بحثًا عن طرف الحيد الصخري المسمّى {زروان}، الذي يشكّل حدود المرسى الداخلي الشمالية، إلى أن تظهر جزيرة السايه من جرف الديّه[3] {أو الطرف الشمالي الغربي من جزيرة المحرَّق} عندما يكون اتجاه الإبحار نحو منزل الشيخ في المنامة، في الجنوب الشرفي، وعمق المرسى ما بين 3 و2.5 قامات، أثناء حركة المد

(1) ربما يقصد رطب «الخنيزي» المشهور وليس زمي.

(2) آلة السدس آلة لقياس الارتفاع.

(3) ربما قصد الدير وليس الدية، حيث التبسَ عليه نطق حروفها. والدير هي من قرى البحرين الواقعة على ساحل جزيرة المحرّق الشمالي الغربي، على بعد ميلين منها. وكانت كثيرة النخل، والحشائش الخضراء. وكان فيها عيون عدّة وآبار كبيرة مثل عين رية، والسويفية، وتنة. عمل أهلها في صيد اللؤلؤ والأسماك.

والجزر الربيعية في المياه الضحلة. يُطبَّق هذا الأمر على السفن التي تحتوي أداةً لتعديل تدفّق الهواء، إذ إنّ السفن الأثقل وزنًا يجب أن تبقى خارج رأس {زروان} في المرسى الخارجي.

ويصعب التقدّم إلى ميناء البحرين دون سواه في الطقس الضبابي، بسبب انخفاض مستوى اليابسة كثيرًا، الأمر الذي يحول دون رؤية أي شيء إلى حين الحصول على معلومات حول الأحوال الجوية، علمًا أنّه لا جدوى منها كدليلٍ لموقع السفينة. وعادةً ما تكون حركة المد والجزر قويّة قبالة مدخل الميناء من جهتي الشرق والغرب.

ومع أخذ الأمور المذكورة بعين الاعتبار، يبدو أنّه من الأفضل أن يكون الميناء مفتوحًا من الجهة الشمالية الشرقية حتى تلك النهاية من ناحية القدوم من «بوشهر»، لإبقاء الساحل الفارسي بمحاذاة {Mutaaf أو ضفة بردستان}[1] ومن ثمّ الامتداد نحو الساحل العربي من الخليج. وبهذه الطريقة يُمكن تجنّب البقعة الصخرية والابتعاد عنها 3 قامات، فهي تقع على بعد 50 ميلًا من شمال البحرين باتجاه مباشر نحو «بوشهر»، وتجعل الميناء متساوي البُعد مع الشعاب المرجانية في كلا الجانبين.

أمّا التيارات المائية في وسط الخليج، فليس لها وجهة محدّدة وغالبًا ما تكون قويّة. وفي إحدى المناسبات، عندما كنّا على متن السفينة «سميراميس» التابعة لجلالة ملكة بريطانيا، توجّهنا من «بوشهر» إلى البحرين وجعلنا رأس فشت الجارم على بعد أميال عدّة عن جانب الخط المباشر الغربي. يُعزَى هذا الانحراف عن المسار بشكل كامل إلى تيارٍ مائيّ قويّ من الجهة الشمالية الغربية، مع الإشارة إلى أنّ النزول في هذا المكان يُعدّ في منتهى الخطورة، إذ إنه على بُعد أميال من أي مساعدة، وهو معرّض لضراوة الرياح الشمالية الغربية.

(1) ضفة بردستان على ساحل الخليج الشرقي.

تجدر الإشارة إلى أنّ مسحَ جزيرة البحرين ودوحة سلوى إلى الجنوب في مياه شبه جزيرة قطر، قد يكون دراسة مثيرة للاهتمام. وعلى الرغم من أنّ رسم الجزيرة والساحل التصويريّ الحاليّ يتخطّى بعضَ الشيء «ما يُرى بالعين المجرّدة»، إلاّ إنّه قد يمثّل مجالًا جديدًا للمنخرطينَ فيه، كما أنّه يراودني الشكّ كثيرًا في وديّة سكّان ذلك الجزء من الخليج. وأقترح بشكل خاص أن تكون السفينة المستخدمة مجهّزة بالكامل بالخدمات، أو أن ترافقها سفينة حربية.

أعتذر عن عدم قدرتي على تقديم أي إحصائيات حول البحرين وسكّانها، والحياة الاجتماعية فيها، والاقتصاد والسياسة وغيرها. وأنا واثقٌ من أنّ محاولتي المتواضعة لتقديم معلومات عن الحالة العامة، ليست علميّة. وأرجو أن تُقدّر المعلومات التي ذكرتها في الوصف، مع اعتذاري عن أي تقصير.

# دليل الخليج الفارسي
# يتضمن خليج عُمان عام 1864م


**جمعها**

النقيب سي. جي. كونستِبل(C. G. Constable)

والملازم إيه. دبليو. ستيف[1](A. W. Stiffe)

من البحرية الهندية السابقة الخاصة بجلالة الملكة.



نشر بأمر من اللوردات مفوضي الأميرالية لندن

طُبِعَ لصالح المكتب
الهيدروغرافي، الأميرالية

**وتم بيعه بواسطة**

جيه. دي. پوتر (J. D. Potter)،
وكيل مخططات الأميرالية،

31 پولتري (Poultry)،
و11 شارع كينج، تاور هيلم1864

السعر 5 شلنات (King Street, Tower Hill)


(1) **آرثر دبليو. ستيف Arthur W. Stiff** هو ملازم في البحرية الهندية، تمّ تعيينه في بومباي عام 1849؛ وحاز على رتبة قائد فخري في 30 نيسان/ أبريل 1863؛ أجرى مسحًا للخليج الفارسي ما بين عام 1857 و1860. انظر:

Indian Army & Civil Service List 1861, p453.

## ساحل الجزيرة العربية، من رأس ركن إلى جزيرة بوبيان[1]

**جزيرة البحرين**، {التي كانت تدعى أوال سابقًا} يبلغ طولها 27 ميلًا، من الشمال إلى الجنوب، وعرضها 10 أميال. أما في الوسط، فيوجد عددٌ من التلال الصخرية المرتفعة بعض الشيء، وعلى بعد 12 ميلًا من السفح الشمالي، توجد كتلة صغيرة من التلال البركانية يُطلق عليها اسم جبل الدخان، ويبلغ ارتفاعها نحو 400 قدم، تظهر عن بعد 21 ميلًا، وتشكل كتلة مربعة. إن شواطئ الجزيرة قليلة الارتفاع، وعلى طول السفح الشمالي يوجد حزام عرضه ما بين 2 و3 أميال، أرضه خصبة، وتتوافر فيه ينابيع المياه العذبة، وهو مغطّىً ببساتين النخيل. أما المدينة الرئيسة، وتسمى المنامة، فتقع في الركن الشمالي الشرقي؛ إنها عاصمة زعيم العتوب ذي الأعداد الكبيرة. ويقدر النقيب كمبل (Kemball) عدد السكان على الجزيرة بـ 50,000 شخص. وباستثناء المنطقة الشمالية، فإن جزءًا كبيرًا من الجزيرة قاحل، ولكن هناك الكثير من القرى في مناطق مختلفة.

**المنامة،** هي مدينة كبيرة تقع في المنطقة الشمالية الشرقية من الجزيرة، يسكنها نحو 8,000 مواطن، بُنِيَت على الساحل بطول ثلاثة أرباع الميل، ومعظم منازلها فقيرة، والمبنى الوحيد البارز هو منزل الشيخ، وهو مبنى مرتفع وشبه محصن، يقع على السفح الغربي للمدينة، ويُرفع عليه علم. توجد مئذنة صغيرة على مقربة من جهته الشرقية، لا يمكن أن تراها إلا عندما تكون في المرسى

(1) انظر: أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية الأصلية، مركز أوال للدراسات والتوثيق (بيروت، 2019)، مج 1، ص 197 - 209.

الداخلي. والمنطقة الشمالية الشرقية للمدينة، التي تشكل أقصى يسارها، تسمى رأس رمان[1]. على بعد نصف ميل من هذه المنطقة، توجد مجموعة من أشجار النخيل على أرض مرتفعة قليلًا وراء المدينة.

وعلى الرغم من أن النزول في هذه المدينة أفضل من النزول في أي منطقة أخرى من الجزيرة، لكنه غير ملائم، إلا أثناء المد؛ نظرًا لأن الشعاب المرجانية بالقرب من الشاطئ متدرجة جدًا، لا تستطيع السفن الاقتراب إلى مسافة تتجاوز ربع ميل بعيدًا عن الشاطئ أثناء الجَزر. ودائمًا ما يتم إحضار الحمير لمساعدة الناس على النزول وتفريغ البضاعة، وغيرها. إن المؤن التالية سهلة المنال: الماء الوفير، ذو النوعية الجيدة، وإذا لم تكن تمتلك براميل خشبية للمياه، تأكد من أن خزان المياه الخشبي الكبير، الذي يتم نقل المياه فيه، نظيف، بالإضافة إلى الثيران، والخراف، والدواجن، والخضار، والفواكه، والخبز العربي، والطحين، والأرز، وغيرها، وسلع أخرى ليتم استعمالها على متن السفينة، فإلى جانب البسكويت، والكحول، واللحم المملح، يوجد حطب لا يُستخدم لأغراض البخار، وخشب الساج لأعمال الترميم، لكن ثمنه باهظٌ جدًا، ولا توجد أي أدوات حديدية. ومن الممكن إحضر سارية لسفينة «البغلة»، كبديل لأي سارية مكسورة، وهي من الخشب الثقيل (Peon).

تربط الزعيم علاقة صداقة متينة بالحكومة البريطانية، التي تدعمه في مواجهة اعتداءات أمير الوهابيين. بالإضافة إلى تواجد وكيل بريطاني، وهو عربي، والكثير

(1) رأس رمان وهي مشرفة على الساحلين الشماليّ والشرقيّ، وبها دار الوكالة البريطانية، وإدارة البريد، والمولّد الكهربائي للتنوير المؤسس سنة (1348هـ/ 1929م)، يشتغل جُلُّ أهلها صيفًا بصيد اللؤلؤ والسمك، وشتاءً بصيد السمك، والملاحة، والأسفار إلى سواحل الهند واليمن وأفريقيا لتصدير التمور والبلح المسلوق (السلوق)، وجلب محاصيل تلك البلدان والأقاليم من أنواع البضائع، وأهمها الخشب على اختلاف أنواعه مما يلزم لبناء السفن، وللنجارة، والأبنية والسقوف، والوقيد. انظر: التاجر، محمد علي، عقود اللآل في تاريخ جزائر أوال، دراسة وتحقيق وسام السبع، ط 1، مركز أوال للدراسات والتوثيق، (بيروت، 2017)، ص 132

من (البانيان) مستقرون هنا. أما سكان هذه المدينة، وسكان المحرَّق، والحِد[1]، فهم يعملون في صيد اللؤلؤ بشكل رئيس، ويخرج نحو 400 قارب من هذه الجزر بهدف صيد اللؤلؤ، لكن هناك أيضًا نسبة كبيرة من المزارعين. وتعتبر الجزيرة خصبة بفضل وفرة ينابيع المياه، التي تستعمل للري بعناية، في الجزء الشمالي منها، وعلى الرغم من ندرة الإخضرار في هذا البلد، إلا أنه يبعث على الكثير من السرور. ويوجد الكثير من أشجار الفاكهة، كالأترج، والليمون الحامض، وغيرهما؛ بالإضافة إلى مزارع النخيل الجيدة للغاية. وتتم زراعة نبات البرسيم لإطعام الدواب. تنتج الجزيرة كميات من التمور، يتم تصديرها إلى أجزاء أخرى من الجزيرة العربية، والهند. وتشمل الصادرات الأخرى: اللؤلؤ، وبعضًا من أجود الخيول في العالم، وبعض الأتن الجيدة بنحو لافت، تُصدر إلى الهند ومسقط. أما قماش الشراع القطني لسفن «البغلة»، فهو يُصنع هنا بنوعية جيدة جدًا، ويُصَدَّر إلى الكويت، والبصرة، والهند. أما الصناعات الأخرى الوحيدة فهي: القماش الخشن للعمائم، وغيرها، والحصر المصنوعة من سعف النخيل، ذي النسيج الرفيع.

تتم بعض الأعمال التجارية مع الهند، بواسطة الكثير من سفن «البغلة» الخاصة بالميناء. إنهم يمتلكون 200 سفينة يتراوح وزنها بين 20 و300 طن، بالإضافة إلى السفن الأصغر حجمًا. ويملك الشيخ بعض السفن الحربية الجيدة، كسفن «البتيل» بشكل رئيس، التي تتميز بأنها سفن شراعية سريعة جدًا. أما سفينة «البغلة» الكبيرة الخاصة به، «الدوينيه»، التي تستخدم اليوم في التجارة، فهي تحمل نحو 10 مدافع. وتشمل الواردات: الأرز، والخشب، ومواد أخرى لبناء السفن، والسلع

(1) الحد وهي مدينة كبيرة واقعة على لسان ممتد في البحر جنوبًا، والبحر حائط بها من ثلاث جهات، وهي كثيرة السكان، شامخة البنيان، أهلها أكثرهم أصحاب ثروة وجاه، وبها سكنى قبيلة السادة، وبعض من آل ابن علي، وشرب أهلها من بئر البَرّ يُسمّى عين الزمة، ويشربون أيضًا من ينبوع في البحر يُسمّى أمّ السوالي، وحرفة أهلها التجارة في اللؤلؤ والغوص وصيد الحوت، وبها مدرسة. انظر: التاجر، محمد علي، عقود اللآل في تاريخ جزائر أوال، دراسة وتحقيق وسام السبع، ط 1، مركز أوال للدراسات والتوثيق، (بيروت، 2017)، ص 18.

التي تباع بالقطعة، وغيرها، من الهند، والبن من البحر الأحمر. وبالقرب من الجامع المهدم، ذي المئذنتين [مشهد المنارتين في الخميس]، يوجد حطام مدينة كبيرة، بنيت بشكل أفضل من المدينة المبنية الآن، وتسمى البلاد القديم[1] {المدينة القديمة}. ويوجد أيضًا أحواض مبنية بشكل جيد على ضفاف بعض الينابيع. ولذلك، يبدو أن الازدهار فيها قد تراجع منذ التاريخ القديم. ولا زال هناك الكثير من القرى في أنحاء مختلفة من الجزيرة؛ لكن، بحسب التقارير كلها، فإن عددها قليل بالمقارنة مع القرى التي كانت موجودة سابقًا.

ويفيض النبع الأكبر في الجزيرة من خزان بعمق نحو 30 قدمًا وسعته 30 ياردة، وهو يتدفق في قناة يبلغ عرضها نحو 6 أو 8 أقدام، وعمقها قدمان، الأمر الذي يعطينا فكرة عن إمدادات المياه في الجزيرة: إنها تبعد ميلًا واحدًا جنوب غرب المئذنتين. وبالقرب من الجامع، يقام سوق للبيع هناك كل نهار جمعة، لبيع الخيول، والقطيع، والفواكه، وغيرها، يحضره الكثير من الناس.

**قلعة البرتغال،** يطلق عليها المواطنون اسم جيبله {وأسماء أخرى}، وهي تبعد 3 أميال تقريبًا، وربع ميل إلى الشمال من منزل الشيخ في المنامة. ولا يعرف العرب شيئًا عن نشأتها[2]. إنها متصدعة إلى حد كبير، وبين أسوارها ترى دمار

(1) **بلاد القديم** هي بلدة كبيرة لا يعرف لها اسم غير هذا. كانت فيما مضى من الزمان زاهرة بالعلماء الأعلام، مكتظة بالسكان عامرة بالبنيان. وهي ذات بساتين نضيرة وعيون كثيرة ذات مياه غزيرة، فمن عيونها الشهيرة عين قصاري، وعين جمّاله إلى غيرها من العيون الكثيرة، والأولى تسقي مساحة كبيرة من البساتين، حتى تصل إلى الساحل الشمالي من سيحة منى. وتصل إلى الزنج. ومن قرى بلاد القديم المويلقة، وحلة السوق، وهذه على الساحل الجنوبي، وكلتاهما ذات مياه غزيرة وبساتين نضيرة وأهلها فلاحون. انظر: التاجر، محمد علي، عقود اللآل في تاريخ جزائر أوال، تحقيق وسام السبع، مركز أوال للدراسات والتوثيق، ص 140 - 141.

(2) طلب منا الزعيم [الشيخ] في الحقيقة، بعض المعلومات حول من بناها وتاريخ بنائها، وغيرها. هي شبيهة بالقلاع البرتغالية الأخرى في الخليج، بمعنى أنها حصن نظامي يعود إلى القرن السادس عشر مع خندق، وغيره، بفتحات في الجدران، وفتحات مزدوجة محصنة في زوايا الحصون. وربما بنيت تقريبًا بعد العام 1521 حين قام البرتغاليون بحملتهم العسكرية الأولى ضد البحرين. وقد بنيت من مواد بعض المباني الأخرى، ربما من جدران مسجد، إذ إن الكثير من الصخور في الجهة الجنوبية مغطاة بالمنحوتات والنقوش باللغة العربية القديمة، أو بالخط الكوفي. [المعلومات التاريخية المدونة في هذا الهامش عن قلعة البحرين المسمى قلعة البرتغاليين، خاطئة، فهي لم تبنَ بعد عام 1521، بحسب

عدد كبير من الأبنية الضخمة {علامة، ثكنات، منزل المحافظ، ومصنع، وغيرها}. تقع [القلعة] في مساحة بين أشجار النخيل، على بعد 150 ياردة من الشاطئ، ويبلغ ارتفاع أعلى نقطة فيها نحو 80 قدمًا عن سطح البحر. أما من جهة البحر فإنها تظهر بشكل ثلاث كتل رئيسة ذات لون فاتح: إنها عديمة الشكل. وعلى بعد نحو ميل واحد إلى شمال شمال غرب، بعيدًا عن القلعة، توجد صخرة صغيرة فوق المياه على الجرف القاري، أطلق عليها النقيب (بروكس) اسم صخرة المنارة، استنادًا إلى الفكرة التي تفيد أن البرتغاليين كانوا يمتلكون منارة عليها.

إن هذا الساحل بكامله بين هذه [القلعة] والمنامة، الذي يشكل خليجًا، يمتد على طوله بساتين النخيل الكثيفة، وعلى الساحل، على بعد ميل من المنامة، ترى قرية لصيد الاسماك تسمى النعيم.

على بعد متساوٍ بين القلعة والمدينة تقريبًا، وعلى بعد ميل واحد من الشاطئ، يقع مسجد كبير محطم بمئذنتين[1]. وتعتبر هذه علامات مفيدة للاستدلال على الميناء، فيمكن رؤيتها من فوق أشخار النخيل، حتى الوصول إلى مكان قريب من الميناء الداخلي.

وانطلاقًا من قلعة البرتغال، يتجه ساحل الجزيرة نحو ميلين وربع لجهة الغرب، بالإضافة إلى ميلين وربع الميل لجهة جنوب جنوب غربي عند اتجاهه جنوبًا.

---

ما ذكرته الوثائق البرتغالية ومصادر المؤرخين البرتغاليين، بل كانت القلعة موجودة على جزر البحرين منذ عهد الهرامزة. وقد سيطر عليها الجبور أيضًا قبل البرتغاليين بعد صراعهم ضد الهرامزة وغزوهم للجزيرة واستخدامهم للقلعة حتى في مواجهة الغزو البرتغالي لاحقًا. ثم إن الحملة البرتغالية على جزر البحرين عام 1521، لم تكن الأولى، بل كانت الثانية بقيادة القائد البرتغالي (أنتونيو كوريا)، حيث إن الأولى كانت عام 1520 بقيادة (جوميز ديستو مايور)، التي فشلت في تحقيق السيطرة على البحرين]. (هامش الأرشيف البريطاني)

(1) هذا المسجد مدمر جدًا، وربما يعود لفترة الفتح [الغزو الفارسي] الفارسي للبحرين، نظرًا لأنه مسجدٌ للشيعة، وذلك يظهر من اسم «علي» المرتبط باسم نبيهم [وردت بهذا الشكل في النص المصدر، والمقصد إمامهم وليس نبيهم] في العقيدة الخاصة بهم، الظاهر في بعض النقوش [على جدران المسجد]. وكما هو معروف جيدًا، فإن الفرس ينتمون للطائفة الشيعية المحمدية كلهم، بينما ينتمي [معظم] العرب والأتراك إلى الطائفة السنية ولا يبجلون اسم «علي». (هامش الأرشيف البريطاني)

في المنطقة الغربية، يوجد برجٌ وقرية صغيرة تسمى البديع[1]. وقبالة الساحل الغربي، على نحو أربعة أميال لجهة الجنوب الغربي من البديع، يوجد جزيرة كبيرة تسمى أم النعسان[2]. إنها ذات علو منخفض، وعليها قمتان صغيرتان. ولجهة الشمال منها، هناك جزيرتان؛ ويتبين أنه لا يوجد ممر بينهما وبين جزيرة البحرين.

ويمتد الساحل الغربي للجزيرة إلى الجنوب على طول 27 ميلًا وذلك بحسب الخريطة التي أنجزها الملازمان (بروكس) وروجرز (Rogers)، و[الساحل] ليس معروفًا جدًا: على بعد 10 أميال من جنوب البديع، توجد قرية وقلعة تسمى الزلاق. ويمتد الساحل من المنطقة الجنوبية للجزيرة، التي تسمى رأس البر، بين الشمال والشمال الشرقي [بالنسبة إلينا]. وعلى مسافة 12 ميلاً من رأس البر، تجد موقعًا مُخرب تمامًا يسمى جو.

ومن رأس رمان، حيث المنطقة الشمالية الشرقية للجزيرة، يمتد الساحل إلى الجنوب الشرقي مخربًا وعلى بعد نحو ثلاثة أرباع الميل منه، توجد منطقة رملية قليلة الارتفاع، فيها قرية لصيد السمك تسمى حالة النعيم، التي تُشَكِّلُ بعد تلك المنطقة خليجًا. أما المنطقة الجنوبية منه [الخليج]، التي تسمى رأس الجفير، فهي على بعد ميلين لجهة الجنوب الشرقي، ونصف ميل لناحية الجنوب من رأس رمان. وفي هذه المنطقة، يوجد قرية، وبساتين نخيل منعزلة، ونبع مياه

---

(1) **البُديع** بصيغة التصغير، وهي بلدة كبيرة واقعة على الساحل الغربيّ، وهي طيبة الهواء جيدة المناخ، وهي سكنى الدواسر، وأهلها يحترفون تجارة اللؤلؤ والغوص وصيد السمك، وهي كبيرة آهلة بالسكان شامخة البنيان إلا أنها أخيرًا ضعفت لمهاجرة أهلها عنها إلى الدمام غضبًا. انظر: التاجر، محمد علي، عقود اللآل في تاريخ جزائر أوال، دراسة وتحقيق وسام السبع، مركز أوال، ط 1، (بيروت، 2017)، ص 173.

(2) **أم النعسان** هي جزيرة صحراوية منخفضة في مجموعة جزر البحرين وتقع على بعد ميلين غرب شط جزيرة البحرين، وطولها أربعة أميال من الشمال الى الجنوب وعرضها 2.5 ميل. وبها قمتان متميزتان وغير مرتفعتين كثيرًا وتزود البحرين بأحسن مواد الاسمنت للبناء. وبها كذلك ينبوع ماء عذب قرب الشاطئ الغربي للجزيرة ويرسل دواسر البادية والزلاق بجزيرة البحرين أبقارهم في الجو الحار لأم نعسان لتستفيد من المراعي القليلة الموجودة في ذلك الموسم. انظر: لوريمر، جيه. جي.، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ص 1701.

عذبة على الشاطئ، تحت مستوى الماء العالي.

ينعطف الساحل لجهة الغرب عند هذه النقطة، مشكلًا الجانب الشمالي لجسم واسع من المياه الراكدة الضحلة التي تمتد إلى الغرب على بعد خمسة أميال باتجاه الجزيرة. وعلى الجانب الجنوبي للمدخل، الذي يبلغ عرضه ميلًا ونصف الميل، يوجد جزيرة كبيرة تسمى سترة، طولها 4 أميال من الشمال إلى الجنوب، وعرضها ميل ونصف الميل، ويفصل بين الجانب الجنوبي منها والبحرين خور ضيق ذو مياه ضحلة. أما النصف الشمالي منها، فهو مغطًى بأشجار نخيل شامخة، وينتهي أقصى الطرف الشرقي منها فجأة على شكل جرف أو وادٍ. ويوجد أيضًا قرية وقلعة باسم [سترة] في البستان، وعلى الجانب الجنوبي من الجزيرة، يوجد قرية صغيرة للصيد تسمى معامير. على بعد ميلين جنوب غرب منطقة الجفير، يوجد جزيرة صغيرة في المياه الراكدة مساحتها نصف ميل، مغطاة بأشجار النخيل، وتسمى النبيه صالح. ومن حدود جزيرة سترة يمتد الساحل إلى الجنوب والجنوب الغربي باتجاه رأس البر.

**في الداخل،** على بعد أربعة أميال من الساحل الشمالي، تبدأ أرض أشبه بالمنضدة الصخرية معتدلة الارتفاع {بين 100 و150 قدمًا}، وهي تمتد على طول الجزيرة تقريبًا، وعلى امتداد بضعة أميال جنوبًا، وتنتهي جوانبها كافةً بالمنحدرات الصغيرة. وعلى هذه التلال، على بعد 7 أميال جنوبًا، ونصف ميل غرب المنامة، تقع قرية وقلعة على تلة تدعى الرفاع، وفيها عدة أبراج، ويمكن رؤيتها من فوق أشجار النخيل عند الدخول إلى الميناء.

**جبل الدخان** هو مجموعة صغيرة من التلال بركانية الشكل، قريبة من وسط الجزيرة، ويبلغ ارتفاعها نحو 400 قدم. إنها مستوية من الأعلى، إلا أن محيطها متعرج، ويوجد جرف على كل جانب. ويبعد وسطها عن المنامة ثلاثة أرباع ميل إلى الجنوب، و12 ميلًا تقريبًا إلى الغرب، وإذا كان الطقس صافيًا، فإنها البر الأول الذي يظهر من جهة البحر.

**جزيرة المحرَّق،** تقع إلى الشمال الشرقي من البحرين، ويفصل بينهما مضيق، في جزء واحد فقط، عرضه ميل واحد، ومياهه كلها ضحلة تقريبًا. وهي تتألف من شريط من الرمال المنخفضة التي يبلغ عرضها نصف ميل تقريبًا، وشكلها يشبه حدوة الحصان، والجانب المحدب هو من الجهة الشمالية، واتساعها يبلغ 3 أميال شرقًا وغربًا، وطولها نحو 5 أميال من الساحل الشمالي إلى أقصى نقطة في الجنوب الشرقي. وتقع مدينة المحرّق في المنطقة الجنوبية الغربية، وهي كبيرة كالمنامة، ومكتظة بالسكان مثلها، ويبلغ طولها وعرضها نصف ميل تقريبًا. وفي الطرف الجنوبي من الجهة الجنوبية منها، في قطعة صغيرة من الأرض المنخفضة، والتي تنفصل عن المدينة عند المد، تجد قلعة مربعة بها أربعة أبراج تسمى المحرّق، وعلى بعد ربع ميل إلى الشرق والجنوب الشرقي من هذه المنطقة، يوجد نبع مياه عذبة تحت البحر، ودائمًا ما يكون هناك قامة من المياه المالحة فوقه، ويعتبر [النبع] المزود الأول للمدينة بالمياه، ويدعى بوماهر[1].

وعند الطرف الشمالي لهذه الجزيرة، يوجد أربع مجموعات من أشجار النخيل، وهي أول ما يمكن رؤيته عند الوصول إلى المكان، أما إذا كان الطقس صافيًا جدًا، فيمكن رؤية جبل الدخان قبل رؤيتها [النخيل] بقليل. كما يمكن رؤيتها من على بعد 10 أميال أو 11 ميلًا، من على سطح السفينة.

ولكلّ من هذه المجموعات اسم، وهي تعتبر من المعالم المساعدة للدخول إلى الميناء. أما المجموعة الغربية، التي تنحصر خلف الأخريات، عند التوجه إلى الجنوب الغربي والجنوب انطلاقًا من قرية صغيرة لصيد السمك بالقرب منها على الشاطئ، فتدعى البسيتين. وتبعد ميلين عن قلعة المحرّق باتجاه الشمال، وفي وسطها شجرة كبيرة واحدة هي أعلى من بقية الأشجار بعض الشيء.

---

(1) تتميز هذه الجزر بتلك الينابيع القابعة تحت سطح البحر؛ سنصف بعضها لاحقًا. وغالبًا ما يتم الحصول على المياه فقط من خلال وضع خيزران مجوف [على عين النبع] وعندها، تصعد المياه العذبة إلى سطح البحر. وقد حصل الملازم (ويش)، من البحرية الهندية، على إمدادات المياه في العام 1839 بواسطة مضخة كحول {في المياه الأكثر ضحالة}. (هامش الأرشيف البريطاني)

**السايه،** هي جزيرة صغيرة تقع على الجرف الساحلي، وتبعد عن الشاطئ ثلاثة أرباع الميل إلى جهة الغرب من مجموعة النخيل [المذكورة آنفًا]. وتبلغ مساحتها 20 ياردة، لونها فاتح، وهي على علو بضعة أقدام فوق مستوى المد، وفيها نبع وعين من المياه النقية، وهي عذبة جدًا، باستثناء عندما تختلط مياهها بمياه البحر في الوقت الذي تكون فيه الينابيع في حالة المد، أما في حالة الجزر، فيكون الجرف حول هذه الجزيرة جافًا.

وفي الجانب الشمالي من جزيرة المحرَّق، يوجد ثلاثة مجموعات [من النخيل]، وتقع جميعها في نطاق ميل واحد. وتسمى [المجموعة] الغربية منها الدير، وفيها قرية صغيرة، ومبنى صغير على رابية [مسجد الراهب] بالقرب من الجهة الشرقية. أما الوسط وأقصى الشمال فيسمى ريا[1]، والمجموعة الثالثة تسمى سماهيج. وهناك بعض الأكواخ في كلا المجموعتين الأخيرتين، ونبع مياه جيدة في رية[2].

(1) مجموعة الأشجار هذه، تسمى جرف عراد بحسب ما ذكره النقيب (بروكس)، إلا أن الاسم يبدو غير مطابق إذ إن الأشجار موجودة في أرض منخفضة على حافة المياه تقريبًا. وكان المعنى أن مظهر الأشجار من مسافة محددة يشبه التل المنحدر. (هامش الأرشيف البريطاني)

(2) ريا تتبع الدير جغرافيًّا، تفصل المقبرة بينها وبين الجنمة. وتمتد مساحة ريا من حدود إلى ما قبل عين العودة «عين الحمبوه» التي كانت لها علاقة تاريخية بريا أثناء البحث عن الذهب الأسود في القرية في الأربعينيات. تقع على طرف الساحل الشمالي شرقًا، وهي ذات بساتين غنّاء، ورياض فيحاء، ومياه غزيرة، بنى الشيخ عيسى بن علي له قصرًا خاصا في الشرق من بستان ريا عام 1913، وكانت ريا تتمتع كمقيظ بمميزات جعلتها أجمل مصايف جزيرة المحرق.

أما بالنسبة لاسم المنطقة ريا (القرية القديمة) فإنه استنادًا إلى كثرة المياه العذبة وبخاصة ما تتمتع به العين (عين ريا) التي تروي بساتين المنطقة، فريا توحي بالري من كثرة المياه قبل بناء مجرى الماء القادم من «العين العودة» «الحمبوة».

وكانت عين ريا مورد الماء لأهالي البسيتين حيث تقطع النساء الطريق الطويل من البسيتين حتى العين، حاملات القرب لملئها بالماء والرجوع إلى الأهل، وكانت تلك الطريق تدعى «سبخة الراوية»، وهي الأرض الممتدة المشبعة بالأملاح من البسيتين حتى حدود بستان ريا. ولم تكن ريا نقطة النهاية لمشوار الراوية قدومًا من البسيتين، بل كانت أيضًا نقطة نهاية سباق الإتن الممتد ميدانه من هضبة المحرق حتى ريا، وكان يطلق على هذا الميدان «المسطاح الكبير». وقد احتلت عين ريا وبستانها طرفًا من ذاكرة الأهالي والغاصة حيث كان الأهالي يزفون عرسانهم إلى هذا البستان للحلاقة والاستجمام يوم الزواج «العرس». انظر: هلال، علي أحمد، الدير سيرة ذاتية، ص 406 - 407، 409، 411؛ التاجر، محمد علي، عقود اللآل في تاريخ جزائر أوال، دراسة وتحقيق وسام السبع، مركز أوال، ط 1، (بيروت، 2017)، ص 187.

**خصيفة**[1]، هي جزيرة صخرية صغيرة تقع على الجرف القاري، على بعد 700 ياردة تقريبًا شمالي الدير، ويفصل بينها وبين الساحل ثلاثة ينابيع صغيرة تقع بقرب الجرف، تظهر في حالة الجزر، وهي تزود القرية بالمياه.

**قلالي،** وهي قرية لصيد السمك، فيها برج مربع يقع على تلة رملية صغيرة، وتقع على بعد ميل ونصف الميل شرق الجنوب الشرقي من ريا. وعلى بعد ثلاثة أرباع ميل إلى الشمال الشرقي منها، يوجد جزيرة على الجرف القاري تسمى هرثة [قصار جردي]، بها حطام بعض المباني، ونبعان من المياه العذبة بالقرب منها.

يمتد الشريط الرملي الذي يشكل هذه الجزيرة، من هذه المنطقة نحو الجنوب بطول ثلاثة أميال ونصف وينتهي عند نقطة رملية قليلة الارتفاع. الزمة، هي مجموعة صغيرة من أشجار النخيل، يقع بينها القليل من الأكواخ، وتبعد ميلًا وربعًا عن قلالي. ولجهة الجنوب من هذه المجموعة، تجد قرية كبيرة لصيد السمك تدعى الحد، وعلى بعد نصف ميل من هذه الأخيرة [قلالي]، بالقرب من أقصى نقطة في الجنوب، تجد قرية صغيرة تسمى أم الشجر، وفي بعض الأحيان تغمر المياه اليابسة التي تقع بين هاتين القريتين بفعل حركة المد والجزر. وفي مقابل قرية الحد، يوجد جزيرة على الجرف الصخري، تبعد ربع ميل عن الشاطئ، وفيها نبع مياه عذبة، وتسمى بوشاهين.

(1) خسيفة [في نطق الأهالي خصيفة بالصاد] لغة مشتقة من الخسف، ولها معاني كثيرة منها: إذا أخذت الأرض ما بداخلها. وترجع هذه التسمية إلى الأسطورة التي يتناقلها الآباء: أن امرأة ذهبت لشراء الخبز وهي تحمل طفلها الصغير على ذراعيها، وبعد أن اشترت الخبز، رجعت قافلة إلى بيتها، وفي أثناء الطريق شعرت أن طفلها يريد قضاء حاجته، ولم تشأ أن يفعل ذلك على كتفها أو في وسط الطريق، فما كان منها إلا أن أخذت رغيفا من الخبز الذي اشترته وفرشته على الأرض وجعلت طفلها يقضي حاجته عليه! ولما فعل الطفل ذلك، عاقبها الله بأن خسفها وجعلها وسط البحر ليعتبر كل من يراها حتى لا يستهزئ بالنعمة أو يحتقرها. وكان يختلف إليها البحارة قديمًا للاستراحة، أو صيد السمك، كما كان محطة للرحلات المحلية، ومستقرًّا ومقامًا لطيور النورس... وكثيرًا ما كان طلاب المدارس يعدونها من محطات رحلاتهم، فيفدون إليها وكلّ منهم يحمل معه الزاد والعتاد. وبعد الحرب العراقية-الإيرانية، تحولت إلى ثكنة عسكرية يمنع الاقتراب منها. انظر: هلال، علي أحمد، الدير سيرة ذاتية، ص 416 - 418.

وتغمر المياه مركز جزيرة المحرَّق، أو الجزء الفارغ من حدوة الحصان، عند حصول حركة المد. أما في الوسط، شرقي المحرَّق، فنجد جزيرة تمتد نحو ثلاثة أرباع الميل، وتسمى عراد. فيها بستان نخيل وقلعة كبيرة مزدوجة.

**ميناء البحرين** يتشكّل من سلاسل صخور تمتد من تلك الجزيرة [البحرين] والمحرّق، ومن جرف كبير في الجهة الشمالية من هاتين الجزيرتين، ويسمى فشت الجارم. الجروف مسطحة وقعرها صخري، ولونها الأساس أبيض، ويمكن مشاهدتها بشكل جيد عمومًا. وتشكل مصائد الأسماك [المحلية][1] في تلك الأماكن كلها مرشدًا [للقادم من البحر]، باستثناء أوقات حركة المد عندما تُغمر [تلك المصائد] بالمياه.

ويمتد الجرف القاري لجزيرة البحرين ربع ميل فقط مقابل مدينة المنامة، ويوجد خليج صغير هنا في الجرف يمكن السفن المحلية من الرسو بالقرب من المدينة. أما منزل الشيخ فهو للجهة الجنوبية الشرقية بنصف ميل باتجاه الشرق، وبينه وبين الساحل نحو نصف ميل. ويمتد [الساحل] في الاتساع باتجاه الغرب، أما ناحية القلعة البرتغالية فيصل عرضه ما بين ميل ونصف الميل. وإلى الشمال من تلك القلعة، تمتد الأرض الموحلة مسافة ميلين، ويوجد خور للقوارب خارج صخرة المنارة مباشرةً. ويجف جزء من هذه البقعة المنفصلة عند حصول حركة المد، وهي تدعى حيان. وإلى الجهة الشمالية منه، توجد قناة ضيقة تؤدي إلى الجهة الغربية، وهي بعمق قامتين مسطحتين في المنطقة الممتدة بينها وبين خور الباب. ولم يتم استكشاف هذه القناة من جهتها الغربية. وتظهر الخريطة التي أعدها (بروكس) أنها تنتهي عند حوض، لكن من الممكن وجود ممر بين الجروف الصخرية إلى خط المياه الرئيس. أما

(1) تسمى في العامية البحرانية (الحظور) ومفردها (حظرة)، وهي عبارة عن مصائد من سيقان عصى النخيل (جريد)، تُقطع في قطع متساوية الطول وتغرس قرب السواحل القريبة من حركة تجمع الاسماك، لاصطياد السمك بها بين حركة المد والجزر في البحر.

المنارات المرتبطة بقلعة الرفاع، فتساعد السفن على تجنب جرف حيان، وعن منحدر بعمق قامتين إلى الشمال منها. ويعتبر خور الباب ممرًا يقع جنوبي جرف الجارم، وذلك مفصل في ص 162.

إن جرف جزيرة المحرّق واسع جدًا، وهو يشتمل على قناة ضحلة المياه، تمتد من الجهة الغربية له باتجاه المحرّق وخور الجليعة. ويمنح السكان المحليون أسماء متعددة للأجزاء المختلفة من هذا الجرف الصخري، إلا أنه يبدو أنه لا يوجد اسم عام للجرف بأكمله. وبحسب خريطة (بروكس)، فإن الجرف، في الجهة الشرقية لجزيرة المحرَّق، يمتد من ميل ونصف إلى ميلين، حيث ينخفض السبر تدريجيًا من 6 قامات على بعد ميل واحد تقريبًا. وفي الجهة الشمالية الشرقية من قلالي، يوجد نقطة في الجرف تسمى الكشاشة [وتسمى أيضًا رأس الحد]، وهي تمتد نحو ميلين باتجاه جزيرة هرثه.

**رأس خصيفة**، وهي النقطة التي تقع شمال غرب هذا الجرف، وتمثل خطرًا أساسيًا عند الدخول إلى الميناء، إذ إنه شاطئ محجوب عن الرياح، وبعيد جدًا عن البر. ويجف الجرف قبالة جزيرة المحرَّق باتجاه الشمال الغربي على بعد ميلين. وخارج هذه المنطقة، يوجد بقعة واسعة بعمق قامتين ونصف القامة، وتبعد عن الجزيرة 3 أميال ونصف الميل، وينخفض عمقها مع التوجه إلى الجرف الجاف. ومع وجود برج قلالي خلف بستان سماهيج للنخيل، تصبح في منحدر اللسان الساحلي.

ويمتد طرف الجرف من هذه النقطة باتجاه الجنوب، ويتراوح عمق المياه بالقرب منه بين 4 و6 قامات، وحتى بعد ميلين ونصف الميل عند مدخل خور المحرَّق. وتعتبر جزيرة السايه علامة لمدخله [خور المحرَّق] باتجاه الجنوب الشرقي، ونصف ميل باتجاه الجنوب، أو إلى الطرف الجنوبي لقرية البسيتين. ويمتد هذا الخور إلى الجنوب الشرقي لمدينة المحرَّق، ومياهه ضحلة جدًا، تبلغ في بعض الأجزاء 3 أو 4 قامات عند حركة الجزر.

وفي الاتجاه نفسه للسايه، يوجد رقعة مساحتها 9 أقدام، وتبعد ميلين ونصف الميل عن البسيتين؛ ومن هذه النقطة، تمتد الأرض الموحلة باتجاه الجنوب إلى رأس زروان. إن المنارات الموجودة بالتوازي مع جبل الدخان تمتد مسافة 800 ياردة للجهة الغربية من هذه المنطقة الخطرة.

إن مرسى السفن الكبيرة يقع مباشرة في الجنوب الغربي من هذه الرقعة بعمق 4 قامات؛ حيث تكون السايه متوازية مع مجموعة البسيتين، ويمكن رؤية المنارات بين جبل الدخان وقلعة الرفاع.

**رأس زروان،** تعتبر المنطقة الغربية للجرف، وتشكل الجانب الشمالي للمرسى الداخلي، ويبعد طرفه الخارجي ميلًا ونصف الميل لجهة شمال الشمال الغربي عن المنامة {منزل الشيخ}. وبعيدًا عن هذه المنطقة، تلامس السايه أقصى الشمال الغربي لجزيرة المحرَّق. ويظهر الجزء الكبير من الجرف بشكل جيد من هذه النقطة، لكن المنطقة الخارجية المفصولة الأبعد، التي تحتوي على مياه أكثر بعض الشيء، لا يمكن رؤيتها بوضوح. وفي هذا الجزء من الميناء، الذي يبلغ عرضه نصف ميل فقط، يكون مستوى المياه ما بين 3 قامات و3 قامات ونصف القامة عند حركة الجزر. ويحيط المرسى الداخلي بهذه المنطقة، عمقه ما بين قامتين ونصف القامة وبين ثلاث قامات، وخارج مكان رسو السفن المحلية، في الواقع أكثر من ميل قبالة الساحل، ويوجد منارة صغيرة مكشوفة إلى يسار منزل الشيخ.

ويمتد طرف الجرف من زروان إلى شرق الجنوب الشرقي بنحو ميل وربع، مشكلًا بذلك الجانب الشمالي للميناء الداخلي، الذي يصبح ضحلًا بشكل طبيعي باتجاه المدينة. المرسى قريب من جهة زروان، علمًا أن المياه ضحلة في الجزء الجنوبي من الخليج باتجاه [حالة] النعيم والقلعة البرتغالية. ويطلق على الميناء الخارجي بأكمله، أو نطاق المياه العميقة بين الجروف، اسم سليسل. أما القاع في الميناء الداخلي، فهو عبارة عن طين ورمال، وأرضه محكمة جيدًا، أما الجزء الخارجي فتكثر فيه الرمال والأصداف. يبلغ عمق المياه جنوب الخط المتجه نحو جنوب الغرب

من بستان النخيل الشرقي في المحرَّق ريا أقل من 3 قامات. والعمق الأكبر شمال غرب رأس خصيفة يبلغ 4 قامات. أما السبر إلى الجهة الجنوبية من هذا الخط فيبلغ ما بين 5 و7 قامات، وتنخفض إلى 3 و4 قامات بالقرب من الجروف، ولكن في بعض المناطق، يمكن أن نجد مياهًا بعمق 7 قامات بالقرب من الجرف. ويبلغ السبر خارج ذلك الخط من 4 إلى 5 قامات عند مدخل الميناء.

**فشت الجارم،** هو الجرف الواسع الذي يشكل حماية للميناء في وجه الرياح الشمالية، لم يُستكشف سوى جزئيًا، ولم يتم تحديد امتداده باتجاه الشمال الغربي والشمال بشكل واضح. إن المخطط المرسوم في خريطة (بروكس) هو تقريبي فقط، وقد يصل اتساعه إلى 10 أميال، وطوله إلى 15 ميلًا، شمالًا وجنوبًا. أما المنطقة الشمالية الشرقية التي تسمى رأس شقايب، فتشكل الخطر الرئيس الذي ينبغي تجنبه عند التوجه إلى هذه الأماكن نظرًا لأنه لا يمكن رؤيته من البر. وهي تبعد 16 ميل شمالًا وربع ميل غربًا عن أشجار النخيل في ريا، ويبلغ عمق المياه بالقرب منها 4 قامات، و6 قامات على بعد ميل منها للجهة الشرقية، و8 قامات على بعد 4 أميال.

ويمتد طرف الجرف منه [فشت الجارم] باتجاه الجنوب مسافة 10 أميال، ونحو المنطقة الجنوبية الشرقية، التي تقع قبالتها رقعة منفصلة بعمق قامتين ونصف القامة على الأقل من المياه، أما الطرف الخارجي منه، فَيَتَّجِهُ إلى الشمال الشرقي بمسافة 6 أميال، انطلاقًا من بستان نخيل ريا. وقد تتمكن السفن ذات الأوزان الخفيفة من اجتيازها، إذ إن ذلك دليلٌ جيدٌ للإشارة إلى موقعها، ارتباطًا بالنقطة الجنوبية الشرقية للجارم.

وانطلاقًا من هذه النقطة، ينعطف الجرف بالاتجاه الجنوبي الشرقي، على مسافة 7 أميال، حتى يصل إلى المنطقة الجنوبية وتسمى فشت العظم، وتقع هذه في الجانب الشمالي لمدخل خور الباب. ومن هذه المنطقة يمتد في اتجاه وسطي نحو شمال الشمال الغربي مسافة 9 أو 10 أميال حتى يصل إلى أقصى

الشمال الغربي، وهو يشكل الجانب الشرقي من ذاك الممر. وقد تم تحديد الطرف الشمالي لوحده بشكل تقريبي.

يتكون الجارم بشكل رئيس من رمال بيضاء، أو أحجار بيضاء ناعمة. وعلى الطرف الشمالي منه نجد بقعًا داكنة من الصخور. وهو جاف في بعض أجزائه عند حركة الجزر. وتنكشف بعض الصخور في الجزء الشمالي منه عند حدوث المد النصفي. ويظهر الجرف بأكمله بشكل جيد عمومًا، وتحديدًا إن كانت الشمس خلفك.

**المد والجزر،** تحدث حركة المد على مصائد اللولؤ، إلى الشمال من الجرف الجارم، باتجاه الشرق والغرب. وغالبًا ما تؤثر على مسار السفن لدى اجتيازها للخليج. وبمحاذاة الجانب الشرقي لتلك المياه الضحلة، تنطلق حركة المد والجزر باتجاه الشمال والجنوب، وينحني مع انحناءة الميناء، فيدخل إليه ويخرج منه. قد يصل المد إلى الجهة الجنوبية الشرقية، بين المحرَّق وجزر البحرين، وإلى الجهة الشمالية الغربية عبر خور الباب. ويصل أيضًا إلى الجهة الجنوبية خارج جزيرة المحرَّق. إن سرعته في الميناء ما بين عقدة واحدة وعقدتين. إن حركة المد عند اكتمال القمر تمتد لخمس ساعات ونصف الساعة، وترتفع وتنخفض سبعة أقدام. وتعتمد كمية ارتفاع المياه وعمقها، إلى حد معين، على الرياح سواءٌ كانت شمالية غربية أو جنوبية شرقية.

**الاتجاهات -** عند التوجه إلى البحرين من الشمال {«بوشهر»، وغيرها} يتوجب على السفن الكبيرة تجنب منطقة المياه الضحلة (Rennie)[1]. من المفضل أن تكون مغادرة المكان عبر جبل (Dreng)، باتجاه الشمال الشرقي بعمق يتراوح بين 20 و30 قامة من المياه. ومن هذا الموقع، إن الاتجاه بين الجنوب والجنوب الغربي سيأخذ بالسفينة بعيدًا عن ذلك الجرف. وبحسب المد والجزر، قد

(1) الحد الأدنى للمياه يبلغ 17 قدمًا. (هامش الأرشيف البريطاني).

تصطدم [السفينة] بإحدى مصائد اللؤلؤ بوعمامة، أو بولثامة[1]. أما في حال انخفض العمق إلى أقل من 15 قدمًا، يمكنها أن تسلك طريقًا مباشرًا باتجاه هذه الضفاف من طرق «بوشهر» الخارجي.

إذا انخفضت السفينة فجأة في مستوى مياه من 35 قامة إلى 12 قامة، وربما إلى 6 قامات على هيرات اللؤلؤ، ومن ثم مرت بمياه عمقها بين 20 و25 قامة مرة أخرى، فتكون قد أغفلت الضفة الشرقية أو ضفة بولثامة. ولكن في حال مرت بمياه عمقها 20 قامة بشكل تدريجي، وفجأة انخفضت إلى 9 أو 8، ومن ثم ازداد العمق فقط ما بين 12 و13 قامة، فستكون قد ارتطمت ببوعمامة، ويتوجب عليها، عندئذٍ، التوجه إلى الجنوب، كي لا تشاهد جزيرة المحرّق إلى الجهة ما بين الجنوب والجنوب الغربي. وفي الاتجاه ما بين الشرق والجنوب الشرقي لهيرات اللؤلؤ المذكورتين أعلاه، يوجد مسافة ما بين 30 و40 ميلًا باتجاه الشرق والغرب. على حافة هير اللؤلؤ المسمى أبو الخرب، إلى شرق خط الطول 51 درجة، يوجد مسقط للمياه بعمق يتراوح بين 9 قامات و20 قامة.

وتصبح الأسبار ضحلة لتصل إلى عمق 8 و7 قامات، وذلك بعد أن تكون عميقة عند هير اللؤلؤ، وقد يصل العمق إلى 5 قامات بالقرب من الضفة الصغيرة الظاهرة على الخريطة، وموقعها مؤكد في هذه الحال.

يجب الاحتراس جيدًا من على سطح السفينة، فمن غير الممكن رؤية حافة الجارم نتيجة وجود المياه الخضراء الشاحبة، خصوصًا عند الصباح[2].

(1) من أشهر مصائد اللؤلؤ البحرينية الى الشرق من جزر البحرين، ويطلق عليها أيضًا (هيرات).

(2) هذه الاتجاهات أعطيت باعتبار أن الوصول إلى المكان يكون قبل بزوغ الفجر، وتكون السفن عرضة للتوجه إلى جهة الشرق أو الغرب وذلك بسبب المد والجزر. وفي الحالة الأولى، تكون المنطقة الشمالية الشرقية للجارم خطرة، وفي الحالة التالية قد تصل السفينة إلى جرف الدبيل {قد يكون الإبحار 9 أميال باتجاه أي الطريقين يمكن أن يكون كافيًا}. وكما أشرنا سابقًا، في حال تم الانتباه إلى الأسبار، فلا يمكن الشك في موقعها. (هامش الأرشيف البريطاني).

ويمكن رؤية أشجار النخيل في المحرّق، وجبل الدخان، وقلعة الرفاع، في الوقت نفسه إذا كان الطقس صافيًا.

أما بالنسبة للسفن الكبيرة: يعتبر وسط جبل الدخان بالتوازي مع سماهيج، شرقي المجموعات الثلاثة التي تمت رؤيتها في بادئ الأمر، دليلًا جيدًا للابتعاد عن المنطقة بعمق قامتين ونصف القامة قبالة المنطقة الجنوبية الشرقية للجارم. ويجب على السفينة أن تبقي هذه العلامة واضحة {أو الأشجار الموجودة إلى الجهة ما بين الجنوب والجنوب الغربي} حتى التأكد من أنها أصبحت جنوب تلك المنطقة [المنفصلة].

قد تطوف سفينة صغيرة حول هذه المنطقة، ما إذا حافظت على التوازي بين جبل الدخان وأشجار البسيتين، وهي الكتلة الموجودة إلى أقصى غرب المحرَّق، فتصل إلى الطرف الجنوبي الغربي كلما ازداد عمقها.

**دخول الميناء،** تكون الرياح شمالية غربية في الجزء الأطول من السنة، وهي عمومًا ما تكون مناسبة للسفن كي تدخل [إلى الميناء]. قد تضطر السفن إلى مواجهة رياح الأرض في الصباح. ولعله من المستحسن الاقتراب من جانب الجارم، فقد لا يكون جرف المحرَّق مرئيًّا تحت أشعة الشمس، ويكون الوضع معكوسًا في فترة ما بعد الظهر.

قد لا يكون من المستحسن أن تغادر أي سفينة نحو المحرَّق أثناء هبوب الرياح الشمالية الغربية باتجاه جنوب الغرب وثلاثة أرباع لجهة الغرب بعد أن تبتعد عن المنطقة الجنوبية الشرقية للجارم، فقد لا تتمكن من أن تسلم من رأس خصيفة. لا يوجد اتجاه مقابل للتأكد ما إذا مررت بالزاوية الجنوبية الشرقية للجارم. إن المسافة قبالة المحرّق يجب أن تكون الدليل إن لم تتبين حافة الجارم من على متن السفينة، أو عند رؤية بستان البسيتين وبرج قلالي، أي الأجسام المرئية إلى اليمين واليسار من المحرَّق، فاستدر بزاوية لا تقل عن 19 درجة، وستصبح حينئذٍ إلى جنوب المنطقة المنفصلة. يمكنك عندئذٍ الإبحار نصف ميل غرب الجنوب الغربي، أو بين الغرب

والجنوب الغربي حتى تصبح المنارتان بالتوازي مع جبل الدخان، عندما تكون في الممر المائي، والاتجاه نحوها. وحالما ينحصر برج قلالي خلف بستان رية فاعلم أنك مررت بالجزء الأكثر بروزًا وهو الرقعة الشمالية الغربية قبالة جزيرة المحرَّق.

والسفينة التي تبحر أكثر من 15 أو 16 قدمًا، يجب أن ترسو بمحاذاة جزيرة السايه الصخرية بالتوازي مع مجموعات أشجار البسيتين، على عمق يتراوح بين 3 قامات ونصف القامة، و4 قامات، وعلى بعد ثلاثة أميال من المدينة. إنه من الأفضل للسفينة الصغيرة الدخول إلى المرسى الداخلي، حيث ستبعد ميلًا واحدًا فقط عن المدينة؛ ولتقوم بذلك، إبق إلى جنوب الشرق، عندما تكون مجموعات الأشجار في البسيتين إلى الشرق، مع التنبه من نقطة زروان في الجرف، التي يمكن رؤيتها من على متن السفينة. وعند اجتياز تلك المنطقة، أو عندما تصبح جزيرة السايه واضحة إلى شمال جزيرة المحرّق، ويكون منزل الشيخ على بعد نصف ميل إلى جنوب الجنوب الشرقي، أبحر تجاه المراكب المحلية وقم بالرسو بعيدًا عنها بعض الشيء، بالقرب من جهة زروان، على عمق قامتين ونصف إلى 3 قامات.

وسيكون من الصعب رؤية المنارتين من على سطح السفينة خلف الأشجار، لكن ربما يمكن رؤيتها من على متن السفينة قبل الوصول إلى زروان.

إن العمل، يجب أن يتم تدريجيًا، خارج المرسى الداخلي، ما لم يكن هناك أي نسيم من البر في الصباح الباكر للاستفادة منه، فيجب الانطلاق ببطء حتى اجتياز رأس زروان، وهناك يوجد أقل من نصف ميل من القناة الصافية للعمل فيها. وينحدر الجانب الغربي من الجرف المحرَّق، جنوب رأس خصيفة، إلى نحو 6 قامات في بعض أجزائه القريبة من حافتها، يجب أن تكون العين هي الدليل الرئيس لذلك. وبعد اجتياز زروان، ستجد أن المنارات الموجودة في قلعة الرفاع علامة مهمة للدلالة على الجانب الغربي من الميناء، حتى بعد منطقة فشت العظم في جرف الجارم.

وبين الجانب الجنوبي من المحرَّق، والجانب الشمالي الشرقي من جزيرة البحرين، يوجد مدخل أو خور يتراوح عرضه بين نصف ميل وميل بأسبار تتراوح بين 3 و6 قامات، تمتد إلى القرب من مدينة المحرَّق، وتستخدمها السفن المحلية كثيرًا. لم يتم التحقق من الممرات، ولم تستخدمها السفن الأوروبية. وترتبط قناة المحرّق الضحلة، التي ذكرناها سابقًا، بميناء البحرين؛ لكن يتوجب على السفن المحلية الكبيرة أن تلتف حول جزيرة المحرَّق. وعلى العين أن تكون دليلًا عند محاولة الدخول لهذا الميناء الجنوبي الشرقي، كما كان يدعى، وذلك حتى إجراء مسح [له]. ويدعوه السكان المحليون خور الجليعة. ومدخله يحيط بنقطة الجرف، التي تمتد 4 أميال إلى الجهة الجنوبية الشرقية من قرية الحد في جزيرة المحرَّق.

**خور الباب،** هو اسم يطلق على الممر الجنوبي لفشت الجارم يتجه من البحرين إلى القطيف. وقد تحقق منه جزئيًا الملازم (ويش) من البحرية الهندية. ويمكن الحصول على ربابنة السفن في البحرين، وذلك لسحب السفن 16 قدمًا في المياه. يقع المدخل للجهة الغربية من ميناء البحرين حول فشت العظم، أو في المنطقة الجنوبية للجارم. وعندما تكون في المدخل، تجد القلعة البرتغالية بالتوازي مع جبل الدخان، وتكون أشجار النخيل في رية باتجاه جنوب الشرق. ودائمًا ما يحتاط ربابنة السفن للجروف عند الطرف الجنوبي لفشت العظم، وذلك للتأكد من الجانب الذي يتواجدون فيه، ومن ثم يتجهون إلى الجهة الجنوبية الشرقية إلى الخور. ويكون اتجاه الخور إلى شمال الشمال الغربي، ويصل متوسط عرضه إلى ميل واحد، ويصل عمق الأسبار ما بين 3 قامات ونصف القامة و5 قامات.

وعلى بعد ثلاثة أميال في المدخل تجد طريقًا من الخور إلى الغرب، وعلى الجرف، يوجد ضفة رملية صغيرة إلى الجهة الجنوبية، تكاد لا تغطيها المياه عند المد، ودائمًا ما تجد أسرابًا من الطيور عليها، اسمها (Marrwadi).

وعلى الجانب الشمالي لهذه القناة، تجد جرفًا يسمى خور الفشت، وفيه عدد من الضفاف الرملية، ونبع جميل من المياه العذبة على الطرف الجنوبي منها، ودائمًا ما يظهر منها مساحة قدمين أو ثلاثة أقدام أثناء حركة الجزر. وإنه لمن الصعب إيجاد هذه المساحة إلا أثناء حركة الجزر، عندما يكون البحر هادئًا وتعتبر القلعة البرتغالية بالتوازي مع الجزء الأعلى من رمال (Marrwadi)، علامة للعبور[1].

إن جرف خور الفشت، من جانبه الشرقي باتجاه خور الباب شديد الانحدار، ولكنه يظهر بوضوح عند الاقتراب أكثر تدريجيًا من جانب الجارم. وتجد على جرف الجارم، على بعد ميلين من طرفه الغربي، صخرة أو جزيرة جافة عند حركة المد، وتقع على بعد 11 ميلًا ونصف الميل إلى الشمال، وثلاثة أرباع الميل إلى الغرب من القلعة البرتغالية. يطلق عليها اسم (Jilahat)، وتقول التقاليد إنه كان فيها قلعة في السابق، لكن لا يوجد أي آثار لها الآن. وعندما تتجه إلى شرق الشمال الشرقي من هذه النقطة، تكون قد اجتزت المسافة إلى شمال خور الفشت. وتعتبر هذه الصخرة ورمال (Marrwadi) علامات مفيدة للانتقال عبر الخور.

وعندئذٍ، تقع القناة الأفضل بين جرف الشاطئ، الذي يمتد قبالة المنطقة الجنوبية للقطيف، وتسمى رأس الجواجب، وعلى بعد 7 أميال للجهة الجنوبية الشرقية من رأس تنورة، تجد رمال (Chaschus)، التي تدل المنطقة القريبة من طرفها الخارجي على موقعها، وجرف منفصل يسمى نجوى، عليه ضفة رملية جافة. ويوجد أيضًا قناة تقع إلى الجهة الشمالية من الجرف الأخير، بينه وبين الجارم، لكن العرب يفضلون عمومًا القناة الأخرى لأنها محمية والوصول إليها يكون مباشرًا.

(1) إن المركب الشراعي ذا الصاريين «ماهي»، من البحرية الهندية، الخاص بجلالة الملكة يرسو هنا محميًا من الرياح كلها، ويتم ملؤه بالمياه بواسطة أنبوب وخرطوم ينقلان المياه إلى المركب من البحر، وترسو السفينة على بعد مسافة ربع ميل من النبع. (هامش الأرشيف البريطاني).

يوجد منطقة بارزة من جرف الشاطئ على بعد 7 أميال عن رأس تنورة تسمى الرأس الخالي، وفيه نبع مياه عذبة تحت البحر. ويبلغ عرض الممر بينها وبين نجوى نحو ميلين و3 أميال، وبعمق 3 قامات ونصف القامة إلى 6 قامات. وتقع رمال (Chaschus) على بعد 8 أميال تقريبًا من الشاطئ ولا يمكن رؤية قسم كبير من الساحل أثناء التوجه إليها.

ويمتد الساحل من رأس الجواجب باتجاه الشمال الغربي نحو القطيف. وعلى بعد 10 أميال أسفل هذا المكان، يوجد عدد من التلال الصخرية الصغيرة، التي يمكن رؤيتها عن بعد 9 أميال، وتسمى (Marachibat Sadun)، وذلك لأنها تشبه عددًا من سفن «البغلة» المبحرة.

# التضاريس (الطوبوغرافيا)
# وعلم الآثار القديمة (أركيولوجيا)

## ملاحظات حول جزر البحرين وآثارها القديمة[1]

بقلم النقيب (إي. ألـ. ديوراند)، المساعد الأول للمقيم، الخليج الفارسي [2]

### تقرير وصفي

1. كان الأسطول البريطاني قد طَرد البرتغاليّين[3]من هذه الجزر أثناء مساعدتهم للشاه عبّاس في العام 1622 بعد الميلاد، وأوجز لي أحد السكّان المحليين ميّزاتها قائلًا: «الجزيرة فضة، والبحر لآلئ»، تقع على خط عرض 26 ْ وخط طول 50 ْ «51»، وتقع قلعة البرتغال في الجزيرة الأكبر على خطّ عرض 26ْ «13» 53 شمالًا و خطّ طول 50 ْ «31» 45 شرقًا.

2. تحيط بالجزر مياهٌ ضحلة من الجوانب كلها، وهو ما يضفي على المكان الكثير من الجمال.

3. لدى مشاهدة البحر صباحًا تحت سماءٍ صافية، وهبوب رياح شمالية غربية، يبدو لك كأنّ الطبيعة سخَت في إضفاء لمستها وأفرغت كلّ صبغة من اللون الأخضر الحيّ من صندوق ألوانها وبعد أن تعبت، رشّت، بغضب، بقعة من اللون البنفسجي على المشهد.

---

(1) انظر: أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية الأصلية، مركز أوال للدراسات والتوثيق (بيروت، 2019)، مج 2، ص 459 - 487.

(2) مرفق في نهاية هذا الكتاب صورة عن الخريطة تبين الملاحظات حول جزيرة البحرين الواردة في هذا التقرير.

(3) البريطانيون لم يكن لهم أي علاقة بطرد البرتغاليين من البحرين، لأن ذلك كان في العام 1602 على يد الفرس في عهد الشاه عباس الأول الصفوي.

4. المياه نفسها صافية بحيث يمكنك رؤية الأعماق المرجانية المصدَّعة والحصول على ينابيع من المياه العذبة التي تفور من المياه المالحة بالقرب من مدخل الميناء، وفي مناطق متعددة على طول الخط الساحلي.

5. يؤكّد المؤرّخون المحليّون أنّه في عهد مروان، حضر زعيم يُدعى ابن حكيم من القطيف راغبًا بالزواج من ابنة زعيم البحرين. غير أنّ المطلوب كان توفّر الألقاب أو الأموال وقد انتهت الحكاية برفض عروضه ومقابلتها بالازدراء. وهنا بدأ بالعمليات المعادية عبر حرمان البحرينيين العطاشى من شرابهم المعتاد؛ فاستولى على ثلاث آبار تقع إحداها في قرية عالي، والثانية في البلاد القديم، والبئر الثالثة بالقرب من البحرين في قرية تُدعى الدرّاز. وعندما مُلئَت هذه الآبار [بالحجارة لردمها]، جعلها الرب الحارس للجزيرة تنفجر في مناطق [أخرى] ما تزال تحتوي على تلك الينابيع في مواجهة المحرَّق. وسرعان ما هُزم المعتدي وتراجع إلى البرّ الرئيس.

6. وعلى الرغم من أنّ هذه البحار الضحلة [غير العميقة] تُعدّ بلا شكّ من المعالم الجميلة إلّا أنّها تمثّل خطرًا إلى حد ما، إذ لم يجرِ قطّ مسحها بالشكل المناسب[1]، وفي الواقع، باستثناء تلك الموجودة شمالي الجُزُر وشمالها الشرقي، فإنها غير معروفة عمليًّا، لدرجة أنّ ربابنة السفن المحليين يُجمعون على خطورة هذه المياه؛ غير أنّ أحدًا ممن سألتهم لم يتوافق مع غيره على تقدير يمكن الاعتماد عليه لعدد القامات [لعمق الماء بها].

7. ونظرًا لأن جزر البحرين محاطة من ثلاث جهات باليابسة التي تمتد إلى مسافة بين 30 و40 ميلًا تقريبًا في المياه المتوسطة، وهو الجزء الذي لم يخضع للمسح، فإنّ البحرين قد تتعرّض في أيّ وقت للهجوم من تلك الناحية، ولهذا قد يصعب حمايتها.

(1) لقد وضعتُ علامة عند أدنى خطّ في مسح الشرق والغرب الشمالي في تعقّبي للخريطة المزوَّدة للسفن البحرية الخاصة بجلالة الملكة. (هامش الأرشيف البريطاني).

8. من أعلى جبل الدخان[1]، أو تل الدخان، في مركز الجزيرة الأكبر حجمًا، يطالعك هذا البحر في مشهد مثالي يطوقه جزيرة [البحرين] الرئيسة، وإذا لزم الأمر يمكن بسهولة استخدام هذا التل كمحطة للإشارات [اللاسلكية]، إذ إنّ أعلى التل يمكن رؤيته بوضوح من المحرَّق والمنامة.

## التجارة

9. لا يوجد الكثير ليُقال عن التجارة في هذه الجُزر.

10. اللآلئ والتمور هي المواد الرئيسة، لا بل الوحيدة تقريبًا، التي يتم تصديرها وفق الإحصائيات التي تُذكر سنويًّا في التقارير. أمّا تجارة الاستيراد، فهي تشمل، بشكل رئيس، الأرز، والقهوة، والثياب، وغالبًا ما يقوم بها (البانيان) من بلاد الهند المقيمين هنا، وهم رجال مبتدئون في التجارة، في حين أنّ الرأسماليين الكبار يأتون فقط في موسم صيد اللؤلؤ.

11. قد تتوسّع العمليات التجارية في هذه الجُزر إلى حدّ كبير في ظل حكومة مستقرّة؛ ولو أنّ الحكومة البريطانية، مثلًا، تدير تلك العمليات لكانت سيطرت على تجارة الخليج الفارسي بأكمله وباتت الجُزر مركزًا تجاريًّا يزود فارس والجزيرة العربية.

12. أجرؤ على القول إنّه قد لا يبقى أيًّا من التجّار في الموانئ التابعة للحُكم المحليّ في الخليج كله، من البصرة إلى مسقط، باستثناء الوكلاء اللازمين للتخليص الجمركي وتمرير الشحنات إلى الداخل.

13. إذا ألقينا نظرة على الخريطة، يمكن إنشاء أفضل ميناء تصل حدوده إلى أبواب المخازن، وذلك على أراضٍ مستصلحَة من البحر، ومن دون الاستعانة بالكثير من اليد العاملة.

(1) يبلغ ارتفاع جبل [تل] الدخان عن سطح البحر نحو 440 قدمًا. (هامش الأرشيف البريطاني).

14. تمتدّ الأراضي المستصلحة[1] من قلعة البرتغال إلى جزيرة المحرَّق تقريبًا، وما يلزَم لتنفيذ ذلك هو جدار من الحجارة يتمّ بناؤه في حالة المدّ المنخفض، إذا تطلب الأمر، ويُبنى بشكل تدريجي. وفي فترة اكتمال القمر وحالات المدّ المنخفض التي نمر بها في الوقت الحالي، شاهدت اليابسة تجفّ فجأةً إلى حيث تغوص الشعاب المرجانية في المياه العميقة.

## المنطقة الداخلية للجزر

15. تتّصف المناطق الداخلية لجزُر البحرين، لا سيما الجزيرة الكبيرة، ببعض الميّزات الملحوظة جدًّا.

16. وفرضًا أنك تقف في الوسط، في أعلى جبل الدخان، {أو تل الدُّخان}، إذا نظرت إلى الأطراف، فإنّ المشهد بكامله يطلّ عليك في الأسفل. أوّلًا، يبدو الجبل نفسه مكوَّنًا من الحجر الجيري ويبلغ ارتفاعه نحو أربعمائة قدَم فوق سطح البحر وكأنّه فوهة قديمة لأحد البراكين {إذا كان الأمر ممكنًا} وهو محاط بحلقة من المنحدرات المواجهة للداخل قبالة ثلاثة أو أربعة أميال. لكنني في الواقع، أعتقد أنه من الصحيح القول إن مساحة من اليابسة قد خُسفت حول الجبل، داخل حلقة من المنحدرات لأنّ منحدرات الجبل مكوّنة من الحجر الجيري وبالطبع لا يبدو عليه أيّ أثر لتفاعل بركانيّ. تنحدر الأرض تدريجيًّا باتّجاه البحر من الجوانب كلها ابتداءً من القمّة الخارجية لهذه الحلقة من المنحدرات.

17. وعلى الرغم من أن خريطة ميناء البحرين[2] لم يكن الهدف منها تمامًا أن تشكِّل مسحًا دقيقًا للأراضي، إلّا أنّها تظهر موقع الأرض بواقعية أكثر ممّا

(1) انظر رسم الجزر حيث أشرت إلى قياسات العمق. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) أعدّها القائد كونستبل (Constable) والملازم ويش (Wish) وقد أعاد المسح في العامين 1873 و1874، السادة (توموسون) وكثبيرت (Cuthbert) قادة سفينة جلالة الملكة الشراعية ذات الصاريين «كونستانس» (Constance). (هامش الأرشيف البريطاني).

تظهره الخريطة الصغيرة التي زوّدك بها السيد (تومسون)، حيث أُعطيَ جبل الدخان والمنحدرات المحيطة به أهمية مبالَغ فيها وغير موجودة في الخريطة الأصليّة.

18. تبدو الجزيرة بأكملها جرداء من الجهتين الجنوبية والشرقية، ولكن إلى الغرب من الجبل، تبدأ مجموعات من أشجار النخيل بالظهور على طول الساحل لتمتدّ من هناك حول الشاطئ الشمالي إلى الشمال الشرقيّ. وبالطبع، لا بدّ من أن تكون هذه الأشجار جميعها مزودة بالمياه بوفرة، ذلك أن البحرين، في الحقيقة، تتنعّم بشكل رائع بهذه المياه.

## المياه

19. لقد لاحظت سابقًا الينابيع العذبة التي تتدفّق في البحار على طول شاطئ البحرين. وفي هذا الصدد، يذكر (فورستر) أنّ العرب يعتقدون أنّ مصدر تلك الينابيع وغيرها في البرّ الرئيس تنبع من نهر في باطن الأرض ما زال يجري من الفرات وعلى حدّ تعبير (فورستر)، من الواضح جدًّا أنّ هذه الينابيع هي «الأنهار التي يُعتقَد أنهّا تنبع من نهر الفرات» وهو ما ذكره (پليني) في هذا الشأن. {إنّه لأمر شائع في فارس أن ترى آبارًا تجري في أرضٍ غير صالحة، وأن تكتشف اتّصالها بجدول ماءٍ في باطن الأرض}.

20. أمّا الينابيع الأساسيّة فهي [عين] قصاري، الممتدة على الطريق من المنامة إلى بلاد القديم، و[عين] أمّ شعوم، التي تبعد ميلًا واحدًا عن شرقي المنامة، و[عين] أبو زيدان في البلاد القديم، وعذاري، التي تمدّ بالمياه أميالًا كثيرة من بساتين النخيل عبر قناةٍ قديمة مبنيّة بحرفيّة {تنهار الآن بعض ضفافها الحجريّة}، إضافةً إلى نهرٍ رائعٍ تتدفّق مياهه بسرعة؛ عرضه 10 أقدام، وعمقه قدَمَان. أمّا الينبوع [العين] نفسه، فهو بعمق 30 إلى 35 قدمًا وهو يضخ بقوّة بحيث يُدفع

أي غواص إلى الأعلى لدى اقترابه من القاع. لا أقصد بذلك أنّه لا يمكنك بلوغ القعر[1]، ولكن يمكن للفرد أن يشعر بدفع قوّة المياه له.

21. تتّصف مياه هذا الينبوع العميق بأنّها نقيّة كالبلّور بمسحة لونٍ أخضر خفيف ورائع جدًّا. كما أنّ حوض هذا الينبوع اصطناعيّ ويبلغ عرضه 22 ياردة وطوله 40 ياردة. يحتضن [الينبوع] سربًا أو سربين من الأسماك الكبيرة، والكثير من السلاحف المائيّة، كما أنّ مياهه ليست حلوة تمامًا، وهي الخاصيّة التي تنطبق على الآبار كلها تقريبًا، مع الإشارة إلى أنّ مياه الشرب تُنقَل عبر الجِمال إلى متذوقيها من آبار أمّ غويفة والحنينية[2]، ويُقال إنّها تقع على عمق 20 قدمًا في تلال الرفاع. تُنقَل المياه من مختلف هذه الآبار عبر قنواتٍ مائيّة عادية من دون ضفاف، وأكبر قناة فيها تبدو كالجداول الطبيعية. أمّا في الأماكن التي ينبغي رفع المياه من الآبار فيها، فيتمّ ذلك عبر دلو جلديّ يتمّ إنزاله باستخدام بكرة ويُرفع إلى مستوى البئر بواسطة الماشية التي تتجه نحو منحدر من القنوات لتسحب بشكلٍ مائل، وذلك عن طريق رفع جذع نخلة تربطه الحبال بعمود وتحافظ على توازنه عند أحد طرفَيه سلّة من التراب التي يُوضع فيها، فلا يتطلب رفع المياه سوى القليل من الجهد.

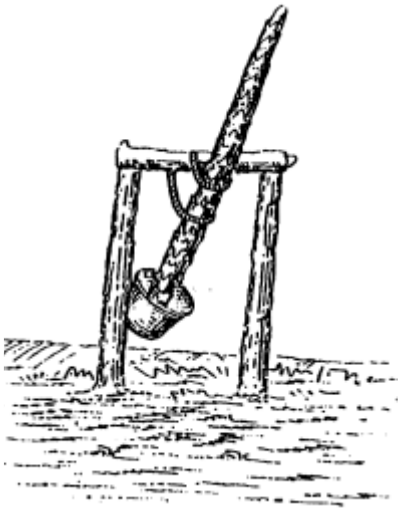

شيء من هذا القبيل

(1) كنتُ مع بعض غواصي صيد اللؤلؤ وقد وصلوا إلى قعر المياه ومشوا لبعض الوقت هناك ومن ثمّ ظهروا كالأقزام على علوّ قدم واحد. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) اسما قريتين تبعدان ميلاً واحدًا عن بعضهما البعض، وتقعان أعلى حلقة المنحدرات. (هامش الأرشيف البريطاني).

22. يبدو جبل الدخان، كما ذكرتُ أعلاه، مكوّنًا من أحد أنواع الحجر الجيري. وفي المنحدرات المحيطة بالجبل وجدت بعض الأصداف المتحجّرة مع الإشارة إلى أنّني أعتقد أن هذه المنحدرات مكوّنة من الحجر الرمليّ، رغم أنّها جيرية بشكل عام، كما أنّ الحجارة تكثر هناك بشكل هائل وقد استخدمتها لبناء البيوت المهدّمة أسفل أكوام التراب.

23. ولدى الاقتراب من الساحل، تطالعك أرضٌ ترابية بيضاء اللون وبقايا هياكل عظمية، ومساكن تلفت انتباهك بقوّة إلى جانب تلال شاهقة[1] خالية من الزرع تعلو فوق بساتين النخيل. أمّا الخريطة، فهي تقدّم القليل من المعلومات عن هذه المعالم [الأثرية] الأبرز. كتلٌ وتلالٌ فوق بعضها تشكل سلسلةً حول المسار الممتدّ من المنحدرات إلى البحر، وهي ملتصقةً، على نحوٍ خاص، بمستوى مرتفع من اليابسة، إلّا أنّك قرب الساحل نفسه، تجدها ضمن مجموعاتٍ منفصلة.

24. توجد المجموعة الأمّ على الأرجح في قرية عالي[2] الحديثة، علمًا أنّ مجموعات أخرى كبيرة موجودة أيضًا في الكثير من المناطق لا سيما تلك الموجودة في البلاد القديم، والتلال الحمراء على يسار طريق الرفاع العام، والسلسلة المؤلّفة من خمس أو ستّ تلال كبيرة مقابل البحر الشمالي بالقرب من قرية سار، وهي مجموعة صغيرة من بين مجموعات كثيرة، وإنها جديرة بالاهتمام بشكلٍ أو بآخر. ولا بدّ من العودة للحديث عن هذه المعالم في وقتٍ لاحق.

25. يُقال إنّه يمكن الحصول على الملح بكميّاتٍ كبيرة من الطرف الجنوبي للجزيرة {وكذلك أُخبرتُ عن البرّ الرئيس المحاذي}. وفي هذا الصدد، تحقق من رواية (سترابو) حول البيوت المبنيّة من الملح[3] في هذه المناطق «التي تتم صيانتها

(1) أرفقتُ رسمًا لمجموعة من هذه التلال ربّما تضمّ التلال الأكبر على الجزيرة. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) راجع الخريطة. (هامش الأرشيف البريطاني).

(3) (پليني)- بيوت مبنيّة من «الملح الأحفوري»، هل هو الملح الصخري أو المرجان الأبيض أو نوع قاسٍ من الطين {يوجد في البحرين وهو مشرّب جدًّا بالملح}. (هامش الأرشيف البريطاني).

بفعل رش المياه المالحة عليها». بخصوص هذه المسألة، أكّد لي أحد العرب من البرّ الرئيس أنّه في أحد المواقع التي يقومون فيها الآن باستخراج الملح، عادة ما يشاهدون حطام مبانٍ وأعمدة قديمة.

## الأشجار والنباتات

26. تأتي أشجار النخيل في المرتبة الأولى بين الأشجار، إذ تتّصف بعض حدائق النخيل بجمالها الشديد. غير أنّ الكثير منها إما يصيبه الخراب، أو قد أصابه جرّاء الإدارة السيّئة في حكم الشيخ [عيسى بن علي]، في حين أنّ بعض الأماكن التي كانت يومًا حدائق مزدهرة باتت خالية حتى من شجرةٍ واحدة.

27. تنمو أشجار اللّوز، ذات الأوراق العريضة والملوّنة، بشكلٍ جيّد وهي تُرى بكثرة بين أشجار النخيل.

28. أمّا نبات الأترج فهو أيضًا ينمو الآن على نحوٍ جيد في حديقةٍ خاصة للشيخ أحمد. وقد رأيت فدادين من الأراضي المزروعة بكميّاتٍ كبيرة من أشجار هذه الفاكهة الذهبيّة، ويبدو أنّها بالكاد قادرة على تحمّل ثقلها. تنتشر هذه الأشجار بين أشجار النخيل، والدرّاق، واللّوز، وهي نفسها مغطّاة، إلى جانب الفاكهة، بأزهارٍ عطرة[1].

29. أضف إلى أنّ أشجار التمر الهندي تزدهر أيضًا، ويُرجَّح أن يكون قد تمّ استيرادها من الهند.

30. وفي الهامش، نذكر لائحة عامة بالأشجار[2] إلاَّ أنّها قد لا تكون كاملة.

31. نبات زيت الخروع، الذي يغزو كلّ تربةٍ شرقيّة، يزدهر هنا كما في كلّ مكان.

32. نبات الفصّة يُزرع بشكلٍ كبير وهو يشكّل تقريبًا {مع التمور} الغذاء الوحيد المنتَج أو المستخدَم للحيوانات في هذه الجزيرة. ولو أنّ القليل من الاهتمام

(1) يبلغ محيطها نحو 20 إنشًا أو أكثر. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) النخيل، الدرّاق، الكرمة، تمر هندي، التين، الأترج، الرّمّان، المشمش، اللّوز، التوت، Bair. (هامش الأرشيف البريطاني).

يُمنح لهذا النوع من الزراعة لأمكن إنتاج أنواع الخضار كلها إذ إنّ المناخ هنا جيّد لمدة ستّة أشهر في السنة على الأقلّ، والمياه وافرة.

## الحيوانات

33. لائحة الحيوانات لا تضمّ الكثير منها، وهي تشمل الجمال، والخيول، والبقر، والحمير {وحتمًا هنا الكلب الشرقي}، وتتواجد [كلها] في مناطق مختلفة من الجزيرة. تتغذّى تلك الحيوانات جميعها بشكلٍ رئيس على نبات الفصّة بالإضافة إلى التمور.

34. تعود أصول أغلب الجمال إلى الجزيرة العربية، رغم أنّها باتت اليوم تتناسل هنا في المستنقعات، مع الإشارة إلى أنّ الشيوخ يملكون القليل من الجمال الجيّدة والصالحة للركوب. وتأكل هذه الجمال حتى وإن كانت تهرول بحيث يشعر راكبها غير المعتاد عليها بالعجز نظرًا لاختفاء عنقها الطويل وتفاوت رأس الجمل مع رجلَيه، إلّا أنّ هذا الإحساس سرعان ما يتحوّل إلى ثقة واضحة لدى التعوّد على الأداء البهلوانيّ للجمل وعدم تسبّبه بأيّ أذى.

35. أمّا الخيول التي تبهج بعض القبائل والعائلات المرموقة، فقد اتّضح لي أنّها هجينة باستثناء بعض الرمكة الكبيرة في السنّ. تبقى هذه الحيوانات في العراء وبلا استخدام أو عناية بها، صيفًا وشتاءً، وفي المكان نفسه وتأكل التمور ونبات الفصّة بكلّ رضًا. تجري عمليات التناسل من أكثر الخيول المعتلّة والكسيحة، وبعضها بالكاد يستطيع الوقوف بسبب المرض؛ ونظرًا لأن المهور لا تحظى بالتمارين الكافية، أو بأي تمارين على الإطلاق، فإن ترتيبات التناسل لا يمكن أن تكون مرضية بشكل كبير.

36. الشيوخ هم بالطبع المالكون الوحيدون لهذه الخيول، وهم يعتبرون خيولهم الكسيحة والمشوّهة ذات قيمة عالية. ولهذا لا يستحقّ الأمر إطلاعهم على الحقيقة إذ لن يُقدم أحد عاقل على شراء واحدٍ منها.

37. البقر ذات شهرة واسعة، وهي ما تزال حيوانات جيدة، إلّا أنّ سلالتها تنقرض نظرًا لعدم إمكانية الفقير أو المزارع من الاحتفاظ بها.

38. أمّا الحمير البيضاء، فقد اشتهرت أيضًا إلّا أنّها قليلة العدد ومتباعدة عن بعضها باستثناء تلك التي يملكها الشيوخ وبعض الرجال المرموقين. أضف إلى ذلك أنّها ليست حيوانات جيّدة جدًّا مقارنة مع تلك التي رأيتها في فارس، كما أنّها أغلى ثمنًا. الحمار الرماديّ الصغير والعادي يحصل على قوته بحسب قدرته أثناء تنقّله بين القرى؛ هذا النوع من الحمير متوافر بكثرة وهو يُستخدَم بوضَع خراجين على ظهره ليحمل «عذوق» [ثمار] الرطب، والأخشاب، وغيرها إلى سوق المدينة.

## الحيوانات البريّة

39. الحيوانات البريّة قليلة، وكلّ ما أعرفه منها هي الغزلان، والأرانب البريّة، والنمس.

40. يختلف الغزال العربيّ، بجماله الرائع ورشاقته، اختلافًا كبيرًا عن الغزلان الفارسية أو غزلان بلاد ما بين النهرين، تمامًا كالاختلاف بين الحصان المستخدم لجرّ العربة وبين الحصان المُهجن.

41. أمّا الأرانب البريّة، فهي بحجم ثلاثة أرباع أرنب إنجليزي تامّ النموّ تقريبًا، وهي صغيرة جدًّا بلون الدمّ وذات عيون بارزة. تتّصف الحيوانات العربية كلها بهذه النظرة الحادة، بما في ذلك الإنسان. الحصان العربي معروف جدًّا في حين أنّ الكلب السلوقيّ العربي، الذي نادرًا ما تحصل على حيوانٍ جيّد فعلًا من فئته، هو من أكثر الحيوانات جمالًا بخفّته ورشاقته إذ يبدو لك غير صالح للعمل ولكن عندما ينطلق يظهر وكأنّه يطير أكثر منه يعدو كالفرس.

يسهل ترويض الأرانب البريّة لتصبح حيوانات أليفة، وقد كان لديَّ اثنين منها أنقذتُ أحدهما من صقر، والآخر من كلب سلوقيّ، وبعد أربعة أيّام باتا أليفَين

يلعبان حول الغرفة ويقفزان لرؤية ما أفعل ويختبئان خلف صندوق عند وصول أحد الغرباء.

42. يجري النمس في كلّ مكان طوال اليوم.

43. توجد أنواع متعددة من الأسماك في المياه العذبة. لفتت انتباهي إحدى الأسماك التي تمتلك علامة مميّزة لم ألحظها من قبل. تقع الزعنفة الخلفية وسط ثلاثة أشرطة دائرية أو بيضاوية الشكل ذات لون داكن، وهي تظهر بوضوح على الجوانب الفضيّة للسمك وتترك تأثيرًا غريبًا عندما تسبح. السمكة الأكبر التي رأيتها كان وزنها يبلغ على الأرجح بضع أونصات، كما تبدو أنّها اكتسبت لونها من السباحة المستمرّة في هذه المياه البلّورية الضحلة، المظلّلة

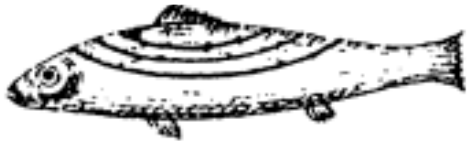

بعناقيد زهرية طويلة ورفيعة من أشجار النخيل، إلّا أنّ هذا قد يبدو داروينيّ [نسبةً إلى داروين] إلى حدّ كبير. وعلى الرغم من أنّ الأسماك دائمًا ما تكسب لونها أو حتّى تغيّره بحسب نوع المياه الذي تعيش فيها إلّا أنّها نادرًا ما تكسب علامات مماثلة.

## الآثار القديمة

44. قدّمتُ سابقًا مخطّطًا بسيطًا حول التكوين المتفرد لهذه الجزر، إذا صحّ التعبير، في ما يتعلق بموقعها والحقيقة المفروضة حتى على أقل المراقبين اهتمامًا بها، بأنّه إنما يقف على أرضٍ غير عادية، بل على أرضٍ ربّما كانت تعجّ بالحياة على الرغم من كونها تعرضت للهجر بما فيه الكفاية، ويقبع تحت ترابها، على الأرجح، تاريخ أجيالٍ لا يعد ولا يحصى.

45. لقد ذكرت القباب الترابية التي تغطي الجزيرة من الجوانب كلها، من الساحل إلى الوسط، أو إلى منحدرات الحوض المركزي، وأرض الغبار الرمادية، التي يمكن مشاهدتها في كلّ أرضٍ قاحلة بين بساتين النخيل، تروي حكايتها الخاصة.

46. سألقي نظرة على ما يُعرَف بالأيام التاريخية الأولى للعرق البشري الذي سكن هذه الجزر، ومن ثمّ سأقدّم تقريرًا مختصرًا حول ما تمّ استخلاصه بعد ثلاثة أسابيع من البحوث المستمرة، تاركًا لمن هم أعلم منّي في هذه الشؤون ليحكموا ما إذا كانت استنتاجاتي صحيحة أم خاطئة.

47. ومن بين أمورٍ عدة، نعلم أنه من الممكن أن يكون الفينيقيون، والبابليون، والفرس، والعرب، والبرتغاليون، قد حكموا هذه الجزيرة. في ما يتعلّق بالفينيقيين، ذكر هيرودوت (Herodotus) الآتي: «سكن الفينيقيون في بادئ الأمر على سواحل البحر الإريتري، وبعدئذٍ هاجروا إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، الخ...». في وقتٍ لاحق، وفي معرض حديثه عن القوّات التي استعرضها زيركسيس [الفارسي] (Xerxes)[1] لغزو اليونان، قال إنّ فينيقي صيدا فازوا في سباق الزوارق الذي أُقيم عند أعتاب البلاط الملكي لمدينة أبيدوس (Abydos)، وإنّه «بحسب روايتهم، أقام هذا الشعب منذ القدم على سواحل البحر الإريتري، ولكن منذ ذلك الحين، استقرّوا في ساحل سوريا حيث ما زالوا يقيمون». وفي مذكرة للسيد (رولنسون) حول ما ذُكر أوّلًا في هذه البيانات، يقول إنّ المسألة التي كانت تُناقَش عادةً هي ما إذا كانت المدن المحيطة بالخليج الفارسي هي المدن الأم لمن يسكنون على سواحل البحر الأبيض المتوسط، أم إنّها مستعمرات لهم. يميل سيتزن (Seetzen) وهيرين (Heeren) لتأييد الرأي الثاني، ولكن في ما يتعلق بالرأي الأول، سجل [رولنسون] الآتي:

---

(1) **الملك زيركسيس الفارسي** ملك الإمبراطورية الأخمينية الفارسية. يُطلق عليه الفرس أيضًا اسم الملك (خشايارش الأول)، وهو ابن الملك داريوش الأول، وقد غزا اليونان في العام 480 ق.م.على رأس جيش قوامه 100 ألف محارب فارسي. وبعد الأخطاء العسكرية التي حصلت في اليونان، عاد إلى فارس وأشرف على إنجاز عدد من مشاريع البناء.

أ. التقليد المزدوَج، أي تقاليد (هيرودوت) والفينيقيين والديانة الفينيقية، وتقاليد سكّان جزيرَتي تايلوس وأرادوس[1]؛ وهي تقاليد قام بتسجيلها إراتوسثينس(Eratosthenes)[2] الذي ربما خلف أندروسثينس (Androsthenes)، الضابط البحري لدى إسكندر [الأكبر].

ب. ما قد يُسمّى بنظرية الاحتمال العام. قد تبدو النظريتان قويتين، ولا سيما تلك التي تتناول التقليد المزدوج، إذ نعلم كيف تنتقل الوثائق الخاصة بالأعراق بحرص شديد من الأب إلى الابن في الدول الشرقية، ويبدو أنه من المرجح أن يكون الفينيقيون قد تأثّروا بقانون الساميّة المنجرف نحو الغرب أكثر من محاربتهم للسير بعكس التيار. غير أنّ السيد (رولنسون) يشير إلى أنّ المعابد التي شاهدها (أندروسثينس) {في البحرين} قد تكون بُنيَت عندما أقام الفينيقيون مستعمراتهم إبّان عصر ازدهارهم.

48. وعوضًا عن تقديم رأيٍّ لست مؤهلًا لأن أقدمه، أودّ أن ألفت الانتباه إلى بحث أكثر تفصيلًا للسيد (رولنسون) حول الموضوع نفسه، يترك فيه نشأة تقليد الهجرة الفينيقية التي ما يزال مشكوكًا بأن تكون مرتبطة بحركة حاميّة سابقة، وهو ما لا يناقشه، ليذكر أن الفينيقيين، كغيرهم من الأعراق الساميّة في هذه

(1) **جزيرة تايلوس** هي جزيرة البحرين الحالية، أما «أرادوس» فالمقصود بها هنا جزيرة عراد، لأنها تسبق التسميات الحديثة للمنطقة تاريخيًّا.

(2) **إراتوسثينس Eratosthenes** ولد في العام 276 ق.م. في مدينة شحات الليبية، وانتقل بعد ذلك إلى الإسكندرية ليصبح فيما بعد رئيسًا لأمناء مكتبة الإسكندرية. وكمعيّنٍ من قبل بطليموس الثالث، أسهم (إراتوسثينس) في تطوير العلوم والرياضيات، وأنشأ نظامًا لخطوط الطول ودوائر العرض كما عُرِف بكونه أول من قام بحساب محيط الأرض، ولم يكتف بذلك بل رسم خريطة مفصلة للعالم بناءً على المعلومات التي توفرت لديه في هذه الحقبة وهو الذي اخترع كلمة جغرافيا. وهو يعد أيضًا من أوائل المؤرخين، حيث أرّخ للأحداث الأدبية والسياسية الهامة مستندًا في تأريخه إلى زمن حرب طروادة. ووصفه ابن جلجل قائلًا: «(إراتوسثينس) المنجّم الذي لم يكن أعلم منه». وفي العام 194 ق.م. أصيب (إراتوسثينس) بالعمى، ليجوّع نفسه بعدها حتى الموت. انظر: المحجوب، عبدالمنعم، مادة إراتوسثينس في معجم تانيت، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013.

المناطق، قد هاجروا من بابل، المنشأ الأول للسامية وموطنها. لكن يبدو أنّه يعارض رأي (سترابو) في أنّ نشأتهم تعود إلى البحرين بشكلٍ خاص، ويعارض أيضًا الرواية المفصلة لـ تروجوس پومپيوس (Trogus Pompeius)، الذي كتب أسباب انتقالهم والطرق التي سلكوها.

49. ولكن نادرًا ما يتم التشكيك في أن جزر البحرين هذه كانت مأهولة في القدم من قبَل العرق الفينيقي وأنّهم بنوا هنا معابد لآلهتهم، وهي ما رآه فعليًّا (أندروسثينس) عندما قاد حملة عسكرية بحرية تحت إمرة الفاتح المقدونيّ.

50. وعلى غرار المهتمّين بهذه الأمور، الذين يقودهم حظّهم الجيد أو السيئ إلى هذه الأراضي التاريخية القديمة، انتهزت الفرص كلها للتجوّل في الجزيرة، ومعاينة أهلها، بل والبحث عن أيّ شيء قديم بما فيه الكفاية لأستفسر عنه.

51. وبعد زيارتي الأولى إلى الشيخ، تم إحضار الخيول لنمتطيها ونتوجه عليها نحو المحرَّق، إلى بساتين النخيل في Simbai [سماهيج][1]، حيث ذكر الزعيم أنهّم اكتشفوا مؤخّرًا بئرًا قديمةً.

52. من الواضح أن التلال الرملية في هذا الجانب من الجزيرة تغطي مبانيَ قديمة[2] و«البئر» التي تمّ اكتشافها كانت إمّا قناةً حجرية مع روافد متقاطعة، أو قاعدة أساسية لمبنًى حجريٍّ قديم يقع على عمق ست أو سبع أقدام أسفل السطح، وهي الآن تحتوي على مياه. تمّ ضرب الأرض بمكشطة لإعداد مجال لزراعة شجرة نخيل صغيرة، وقد خُسفت ليُكتشَف البناء الحجري تحتها. لم أتمكن من طلب

(1) يبدو أن المقصود هنا قرية سماهيج. وهي من جزر وقرى البحرين التاريخية، وهناك ظهرت في الخرائط التاريخية القديمة باسم «ميش ماهيك»، و«مسماهيج»، ثم صارت إلى «سماهيج». وتذكر بعض الكتابات الحديثة أن سماهيج هي الجزيرة التي أضحى يُطلق عليها اليوم اسم المحرَّق. انظر: عبد الله، سلمان داود، سماهيج في التاريخ (البحرين، 1996)، الفصل الأول.

(2) سمعت منذ ذلك الحين من عبد الله بن رجب الذي يعمل في تجارة اللؤلؤ مع إخوانه أنّه يتذكّر لمّا كان صبيًّا كان يرى ضباطًا من فرقاطتين فرنسية وإنجليزية يرافقهم سفير فارسي (Ailel) وهم يحفرون ويقلبون الحجارة في هذا المكان بالتحديد. ولكنّه لم يعلم ما كانت النتائج. (هامش الأرشيف البريطاني).

إجراء بحث هناك لأنّ ذلك قد يضرّ بالبستان، ولكنّني طلبت من البستانيّ، العمل أسفل الموقع، ومعرفة ماهية ذلك المكان. وعدني بذلك، وانتهى الأمر عند هذا بالطبع.

53. بعد ذلك قمتُ بعدد من الزيارات إلى كلّ مسجد في هذا الجزء من الجزيرة معتقدًا أنها المكان الأكثر احتمالًا للقاء سكان أذكياء، منحت الأمل فيما بعد للمزيد من الاكتشافات. ذهبت إلى الكثير من المساجد التي سُجّل على جدرانها نقوش عربية قديمة وكذلك زرت المسجد المهدم لمشهد أبو زيدان[1] بالقرب من البلاد القديم، الذي يُقال إنّه بُنِيَ بمواد مسجد مدمر أكثر قدمًا ولا شك في أنه يحتوي على كتابات قديمة. يضم هذا المسجد لوحٌ قديم وحلقة من الحجارة حول واحد، إن لم يكن اثنين من جدران القاعة، منقوشًا عليها أحرف كبيرة بالخطّ الكوفي مأخوذة على الأرجح من مبنى قديم، لأنّ الجصّ ما يزال موضوعًا عليها ولكنّني لم أستطع نسخ تلك الأحرف.

54. وفي النهاية، وبعد زيارة عشرين مسجدًا على الأقلّ لم ينتج عنها سوى فنجان قهوة، وغليون [دخان]، وشكاوى لا تُعدُّ ولا تُحصَى حول استبداد الشيوخ وقبيلتهم، أُخبرتُ عن حجرٍ لم يتمكن أحد من قراءة نقوشه. توجّهت لرؤية هذا الحجر ووجدته مطمورًا في «قدس الأقداس» في مدرسة داود في البلاد القديم. وسترد في الهامش صورة منقولة للكلام المنقوش على الحجر بالحجم الطبيعي. الحجر نفسه مصنوع من البازلت الأسود، وهو على شكل مقدّمة مركب أو لسان حيوان، وحجمه مشار إليه في الهامش. لم أجد صعوبة في الحصول على الحجر رغم قدسيّته بحيث أخبرت الملالي أنّه مجرّد حجر لعبدة الشيطان، وربما يكون وثنًا

(1) إنّ بئر أبو زيدان لهي بئر جديرة بالذكر. تنبع من أرضٍ حجرية تُعتبر في الأساس جزءًا من جدران مسجدٍ صغير. مياه هذه البئر رائعة ودافئة في الطقس البارد ويُقال إنّها تغدو باردة في الحرّ وأنا أفترض أنّ هذا التغيّر يعود فقط إلى تغيّر درجة حرارة الجوّ. يرتفع من المياه عمود حجري مع حجرَين دائريَين حيث تدعم المياه جزءًا من الأجزاء العليا للمبنى. أمّا التصميم في الأرض الخارجية فهو مميّز. (هامش الأرشيف البريطاني).

ومكانه ليس حيثما وُجد. وكي أدعم كلامي، تبرّعت ببضع «روبيّات» لترميم المسجد وتم تعويض الخسارة عليهم. أرسل الشيخ أحمد أحد العبيد للتنقيب عنه، ونقله إلى منزلي. ظننتُ، في البداية، أنّه قد يكون مقدّمة إحدى السفن القديمة، وأعتقد أنّ ذلك ممكنًا. وعلى أيّ حال، نعلم أنّ الفينيقيين عبدوا، قبل كلّ شيء، الفالوس (Phallus)، كما أنهّم عبدوا الإلهة عشتروت وهي المفضّلة لديهم وحامية البحّارة[1]، وقد جسّدوها على شكل حجرٍ مخروطي. لا أعلم ما إذا كانت تُوضَع بهذا الشكل عند مقدّمة سفنهم ولكن أعتقد أنّ صورتها كانت تُستخدَم كثيرًا كتمثال في مقدّم السفينة. غير أنّ هذا الأمر هو مجرّد تخمين ومن المرجح أن تعلمنا الكتابة بقصّتها.

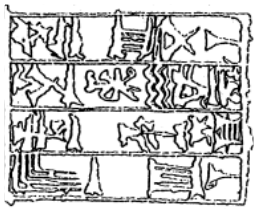

الأسهم واضحة جدًّا

طولها قدمان وبوصتان

55. وهنا مجدّدًا يبرز لغزٌ يصعب حلّه إلّا على الخبراء. تظهر بعض الرموز بشكلٍ واضح على أنّها بالكتابة المسمارية العادية وسواءٌ أكانت[2] باللغة البابلية، أو الآشورية، أو الأخمينية، فهي تبدو متشابهة ما عدا بعض الرموز الهيروغليفية، إضافةً إلى شجرة أو غصن نخلة يقع على يسار النقوش.

(1) وبهذه المرتبة تظهر على العملات المعدنية لصيدون، وغزة، وأرادوس واقفة على مقدم السفينة {رولنسون}. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) منذ كتابتي لهذه الكلمات، وجدتُ حاشية للسيد (رولنسون) على كتابه (هيرودوت) الذي نُشر في العام 1862، مج 3، ص66، وهي كالتالي:
«في الحقيقة، هناك على الأقلّ ستة أنواع مختلفة من الكتابة المسمارية؛ أي السكيثية القديمة والبابلية والساسانية والأرمينية وسكيثية اللوح الثلاثي اللغات والآشورية والأخمينية الفارسية؛ ومن بين هذه الأنواع فإنّ أول أربعة منها مرتبطة إلى حدٍّ كبير ببعضها البعض في حين أنّ الآشورية والأخمينية الفارسية تختلفان بشكل كامل عن بعضها البعض. (هامش الأرشيف البريطاني).

إنّها حقيقة قد تشير إلى أن الحجر نقش في الفترة التي بدأ فيها تحويل الكتابة الرمزية إلى أبجديّة، وهذا أيضًا لا يعدوه تخمينًا. على أيّ حال، هذه النقوش ليست من النوع الفينيقي الذي علّمه قدموس[1] لليونانيين، وانبثقت منه أبجديّتهم، فيُفتَرض أنّ الفينيقيين تعلّموا هذه الكتابة منذ 1500 عام قبل الميلاد.

56. أعتقد أنّ السيد (رولنسون) يعتبر قدموس مجرّد شخصية أسطوريّة، بمعنى Kedem[2]، أي المشرق الذي يسعى إلى المغرب، أو أوروبا، إلاّ أنّه رغم ذلك، يعترف بالقوة التراكمية للحجج[3] التي يحصيها كدليلٍ على وجود استقرار فينيقي في مقاطعة بيوتيا [اليونانية].

57. ويذهب السيد (فورستر) أبعد من ذلك[4] قائلًا «إنّ اسم قدموس قد يعود إلى Kademah، أو Kadamas، ويصرح أن الشكل الأخير للكلمة هو فعلًا مصطلح عربي اقتبسه من خلال ميلو (Melo)، ويوسبيوس (Eusebius) وألكسندر پوليهستور (Alexander Polyhistor) الذي يعود إليه نسل الأبناء الاثني عشر لإبراهيم من زوجته المصرية، ومرة أخرى يذكر أن «الدليل المباشر والوحيد في كتابات الكُتاب القدامى، عن أن العرب كانوا من ضمن سكان أوروبا، تظهر عند (سترابو)[5]، فـ (سترابو)، في حديثه عن سكّان وابية مقابل ساحل بيوتيا، يفترض أنّ السكّان الأوائل كانوا جماعةً من العرب الذين رافقوا قدموس إلى اليونان». يحمل هذا التصريح في طيّاته إشارات إلى أصالته نظرًا إلى ظروف القضيّة كافةً التي تشهد على صحّة معلومات (سترابو)، وغيرها من الأمور. ومن ثم يكمل ذاكرًا أنّ قدموس هو صورة

(1) (پليني). (هامش الأرشيف البريطاني).
(2) هنا يذكر اللفظ العبري للكلمة. (هامش الأرشيف البريطاني).
(3) رسالة 1، الكتاب (2)، الفصل 149. (هامش الأرشيف البريطاني).
(4) الجزء 1، القسم 6. (هامش الأرشيف البريطاني).
(5) ملمحًا إلى (هيرودوت). (هامش الأرشيف البريطاني).

يونانية لـ Kedemah التي تُردّ إلى Kedinah بالترجمة اليونانية للعهد القديم، وCadmos في كلام المؤرّخ يوسفيوس (Josephius)، وأنّ القبيلة الإسماعيلية من Kedemah، التي رأيناها سابقًا، كانت متمركزة في الموقع عينه الذي تمّ تحديده في أراضٍ مستقلّة كمهد قدموس الفينيقي، وقد يكون المشار إليه هو الابن الأصغر لإسماعيل.

58. دعم [فورستر] كلامه بتقليد عربي، مثبِتًا وجود صلة قرابة وثيقة بين البيلوبونيسيين (Peleponesians) و(البيوتيين) والعرب {الإسماعيليين الزبيديين}.

59. ورغم أنّنا لم نكن متأكّدين من أنّ قورش قد حكم هذه الجزر، إلّا أنّنا نعلم أنّ داريوس فعل ذلك، إذ شكّلت جزءًا من مزربانيّته (ولاية فارسية) الرابعة عشرة، حيث استخدمها كمنفى {بالكاد كان الملك المخادع يستطيع أن يخترع ما هو أفضل من ذلك}.

60. ولهذا فالحجر قد ينتمي إلى هذه الحقبة من الحكم الفارسي، أو نذكر مرة أخرى أنه من الممكن أن يكون قد أتى من آشور وهو الرأي الأكثر ترجيحًا، إذ إنّ الحروف المسمارية تبدو لي مختلفة عن الأخمينية التي رأيتها، فكيف بعدم وجود علامات مستخدمة في هذا النوع من الكتابة. وبالطبع، فإنّ أحد الخبراء قد يحسم هذه المسألة على الفور[1].

(1) ومنذ ذلك الحين وأنا أكتب التخمينات في نصّ هذا التقرير المتميّز بترجمة النقوش على يد السير (إتش. رولنسون) نفسه.

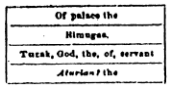


يبدو أنّ غصن النخيل له ارتباط معيَّن بالفينيقيين إلّا أنّني لم أتحقّق من الأمر بعد بشكل كامل. يقع غصن النخيل في أعلى النقوش التي ينبغي أن تُقرأ من اليمين إلى اليسار. هناك حرفٌ واحد لم يكن السير (رولنسون) مقتنعًا به تمامًا.

الكتابة هي من النوع الهيرطيقي البابلي المسماري. ( 目II⋊ )

لم يكن ريموغنا ملكًا بل شيخًا عربيًّا على الأرجح. لم يتمّ تقديم أيّ تفسير لأسباب وضع هذه الأحجار

61. وفي ما يتعلّق بالقباب الترابية، إننا على ثقة ولا يمكن أن نخطئ. وفي هذا الصدد، يصعب تحديد ما إذا كان هذا الركام هو بقايا المعابد الفينيقية التي تحدث عنها (أندروشينس). ولا شكّ في أنّ تلك المعابد القريبة من قرية عالي بُنيت فوقها مبانٍ من كتل ذات أشكال رمليّة. لا يمكنني ذكر المناطق كلها في هذه الجزر التي تضمّ، على الأرجح، مبانيَ مطمورة غير أنّني أكتفي بلفت النظر إلى منطقة أو منطقتين بارزتين.

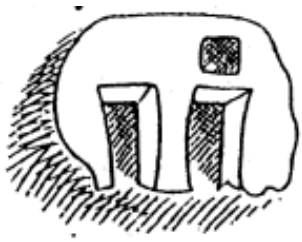

أقدّم هنا رسمًا تقريبيًّا استحضرته من ذاكرتي

62. عند مغادرتنا لمدينة المنامة، وعبورنا الطريق الغربي الذي يمرّ على طول حدائق النخيل، وصلنا إلى ولاية القديم، أو البلاد القديم، وهي المدينة القديمة التي يُرجَّح أن تكون المباني فيها قد تراكمت فوق بعضها منذ القدم. وجدنا أنفسنا بالقرب من مسجد المنارتين[1]. وهنا لفت أنظارنا عدد من التلال البيضاء المرتفعة، والخالية من الشجيرات؛ ولكن عندما غادرنا المكان متوجّهين نحو الشمال الغربي مرورًا بقلعة البرتغال على الساحل البحري، التي ما تزال تحتفظ بضخامتها وعظمتها رغم دمارها، مررنا بصفٍّ من التلال الرملية المرتفعة الملتصقة بعضها ببعض، مواجهة للبحر الشمالي، على بُعد ما يقارب ميل واحد من الشاطئ بالقرب من قريتي باربار وشريبة. مشيت على تلك التلال لأجد حجرًا واحدًا في مكانٍ بعيد وهو حجر كبير ثُقب فيه بوضوح فجوة على شكل مربّع وكأنّه مقبض بابٍ كبير إلى جانب فجوتين أخريين على شكل قناة

---

وقد تكون مجرّد ختم للطوب أو موضوعة على قبر خادم الإله تامك أو داخل القبر {إي. أل. ديوراند}. (هامش الأرشيف البريطاني).

(1) مدرسة أبو زيدان، أتينا على ذكرها سابقًا وهي تستخدم كمنارة للسفن القادمة إلى الميناء. (هامش الأرشيف البريطاني).

مربّعة على الجهة نفسها. آسف أنّني لم ألحظ هذا الحجر بشكلٍ دقيق في ذلك الوقت. هنا، وبعد رؤية تلالٍ أخرى وبعد التجوّل في نصف الجزيرة، لامست أهميّةً لتلك التلال الخاصة، والسبب يعود في الحقيقة، أوّلًا، إلى حجمها، وثانيًا، إلى موقعها على الخطّ المواجه للبحر، فضلًا عن حقيقة عدم وجود تلال أصغر حجمًا بالقرب منها.

*مرفَقة مع تقرير النقيب (إي. أل. ديوراند) حول جزر البحرين (مطبوعة على الحجر من النسخة الأصلية الممنوحة من قِبَل القسم الخارجي).

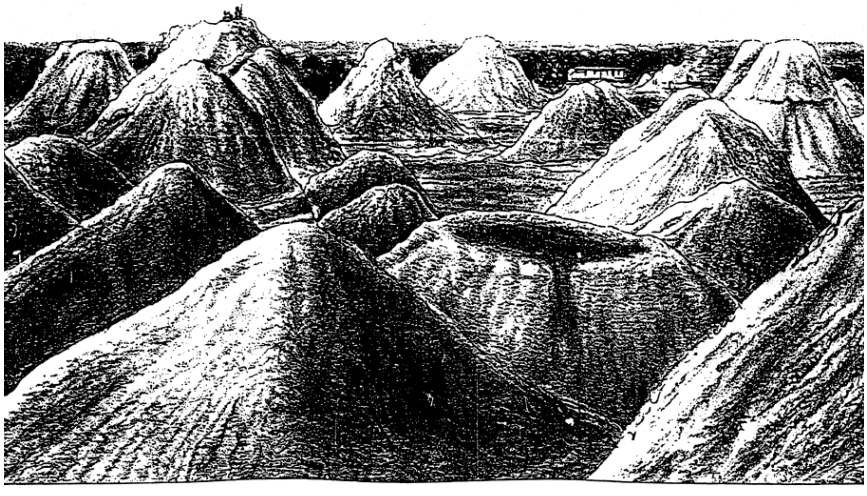

*مطبوعة على الحجر من النسخة الأصلية ممنوحة من قِبَل وزارة الخارجية في مكتب المسّاح العام، كلكتا، آب/أغسطس 1879.

63. وبعد مغادرة هذه التلال عُدنا أدراجنا إلى البلاد القديم، وسأبدأ الحديث من هناك مجدّدًا.

64. ومرة أخرى، مررنا ببساتين النخيل لنجد أنفسنا بعدئذٍ مباشرة على مقربةٍ من طريقٍ عريض خالٍ من أيّ زرع، كما يبدو أنّه يرتفع بوصة أو بوصتين عن الأرض المحيطة به، التي تضمّ عددًا من الشجيراتٍ المتفرّقة. أنا متأكّد من أنّ جزءًا من هذا الطريق كان يومًا طريقًا شيّده الإنسان مع أرجحية أنه لم يكن معبّدًا. يبدو أنّ هذا الطريق قد صُنع من أحد أنواع الطين لأنه يصبح قاسيًا كالصخر في الطقس الجاف، وكالجليد في الطقس الرطب. يمتلك الطريق صبغة زهريّةً في بعض الأماكن، وبالطبع قد يعود ذلك فقط إلى أرض مشبَّعَة بنترات الصوديوم التي أكسبتها مظهرها الحالي كطريقٍ مشيَّد من خلال حركة المرور الدائمة عليه. غير أنّ حركة المرور في هذه الأيام لا تفوق حركة مرور الأغنام بين عالي والمنامة.

65. أما قرية «عالي»، القرية الصغيرة المدمرة، التي قادنا الطريق للوصول إليها، يسكنها الشيعة، مبنيّة من مساكن قديمة، وعلى مساكن أخرى أقدم منها، ويقع خارجها مباشرةً مجموعة فريدة رائعة جدًّا من التلال التي لفتت نظري إليها، وقد ألحقتُ رسمًا تقريبيًّا لها مرسومًا بالطبشور. يبلغ عدد تلك التلال نحو 25 أو 30 تلّة، وأحجامها تتراوح بين كبيرة وصغيرة، إلّا أنّ جميعها ذات حجمٍ يجذب الانتباه. لم يكن بحوزتي أيّ وسيلة لقياس حجمها، ولكن أكبرها يتراوح ارتفاعها تقريبًا بين 40 و50 قدمًا، وأعرض قاعدة لها تتراوح من 40 إلى 50 ياردة. وبفعل تأثير الطقس، باتت هذه التلال مسننة نوعًا ما مع حفاظها على التشابه القويّ بين بعضها وكأنّها عائلة واحدة، لا سيما من حيث الشكل المربّع لقممها المسنّنة، وهي جرداء، وقريبة من بعضها، {بغض النظر عن العدد الهائل من الكُتَل الرملية المشكّلة والظاهرة بالقرب من بعضها أو أعلى قمّمها، والرواق الموجود في أحدها، وأيضًا بالقرب من

القمّة} وهذه الحقائق جعلت الشكّ ينتابني حول صحة تخميني الأوّل بشأن كونها معابد، ما أدى بي إلى الاعتقاد أنها قبور في تصنيفها. ما تزال هذه التلال الوحيدة التي تحققت منها {في الأنحاء القريبة} ذات الشكل المتميّز لجهة حجمها، وخلفها مباشرةً تمتدّ سلسلة فوق سلسلة ومجموعة فوق مجموعة من القباب الترابية [مدافن عالي] الأقلّ حجمًا، التي قد لا تكون سوى مدافن[1]. وقد علّقت آمالي على أن تكون هذه المجموعة الكبيرة شيئًا آخر [غير ما تبدو عليه]. كتبت، منذ أسابيع متعددة، بخصوص هذا الأمر ما يلي: «هذه المجموعة الكبيرة من التلال المتراصّة معًا ذات الشكل الدائري المنظّم لا يمكن أن تكون خراب بيوت كما يزعم العرب [هنا]، ولا بدّ من أن تكون قبورًا، وهو برأيي الاحتمال الأكثر ترجيحًا بسبب تناقص حجمها نظرًا للمسافة التي تبعدها عن المجموعة الأصلية في قرية عالي. أضف إلى ذلك أنّني لم أرَ في أيّ سلسلة من مجموعات الركام [القباب الترابيّة] الأصغر حجمًا تلك سوى بضع كتلٍ من الصخور، وبالتالي حجم هذه الكتل يدحض احتمال كونها بيوتًا مبنيّة من مواد مماثلة، فضلًا عن اكتشاف قبّة ترابية صغيرة تعلو كلًّا منها.

66. ومنذ كتابتي لما ورد أعلاه تيّقنت من حقيقة حدسي البديهي.

67. يبقى لغزٌ واحد؛ إذا كانت هذه الأميال من الأكوام المتزاحمة قبورًا، فأين عاش السكّان؟

68. الجواب الأول الذي يتبادر إلى الذهن هو أنهّم بالتأكيد اعتمدوا مسار الخطّ الساحلي، كما هو الحال اليوم، وبنوا بيوتهم من سعف النخيل كما تفعل الطبقات الفقيرة حتى يومنا هذا[2].

(1) يشير الكاتب هنا إلى مدافن عالي الأثرية المشهورة.
(2) أي حتى يوم كتابة تقرير (ديوارند).

69. ثانيًا، وأظنّه الجواب الأكثر ترجيحًا أو على الأقلّ يستحقّ النظر فيه، وهو أنّ هذه الجزر كانت مقبرة جرّة[1]، وهي سوق فينيقي كبير في هذه الأنحاء يُعتقَد أنّها تقبع أسفل الخليج الطويل الموجود خلف البحرين.

70. وقد تكون الأسباب التي جعلت هذه الجزر تُعتبر أرضًا مقدّسة، خصوبتها، ومعابدها، ووفرة مياهها العذبة.

71. حتى في وقتنا الحالي، يتطلّع الهندوس لأن يتم اصطحابهم إلى حضن نهر الغانج، والمحمّديون المؤمنون في هذه المناطق يتمنون أن يتم وضعهم في التراب المقدّس لكربلاء، فلماذا لا يكون بعض الفينيقيين القدامى في البرّ الرئيس [لشبه الجزيرة العربية] قد تطلّعوا إلى أن يكون نومهم الأبدي في الأرض المقدسة لهذه الجزر؟ قد تبدو هذه الفكرة غير محتمَلة، لكن عذري في طرحها قد يكون هو سعة سلسلة التلال. ولم أسمع عن مقبرةٍ مماثلة على وجه الأرض.

72. أما بالنسبة لموضوع المسافة [لنقل الموتى] الذي من شأنه أن يدحض هذه الفكرة، فيمكن دراسة المسافات التي يُقال إنّ أفراد قبيلة السكيثيين الملكية كانوا يقطعونها حاملين ملوكهم [الأموات] قبل إيصالهم أخيرًا إلى مدافن مخصصة لهم على ضفاف نهر بوريسثينس [نهر الدنيبر] بأرض جِرَّة.

73. التراقيون أو القوط، كانوا يدفنون موتاهم تحت التراب، وكذلك السكيثيون والليديون والليبيون، في الواقع، إنه عرفٌ قد تبنّته الشعوب الهندو-أوروبيّة بشكل عام[2].

(1) جِرّة هي مدينة حضارية عريقة نالت شهرة أسطورية لدى المؤرخين الإغريق والرومان في القرون الثلاثة ق.م. ثم في القرنين اللذين بعده، أي في الحقبتين الهلينيستية والرومانية. وقد أجمع الباحثون على أنها كانت تقع في الجزء الساحلي الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وهو إقليم البحرين القديم الممتد من منطقة كاظمة في الكويت اليوم، إلى حدود إقليم عُمان القديم. إلا أن المؤرخ المعاصر عبد الخالق الجنبي يذكر أن هذه المدينة ما هي إلا هَجَر، تلك المدينة العربية المشهورة لدى سكان شبه الجزيرة العربية ومؤرخي العالم العربي، ذات الصيت المدوي في أدبيات العرب وأشعارهم. انظر: الجنبي، عبد الخالق بن عبد الجليل، جِرّة مدينة التجارة العالمية (بيروت، 2009).

(2) انظر الفصل 71، الكتاب 4، (هيرودوت) لـ (رولنسون) مع مذكراته حول هذه المواضيع. (هامش الأرشيف البريطاني).

74. أمّا بالنسبة لعظام الحيوانات[1] التي وُجدت فلا بدّ من النظر إلى عادات السكيثيين. عندما يموت ملوك هؤلاء القوم، كانت تُدفَن معهم الزوجة الحبيبة، والحصان الأليف، وغيرها من ممتلكاتهم القيّمة. كان هذا الأمر يُعدّ صعبًا على الزوجات والخدَم، وكذلك على 50 شابًّا وسيمًا، وحصانًا يتمّ قتلهم وتحنيطهم وإسنادهم إلى أوتادٍ حول القبر كحرّاس للجثث -إنّه لمشهدٌ مروّع.

75. وفي العودة للحديث عن جِرّة، باعتبارها السبب الأول لهذه المدافن، فقد جرى الاختلاف[2] على موقعها الصحيح بعض الشيء، إذ إنّ دانڤيل (D'Anville)[3] يحدّدها في القطيف، ونيبور (Neibuhr)[4] يحدّدها في الكويت أو القرين، في حين أنّ (فورستر) يحدد موقعها عند أسفل الخليج الواقع خلف البحرين، وأعتقد أنّه الموقع الأصحّ على الأرجح [انظر الخريطة]. ولم يكتفِ (فورستر) بكلامه المدعوم بروايات (پليني) و(سترابو)، رغم أنّ الأوصاف التي قدّمها إن لم تنطبق هنا فهي بالكاد تنطبق على أيّ مكانٍ في الخليج، فهو يناقش المسألة أكثر، معتبرًا أن

(1) سيتمّ تناول الموضوع في الفقرات أدناه. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) ذكر ڤنسينت (Vincent) في كتابه «الطواف في البحر الإريتري» أنّ الجِرَّة تقع في القطيف الحالية. وفي ما يتعلّق باشتقاق أسماء الطرانة (Tyranna) وأراديانا (Aradiana)، من أسماء الجزر الخليجية نفسها فهو يقول ببساطة، أو بشكل مخادع، إنَّها منسجمة مع إعجاب اليونانيين الدائم [بحضارتهم] فيجعلون لأي شيء مجهول موقع في تاريخهم الأسطوري. أظنّ أنّ هذا المكان، من بين أسبابٍ أخرى، قد حظي بأهميته من موقعه بالنسبة للرياح الموسمية والرياح الشمالية في الخليج نفسه، وكذلك في ما يتعلّق بكونه مصبًّا لنهر الفرات. للمزيد من المعلومات حول هذا الأمر، انظر بعض التقارير حول الرياح الموسمية وغيرها في الملاحظات التمهيدية لـ (فينسنت) حول «رحلة نيرخوس». (هامش كاتب التقرير).

(3) **جان باپتيست بورجونيون دانڤيل D'Anville Jean Baptiste Bourguignon** (11 تموز/ يوليو 1697 - 28 كانون الثاني/ يناير 1782) ولد في باريس. كان (دانڤيل) من أهم الجغرافيين الفرنسيين في القرن الثامن عشر، ورسّام خرائط فرنسي مهم ومعروف بانتباهه الدقيق للتفاصيل والتزامه بالدّقة. كان منهجه تجميع أكبر قدر ممكن من مصادر المعلومات الجغرافية ومقارنتها، وتصحيح الخرائط وإعادة إصدارها عند توفر معلومات جديدة. وقد بلغ عدد الخرائط الموجودة بمجموعته الشخصية نحو 9,000 خريطة.

(4) **كارستن نيبور Carsten Neibhur** مسّاح الخليج الفارسي في أواخر القرن الثامن عشر.

الرأي الراجح هو أنّ هذه الدولة {مقاطعة هجر الحديثة، أو البحرين} قد اشتقّت اسمها الكتابي ومستوطنتها الأصلية من الأرض السمراء (Cushite Havileh).

76. كان نهر فيشون (The Pison) المذكور في سفر التكوين [التوراتي] يحيط بهذه الأرض، وكان اسمًا لفرع الفرات[1] الذي كان يجري بموازاة [ساحل] الخليج ويصبّ في جزر البحرين.

77. ويؤكّد [فورستر] أنّ الدليل المباشر على أن هذه المنطقة كانت تحمل اسم هاڤيلا (Havileh) موجود في الاسم «آڤال»، [أوال] الذي ما يزال يُطلَق على الجزيرة الكبرى في البحرين [في تلك الفترة].

78. أمّا بطليموس (Ptolemy)، فقد حدّد موقع جِرة في أسفل هذا الخليج بالذات، وهو الموقع الدقيق الذي حدده أبو الفداء ناصر الترزي [أو الطرزي]، وألوغ بيك (Ulugh Beg) لمنطقة هجر، وهي ما قال (سترابو) عنها إنَّ الكلدانيين المنفيين قد اكتشفوها.

79. يذكر (فورستر) أنّ كلمة جِرة ليست إلَّا الجناس التصحيفي لكلمة هجر والتي تعود جذورها إلى كلمة أجرى (Agrai) في الدراسات القديمة.

80. جعل (فورستر) أرض هجر مسقط رأس الكلدانيين[2]، أبناء خالد، {بنو خالد}، وهم على صلة وثيقة بالإسماعيليين[3] ومؤسّسي بابل. أضف إلى أنّه يردّ أسماء

---

(1) (پليني) وتكسيرا (Texeira) البرتغالي. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) **بنو خالد - Canlothai** (إراستوشينس) -Chanlasii-Chablasii-Chavolai و Colingil (پليني). (هامش الأرشيف البريطاني).

(3) في هذا الشأن، انظر رسالته حول الشهادة المتزامنة لديونيسيوس پيرياجتس (Dionysius Periergtes) و(پليني) الأكبر، لإثبات الارتباط بين أجرى أو الهاجريين، وشعوب الكالدوسيين أو بني خالد من الكاشية.. وفي هذا الخصوص، يقول إنّ الشعب الأول، لو أنه لم يطرد الأخير لكان اختفى. ومرة أخرى، في كتاب «سفر أخبار الأيام»، الفصل 5، لدى وصف القبائل العربية على حدود جلعاد، يذكر الشيء نفسه في بداية الأمر بشكل عام، على أنهم هاجريون، ومن ثم يعرفهم تحديدًا على أنهم يطور (Jetur)، ونافيش (Naphish)، وقدمة (Kedemah){في ما يتعلق بالاشتقاقات وغيرها لكلمة Kedemah، انظر أعلاه}. (هامش الأرشيف البريطاني).

خالِد، وخانله، وخالت، وهيول، وهول، وهانيلاه، وآفال، وهاڤيلا، على أنها أشكال لفظية من الجذر نفسه.

81. لكن يُفتَرض أن يكون الكلدانيون من أصولٍ سكيثية أو طورانية، علمًا أنّ الحكم على موثوقية اشتقاقات مماثلة يتطلّب مكتبة كبيرة، والكثير من الدراسات.

82. هل يمكن أن تكون أشكال دفن الأعراق البشرية المختلفة متميّزة كفايةً لتقدّم بعض الإشارات، ولأن تساهم في المزيد من البحوث حول الأعداد الضخمة من المدافن المحفوظة جيّدًا هنا؛ في إضاءة بعض صفحات التاريخ المظلمة؟

83. ذكرت أعلاه عادات السكيثيين في دفن الموتى ونقلهم إلى أرض جِرَّة عندما يكون نهر (بوريسثينس) [نهر الدنيبر] ملاحيًّا.

84. هل من المحتمَل أن تكون هناك أي صلة نسب إثنية كسبب لتشابه الأسماء بين (Gerrhus) وجِرة، أو أنّها إحدى أوجه الشبه الشائعة التي لا يمكن البناء عليها؟

85. وما إذا سلّمنا بأنّ جِرَّة تقع بالقرب من هنا، فأي جزر قد تكون الأكثر ترجيحًا ليتم توظيفها على النحو المذكور أعلاه أكثر من هذه الجزر؟

86. أخبرني العرب بوجود الكثير من الأنقاض الضخمة في البّر الرئيس [لشبه الجزيرة العربية]، وعلمتُ من أحد الرجال على وجه الخصوص أنّهم اكتشفوا آثارًا لمبنى، وأحجارًا، وأعمدة في مكانٍ يُستخرَج منه الملح. وأعتقد أنّ أسفل الخليج الواقع خلف البحرين لم يتمّ استكشافه بشكلٍ جيّد.

87. وفي الحديث مجدّدًا عن التلال في قرية عالي، عند وصولي للمرة الأولى، قمتُ بجولة على التلال الأكبر حجمًا، وفي النهاية أثمرت جهودي باكتشاف مدخل إلى إحداها {تحت صخرةٍ مسطّحة بالقرب من القمّة}، ولم نكن قادرين سوى على الاستلقاء والزحف لنصل إلى ما بعد المدخل، ووجدنا أنفسنا في ممرٍ أو دهليزٍ طويل إلا أنه كان مسدودًا ببناء منهار على مسافة بضع ياردات أمامنا.

88. سقف هذا الممرّ مكون من ألواح عرضية حجرية مسطّحة، ممتدة من الجدار إلى الجدار بعرض ستة أقدام، وعرض الممر أقلّ من ذلك نوعًا ما.

89. كانت الجدران التي ما تزال سليمة، مغطّاة بجصٍّ حُبيبي، خشن وصلب، أما تلك المهدمة، فكشفت سماكتها عن صخور كبيرة ذات سُمك عريض وملتحمة بعضها ببعض بواسطة الجصّ الخشن نفسه.

90. يدفعني الشكل العام لهذه التلال الكبيرة للاعتقاد بأنّها كانت ذات صروحٍ دائرية مدعمة بأعمدة وذات أسقف مقببة أو مسطّحة بعض الشيء. لم أرَ أثرًا لنقوشٍ على أيّ من الكتل الصخرية الموجودة على هذه التلال. ما كان ظاهرًا كان حجمه ضخمًا، وعلى أيّ حال أعتقد أنّ معظمها مكوّن من حجر رمليّ قاسٍ، وهو «الكلس». وعلى الرغم من أنّ كل كتلة تحمل دلائل على أنّه قد تمّ تشكيلها، إلّا أنّها كانت متآكلة بفعل الزمن بحيث لا يمكن أن يبقى أي كتابة عليها مهما كانت عميقة.

91. لا شكّ في أنّه مع الوقت استخدم السكّان هذه التلال كمقالع للحجارة ممّا قد يكون سببًا، إلى حدٍّ ما، لصورة تلك التلال الجرداء [الآن] فلا تجد حجرًا على سطحها. لكن الأحجار المدفونة قد تكون بحالة أفضل من نظيراتها المكشوفة، وإنّني على أمل اكتشاف المزيد عن هذه المباني قبل مغادرة الجُزُر.

92. وبالنسبة لمواقع التلال نفسها، لم أتمكن من رؤية أي أثر لوحدة التصميمٍ في المجموعات، ربما باستثناء مكانٍ واحدٍ بدت فيه التّلال ذات الزوايا الأربع متّصلة بجدار، وقد شكّل وسطها ساحة رباعية الزوايا ظهرت فيها تلّة ذات شكل غير محدّد وأصغر من البقيّة ولكنّها شبيهة بها.

93. إذا أُتيحَ لي الوقت، فلا بدّ من تكريس بضعة أيّام لإجراء المزيد من البحوث والاستكشافات.

94. لقد كتبت ما ورد أعلاه منذ بضعة أسابيع، وقد حاولت تقديم وصفٍ واضح لمظهر التلال والاستنتاجات {بعضها خاطئ} التي استخلصتها في ذلك الوقت.

95. منذ كتابة ما ورد أعلاه، نقبت مدخل تلةٍ صغيرة غرب المجموعة الكبيرة،

وبدأت العمل في تلة أكبر منها سأتحدّث عنها لاحقًا. أمّا التّلة الصغيرة فهي واحدة من مئات أمثالها تقع في مجموعات، وهي تبدو، ببساطة، قبرًا واحدًا رغم تقسيمها إلى حجراتٍ على نحوٍ غريب.

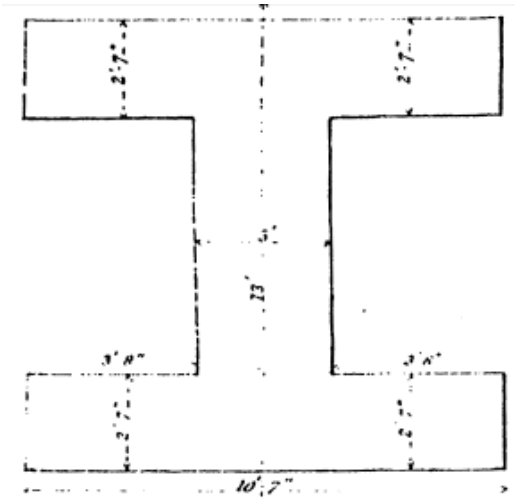

96. بلغ محيط التّل 57 خطوة، وارتفاعه من تسع إلى عشر أقدام.

97. بلغ ارتفاع الممرّ الوسطي أربع أقدام وتسع بوصات عن الأرض، وهو مسقوف بألواح فردية من الحجر الجيري الصلب والمنحوت الممتدّ على مسافة ثلاث أقدام وست بوصات. ويبلغ عرض الممرّ ثلاثة أقدام تمامًا.

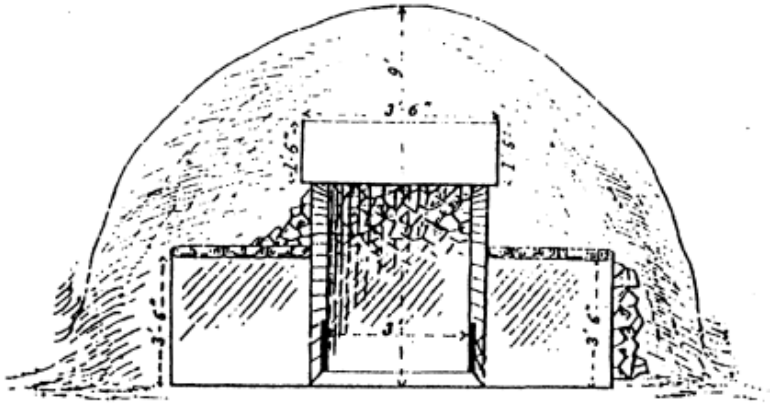

98. أمّا ارتفاع الفتحات الجانبية فقد بلغ ثلاث أقدام وست بوصات فقط، مع كونها قصيرة بين ثلاث أقدام وثمان بوصات، وكذلك وجدتُ جمجمة بين عظام الفخذين ممّا يشير إلى أنّ إنسانًا قد دُفن هنا في وضع القرفصاء.

99. كانت جدران المدفن مبنيّة من أحجارٍ خشنة وغير مجصصة، مما أدى إلى وصول الغبار إلى الحجرات من بين الأحجار مغطيًا معظم الأرض إلى ارتفاع عدة بوصات.

100. بدأت التنقيب من الجانب الشرقي لأصل إلى ممرٍّ أساس يقع بين الشرق والغرب، وهو صنيع بدأت أعتمده منذ ذلك الحين في بداية عملي في التل الأكبر حجمًا.

101. عندما جرفنا الأرض، لم نجد أيّ مدخل، لكننا أحدثنا واحدًا عبر إزالة كتل كبيرة من الأحجار، ولحسن الحظّ أنّها كانت في وسط الممرّ الكبير. ومن هنا كان علينا النزول نحو ثلاث أقدام وست بوصات.

102. وعندما زحفنا تحت البلاطة الضخمة فوقنا، أثارت اشمئزازي رائحة لا يمكنني وصفها، وبما أنّني كنت ما أزال قليل المعرفة بتجارة سرقة الجثث، أنّبني ضميري قليلًا بشأن مدى صوابية تصرّفي. غير أنّني وبعد التفكير مليًّا، خلصت إلى أنّ القاعدة الذهبية في الحياة كانت «ضع نفسك مكان الآخرين».

طبّقت هذه القاعدة عمليًّا وتخيّلت نفسي مكان الأموات الفينيقيين فظننتُ أنّني لو كنتُ ميتًا وأمكنني التفكير ضمن ظروفٍ معيّنة فلن أمانع على الأرجح أن يزعجني أحدهم بعد بقائي في هذا المكان لآلاف السنين. وهكذا دخلت متحليًا بالشجاعة، وقائلًا لنفسي: «لن أكون أول من يفعل ذلك»، ومنذ ذلك الوقت أصبحتُ أكثر صلابة واحتفظت بعظام عدد من الرجال في سلّة داخل غرفتي. غير أنّني كنت مضطربًا، إن لم أقل متوترًا، من صوت حشرجتها في الليل، ولكن بعد التحقّق اتّضح لي أنّ الصوت ناجم عن عمليات البحث الذكية لجروي

أ. تلة دائرية.
ب. المستويات الأرضية: الدهليز الأرضي، والقاعدة.
ت. المستوى الأرضي.
ث. حائط الاحتواء الدائري الأول.
ج. الجهة الجانبية للدهليز.
ح. الجدار الهرمي للممرّ.
خ. جانبي الجدار المملّطَيْن.
د. القاعدة، والجدار الداخلي.

ذ. غرفة التحنيط - فارغة.
ر. الممرّ الوسطي - مسدود نتيجة انهيار السقف.
ز. غرف التحنيط.
س. الجدران التابعة [لغرف التحنيط].
ش. التلة نفسها.
ص. الشكل الرئيس المحتمل قبل انهيار السقف.

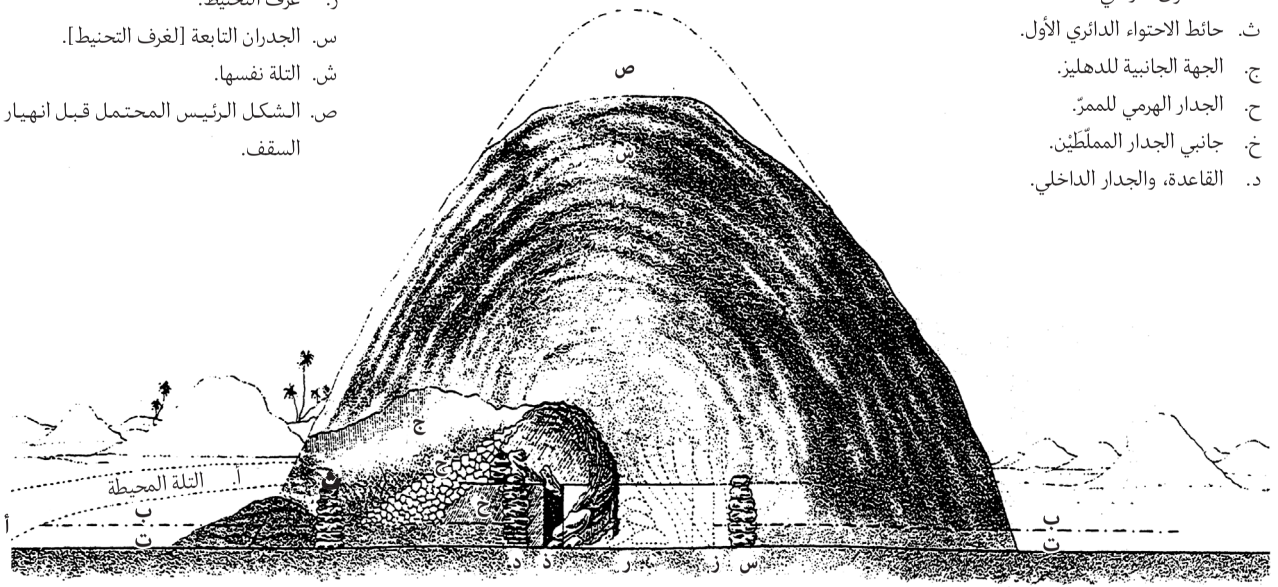


*مرفقة بتقرير النقيب (إي. أل. ديوراند) حول جزر البحرين.
{رسم تقريبي}
المقياس نحو 20/1 بوصة لكل قدم، أو 20 قدمًا لكل بوصة.
{مأخوذة عن نسخة أصلية مقدمة من القسم الخارجي في مكتب المساح العام، كلكُتا، آب/ أغسطس 1879.

الجميل. اعترضت عليه ظنًّا منّي أنّه اقترب من المواد غير الغذائية، لكن هذا الأمر دفع بي للتفكير بشيء آخر. اعتقدتُ أنّ موضوعًا كهذا قد يزوّد مونتاني (Montaigne)[1] بمادة يستفيد منها في كتاباته الفلسفية الطريفة، وكذلك أرتيموس وورد (Artemus Ward)، أو مارك تواين (Mark Twain)، توأمي الظرافة وحس الفكاهة في العصر الحاضر، إذ سيبدو الأمر مضحكًا جدًّا. وبالعودة إلى حديثي السابق، عدتُ إلى الفراش.

103. وكما قلت، دخلنا إلى المدفن، ووجدنا في أول حجرة إلى اليمين {والشمال}، جمجمة وعظامًا لرجل. ولسوء الحظّ، اهتزّت السلّة قليلًا بعد أن وضعتها بعناية على أحد الجوانب، ورغم أنّ الجمجمة مدعومة بالتراب إلّا أنّها تناثرت إلى أجزاء صغيرة. واستنادًا إلى عظام الفخذ، لم يكن بمقدور هذا الإنسان الوقوف كثيرًا، ليس أكثر من خمس أقدام وتسع بوصات، ذلك إن لم يتمكن من الوقوف إطلاقًا.

104. بدت الجمجمة صغيرة جدًّا ومنخفضة بشكل خاص عند مقدّمة الرأس، مع نموّ جيد للحافة الحجاجية، ومحجر الجمجمة ضيق ولكن طوله يزيد عن عرضه، لكنّ رغم ذلك تبقى الجمجمة صغيرة. تقع الجمجمة بين عظام الفخذين اللذين كُسر أحدهما، واضطررت لبذل القليل من القوة من أجل كسر العظمة الأخرى لتوضيبها، والغريب هو عدم وقوع أحجار في هذا القسم من المدفن. غير

(1) **ميشيل دي مونتاني Michel de Montaigne** (28 شباط/ فبراير 1533 - 13 أيلول/ سبتمبر 1592) هو أحد أكثر الكتّاب الفرنسيين تأثيرًا في عصر النهضة الفرنسي، ورائد المقالة الحديثة في أوروبا. كان يقلّد اليونانيين والكلاسيكيين في عادتهم بصف الحكم والأمثال في ثوب مسجوع، وتأثر كثيرًا بكتابات أرسطو، ولكنه تفرد بأسلوبه المرسل. اشتهر (ميشيل دي مونتاني) بمقالاته التي نُشرت في ثلاثة مجلدات، ودرس الكثير من الأدب اليوناني واللاتيني القديم. مرّت كتابات (مونتاني) بمراحل تأثر فيها ببعض التيارات الأدبية إلى أن وصل إلى مرحلة التطور التي أبدع فيها بهذا الفن الجديد من الكتابة فكان له فضل الريادة فيه، حيث كانت سنة 1580 هي سنةَ ميلاد المقالة على يد (مونتاني) بعد ما يقارب عشر سنوات، فجمع ما كتب في هذه السنوات وعدته أربع وتسعون مقالة، ونشرها في جزأين سماهما محاولات، وكان في هذه المحاولات مغلّبًا للعنصر الشخصي على العناصر من قراءاته المختلفة، وكانت عبارة عن حديث حول تجاربه الخاصة مدعَّمًا ببعض الأقوال المأثورة والحكم التي تأتي بشكل عفوي، وكانت فيضًا من التأملات العميقة والتجارب الشخصية الصادقة؛ ولهذا عدَّ (مونتاني) رائدًا في فن المقالة عمومًا، وفي نوع من أنواعها وهي المقالة الذاتية خصوصًا.

أنّ وضع هذه الجمجمة بالمقارنة مع انخفاض مستوى سقف الحجرة وصغر مساحتها يشير إلى أنّه تمّ دفن الجسد في وضعية القرفصاء، وأعتقد أنّها كانت ممارسة[1] مشتركة بين الكثير من القبائل.

105. وفي الحجرة الصغيرة المقابِلَة للحجرة الأولى، وجدنا عظام حيوانٍ صغير، قد يكون غزالًا أو خروفًا، وبقايا أخرى لإناء من الفخار يُستخدم للشرب، وهي مبعثرة في تراب الممرّ الأوسط، إلى جانب الكثير من القطع الصغيرة التي لا تمتلك شكلًا محدّدًا، ومصنوعة من المعدن أو النحاس المتأكسد، بالإضافة إلى بعض أجزاء من إناء خزفي خشن وأحمر اللون. وفي هذا الصدد، أشار إليَّ أحد السكّان المحليين الأذكياء أنّه لم يعد بالإمكان صناعة مثل تلك الأواني نظرًا لتغيّر لون الأرض [التراب]، إذ إنّه كان في السابق يجد على الدوام أجزاءً قديمةً باللون الأحمر، في حين أنّهم لا يجدون اليوم [من الطين] سوى اللون الأبيض الداكن والأصفر الفاتح. وذكرت له أنني أعتقد أنّ عمر الأواني نفسها قد يكون سبب تغيّر لونها، ولكنّه لم يوافق على ما قلت.

106. وفي الحجرات الغربية والجانبية المحاذية، المسدودة بشكلٍ جزئي بصخرة أو صخرتين كبيرتين، لم نجد شيئًا باستثناء التراب وبعض العظام الرقائقية مصدرها الحجرة الجنوبية-الغربية، ولكن من دون جمجمة أو عظام بشرية يمكن تمييزها.

107. وفي جميع أنحاء المدفن، تبعثرت هنا وهناك بين التراب أجزاء لما تبيّن لي أنه كان في ما مضى عاجًا أو خشبًا، وقد وُجدت هذه الأجزاء عند غربلة التراب الذي أزيل بكامله من المدفن وصولًا إلى الأحجار الأساس.

108. احتفظت بعيّنة من هذه الأشياء كلها في حال تبين أن لها أيّ أهمية.

(1) يذكر (هيرودوت) من ضمن آخرين أنّ هذا العمل كان أحد الممارسات الليبية. (هامش الأرشيف البريطاني).

109. الشيء الوحيد الذي سبب لي صدمة بعد معاينة المدفن كان تبعثر العظام وتحطم آنية خزفية. هل يمكن أن يكون الحيوان أو الحيوانات، مهما كانت، قد دُفنت حية عند إغلاق الجحر؟

110. 6 نيسان/ أبريل 1879: يمكنني الآن الحديث بعض الشيء عن التلال الكبيرة التي شاركت في استكشافها منذ كتابتي لما ورد أعلاه.

111. اخترت مبدئيًّا القبة الترابية الكبيرة الأفضل. ويبلغ ارتفاعها الحالي نحو 45 قدمًا، ومحيطها 200 خطوة، ومحيط التل الدائري حولها يبلغ 330 خطوة، وتفصل هذا الأخير 20 خطوة من مستوى الأرض عن قاعدة التل، مع وجود خط جداري يصل الدائرة الخارجية بقاعدة المدفن. ولا يمكنني من هذه المعلومات شرح تصميم التل الكبير بالقرب من القمة الذي اكتشفت الدهليز عنده؛ لا بدّ من أنّ كليهما مختلفان بشكل أساس.

112. أمضينا يومًا أو يومين في صنع المعاول[1] في السوق وهي أدواتٌ ضرورية لقطع أحجار الملغم والصوّان التي التحمت معًا بشكلٍ متين جدًّا. بدأنا العمل من الأعلى ومن المركز لمعرفة ما إذا كنّا سنتمكّن من اكتشاف شيءٍ ما.

113. سيرد في الهامش الشكل التقريبي للتل في الحالة التي تحدّثت عنها.

114. استخدمت فرقتي من الرجالة المحليين وعددهم واحد وعشرين، للعمل في نوبات، يعمل في كل منها بضعة رجال تمتد كل نوبة على فترة بضع ساعات؛ كما أبقيتهم في المعسكر بعيدًا عن أيّ أذى. لم أرَ قطّ رجالًا أكثر فرحًا واستعدادًا منهم للعمل لا سيما مع وصول الخراف. عملوا ومرحوا ولم يصابوا بالمرض طوال مدة العمل. ولولا اللطافة التي أبداها النقيب (پرينجل) قائد سفينة جلالة الملكة «ڤلتشر»، الذي اهتم شخصيًّا بالعمل واندفع بسرعة فوق الكتل الترابية على الدهليز، لكنت وجدت صعوبة في الوصول إلى نهاية هذا الدهليز. تلقّى

(1) تشتهر في الجزيرة اثنتين من الأدوات الزراعية فقط وهما العتلة التي ينتهي أحد طرفيها بإزميل ومكشطة الوحل ذات اليد الواحدة. (هامش الأرشيف البريطاني).

الجنود الهنود في الجيش الإنجليزي المساعدة من الشيعة العرب في قرية عالي، لأنهم [الهنود] كانوا مجموعة من الأشخاص العاجزين والضعاف، إذ بالكاد كانوا يستطيعون حمل سلالٍ صغيرة مليئة بالتراب الناتج عن التنقيب في المدافن بواسطة الفؤوس.

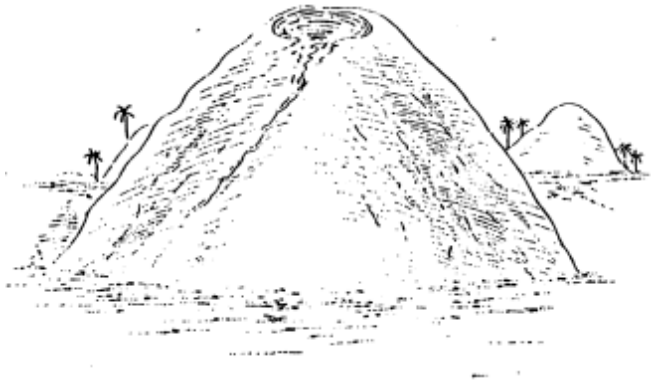

مرفقة بتقرير النقيب (إي. ألـ. ديوراند) حول جزر البحرين

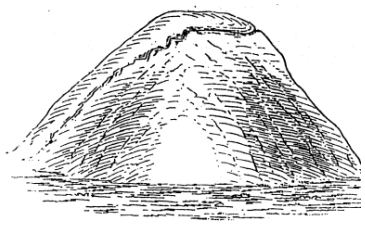

115. كنت أفكّر وآمل، انطلاقًا من حجم التل، ومتوهّمًا من التل الآخر الذي تفحّصته قليلًا، أنّ التل قد يغطي حطام معبدٍ دائريٍ صغيرًا وليس بقايا أحد المدافن. وهكذا بدأنا العمل من الأعلى والوسط فنزلنا عدة ياردات إلى العمق.

116. غير أنّنا لم نجد سوى حلقة من الأحجار الكبيرة، عندئذٍ، غادرنا أعلى التل وبدأت العمل فوق القاعدة ببضع أقدام مستخدمًا القاطع مع أخذ الحيطة للحفاظ على الخطّ الشرقي والغربي ذاته الذي خبرته بفضل تجربتي السابقة عند المدفن الأصغر، وكذلك بعد أن لاحظت قناةً ضحلة من أعلى التل إلى أسفلها في هذا الاتجاه. وبعد بضع أقدام أعاق تقدّمنا عددٌ كبيرٌ من الأحجار التي قمنا بإزالتها ليظهر أنّها تشكّل جزءًا من جدار دائري ضخم. إحدى هذه الكتل كانت مكوّنة من الحجر الجيري وقد وجب علينا كسرها بالعتلة لإزالتها، وهي بطول ست أقدام تقريبًا وعرض ثلاث أقدام، وبعمق ثماني عشرة بوصة.

117. بلغ ارتفاع هذا الجدار فوق المستوى السفلي للنفق الذي أحدثته نحو سبع أو ثماني أقدام، وهو ما يجعله مرتفعًا على الأقلّ عشر أقدام عن مستوى سطح الأرض. أمّا الكتل المستخدمة فقد كانت من الحجر الجيري المنحوت والصلب[1] وذات أحجام مختلفة وغير مجصصة.

118. وعند اختراق الجدار، وجدت نفسي فجأةً في ممرٍّ أو دهليز عرضه نحو ست أقدام، ويضيق تدريجيًّا {وهو ما لاحظته فيما بعد} ليصبح بعرض خمس أقدام وثلاث بوصات في نهايته.

(1) بعض الكتل الموجودة على التلال الكبيرة الأخرى {الملحوظة سابقًا} مكوّنة من الحجر الرملي وذات أشكال مصاغة بدقّة إذ ربما يكون المعماريون أقرب إلى تشكيل الحجر الرملي منها إلى تشكيل الحجر الجيري الأقسى إنّهم لم يفكّروا بأهمية الأمر أثناء قيامهم بذلك. (هامش الأرشيف البريطاني).

119. وكانت الجدران على كلا الجانبَين خشنة وغير مجصصة، وذات أحجارٍ جيرية موضوعة بإهمال، ومتفاوتة في الحجم. كما كان اتجاهها صعودًا بشكلٍ هرميّ انطلاقًا من جدار الكتل المحيط بها، وتخرج قليلًا عن مستوى قاعدتها.

120. اتّخذت طريقي بين هذه الجدران مزيلًا التراب من أمامي محطمًا حجر الصوان الجيري القاسي، والتراب الإسمنتي من فوقنا بحيث ملأت الممرّ خلفنا كلّما تقدّمنا إلى الأمام.

121. لقد زاد هذا الأمر من عملنا كثيرًا، رغم أنّه لم يكن ضروريًّا برأيي، نظرًا لتراصّ أحجار الكتلة، وحجم الدهليز الصغير نسبيًّا وكذلك الانحدار الخارجي للجدران وهو ما أعطى دفعًا قويًّا للقنطرة التي أحدثناها فوقنا. ولكن بما أنّني لستُ مهندسًا، لم يكن بوسعي المجازفة، ومع انهيار قسم من السقف، بات بطبيعة الحال، من الضروري مواصلة الطريق بسبب بدء تراخي الأرض وضعفها إثر صدمة الانفجار الأول. غير أنّ ضرورة التفجير ظهرت أكثر عند وصولنا إلى الجدار الداخلي حيث اضطررنا إلى استخدام البارود هناك.

122. أرفقتُ رسمًا يوفر صورة تقريبية لحجم العمل الذي قمنا به، إلّا أنّ هذه الصورة مأخوذة بعد استخدام المعاول في التربة، وغيرها. لم ننتبه في بادئ الأمر أنّنا كنّا نهاجم جدارًا متينًا.

123. منعنا هذا العائق الثاني من دخول القبر نفسه على بُعد مسافة ثلاثين قدَمًا وست بوصات من أول جدار دائري من الكتل.

124. عند اقترابنا من هذا الجدار الداخلي، وجدنا ممرًّا مجصصًا بخشونة من كلا جانبيه، ومنعنا العائق المتماسك جدًّا من النفاذ إلى هناك. كانت تغطي الجدار طبقتان من الجهتين، إحداهما من الطين الخشن والثانية من الطين الأملس، وهي تقع تحت الطبقة الأولى وكانت ما تزال آثار الأصابع واضحة على الجصّ. أمّا الطبقة السفلية، فهي من مواد مختلفة ملساء جدًّا، وكذلك صلبة بحيث لزم استخدام معاولنا لإزالتها.

125. بُني الجدار العرضي من الكتل الإسمنتية بعد الانتهاء من بناء الجدران الجانبية. وقد قمنا بتفجير هذا الجدار.

126. وانطلاقًا من المنصّة[1] التي وُضعت عليها هذه الكتل، قادنا الانحسار بمسافة ثلاث أقدام وست بوصات إلى أرضية القبر المجصصة والملساء. وهنا اكتشفنا من بين الأحجار وبقايا قطع البناء، كمية كبيرة من قطع الفحم الكبيرة، فاستنتجت أنّ السقف كان يومًا مدعومًا بجذوع شجر النخيل التي تحوّلت مع الزمن وبفعل الضغط إلى فحم. أضف إلى ذلك وجود بعض القطع التي تبدو كحصائر الخيزران المتفحّمة؛ وقد احتفظت بعيّنات من تلك الأشياء كلها.

127. أما الطين نفسه، المستخدَم في وضع الكتل، تعلوه في أماكن متعددة طبقة من أوراق النخيل الرطبة[2] موضوعة من الأعلى ومن الأسفل، ووجدنا طبقات رفيعة من الفحم وبالتالي لا يمكن أن تكون شيئًا آخر في مثل هذه المواقع.

128. على يمين الممرّ ويساره يوجد رفّان، وكان الرف الأدنى مجصص بعناية بطبقة من الطين، ولم يحمل هذان الرفان شيئًا ما عدا الغبار الأصفر الذي غطاهما. كان طولهما أربع أقدام وسبع بوصات من المدخل، وبعمق ثماني أقدام وعلى ارتفاع ست أقدام وتسع بوصات من الأرض أو المنصّة. لا شيء يدلّ على الطريقة التي تم بها وضع هذين الرفين.

129. وعند النزول من المنصّة {نهاية الممرّ}، كانت الجدران المجصصة بعناية ما تزال تمتد على مسافة ثلاث أقدام وبوصتين يمينًا ويسارًا، ومن ثمّ تنعطف عند زوايا قائمة لتشكّل حجرات صغيرة من الشكل نفسه لحفظ الجثث، كتلك الموجودة في المدفن الأصغر الذي جرى وصفه سابقًا.

(1) غالبًا ما تكون مبنية من الأحجار المسطحة الكبيرة المثبتة ببعضها البعض. (هامش الأرشيف البريطاني).
(2) أو الجديدة. (هامش الأرشيف البريطاني).

130. ولا شكّ في أنّه لمثل هذه الحجرات مثيلات في الطرف الآخر من الممرّ الرئيس، وفي إحداها كان هناك بقايا إنسانٍ مدفون كما في الحجرة الشمالية الشرقية في المدفن الصغير الذي اكتشفتُ فيه الهيكل العظمي المذكور سابقًا.

131. إنّ مقاييس هذه الحجرات التي تقع على يمين الممرّ ويساره تبلغ نحو سبع أقدام وثلاث بوصات طولًا وثلاث أقدام وثلاث بوصات عرضًا، وارتفاعها خمس أقدام وست بوصات.

132. ومن هذه الجدران الداخلية للحجرات تمتدّ إلى الخلف عبر حطام الكتل المنهارة جدرانٌ جانبية لممرٍّ أعرض بأربعة أقدام من الدهليز الذي دخلناه.

133. لقد قدّمت خطة ونبذة عما ورد كله بشكل صحيح تقريبًا.

134. بعد الوصول إلى هذا الحدّ، اضطررت آسفًا للتوقّف عن العمل والسبب يعود في جزء منه إلى الشك في الوقت الذي يلزمني للانتهاء من إفراغ المدفن، وكذلك سلامة العمل، كما أنني أعتقد أن لا شيء قيّم قد نحصل عليه من تحت هذا الكمّ الهائل من الأنقاض الذي يملأ الممرّ الداخلي.

135. لم يكن هذا الأمر الأخير ليجعلني وحده أتوقف عن العمل، إذ إنّ حجرات حفظ الجثث عند الطرف الآخر قد تكون خالية من أي رفات، كما يُرجّح أن يكون السقف قد انهار في منتصف الطريق نحو هذا الطرف. لا بدّ من أنّ رجلًا أكثر حظًّا [مستقبلًا] قد يحظى باستكشافها من دون مواجهة الكثير من الصعاب.

136. من أجل تقديم لمحة عن حجم الأحجار المستخدمة، هناك كومة كبيرة تقع الآن في الممرّ ربما هو حجر كبير، كان واحدًا من الأحجار التي بُنِيَ منها السقف ويبلغ حجمها خمس أقدام في أربع وقدَمَين في تسع. حجر آخر يقع لوحده في الحجرة إلى اليسار وهو بطول خمس أقدام وسماكة قدم وعشر بوصات.

بالطبع يحيط بهذه الأحجار كلها ومن فوقها وتحتها أكوام من أحجار أصغر حجمًا مطمورة مع أحجار الصوان والتراب المجصص.

137. وعلى الرغم من البحث الدقيق الذي قمت به، إلّا أنّني لم أجد أي آثار لكتابة هنا أو هناك، ولا حتى أثر معماري على أيٍّ من الأحجار.

138. ما فهمته أنّ سقف المدفن الذي لا يمكن أن يكون مبنيًّا من كتل عرضية فردية، نظرًا لعرض الممرّ الأساس، لم يكن كافيًا لدعم ثقل الأرض التي يعلوها، وقد انهار تدريجيًّا. ولهذا أقول إنّه على غرار أحد الأماكن، كان يوجد كومة كبيرة من الحجارة التي تقع في الزاوية الحادة من الجدار، وقد بقي الطين سالمًا.

139. إنّ الشكل المربّع الغريب لقمم تلك التلال جميعها هو أمر مبرّر إذًا، وكذلك الطريق المجوّف القابل للتمييز بشكلٍ أو بآخر باتّجاه القمّة في التلال يشير على الأرجح إلى موقع الممرّ.

140. ومن بين المدافن الكبيرة كلها، يبقى واحد، رغم أنّه ليس من بين الأكبر حجمًا، تتّصف قمّته بأنّها طويلة إلى حدٍّ ما ومدوّرة. ومن المؤكّد أنّ هذا القبر يستحق العمل عليه، إذ إنّ حجمه يؤكّد افتراض كون حجرات حفظ الجثث مطلية بالطين بشكل جيد، فنستنتج أنها أُفرغت من الهواء.

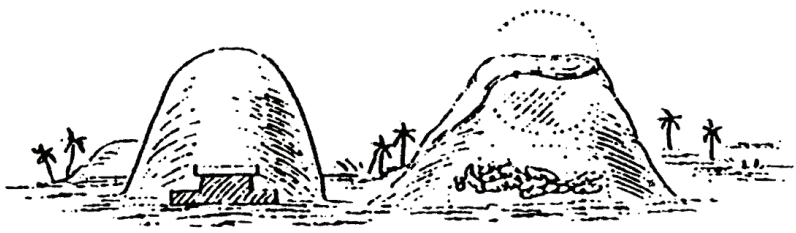

الوضع الحالي المبالغ به للمدفن  المدفن الأصلي

141. وبعد أن يئست من المدفن الكبير، كان يتوجب عليَّ محاولة العمل في هذا الأخير، إلّا أنّني لم أكن أملك الكثير من الوقت لتضييعه هنا.

142. قد لا يكون الموضوع برُمَّته يستحق البحث والتحقيق[1]، ولكن إذا كان كذلك، فسيكون من دواعي سروري تقديم أيّ مساعدة ضمن صلاحياتي.

143. من تشرين الأول/ أكتوبر إلى نيسان/ أبريل يكون مناخ البحرين محبّبًا، أما خلال الأشهر الأخرى من السنة فإنّ العمل فيها مستحيل.

**توقيع** (إي. أل. ديوراند)

(1) من المدهش أنّه لم تُرسَل أي بعثات علمية لاستكشاف هذه السواحل حيث يصلح المناخ لحفظ أيّ شيء لم تصل إليه يد الإنسان. (هامش الأرشيف البريطاني).

ملحوظة: منذ إنهاء تقريري، زارني عبد الله بن رجب مصطحبًا معه اثنين من العرب من البر الرئيس [لشبه الجزيرة العربية]. لم يتمكّنوا من فهم الخريطة ولكن يبدو من شروحهم الشفاهية أنّنا غفلنا عن خطٍّ منقَّط أسفل خليج سلوى، علمًا أنّ الخليج يضيق في البداية بشكل ملحوظ ومن ثمّ يتوسّع بعد مسافة معيّنة إلى بحرٍ داخلي كبير ليصل إلى [خور] العُدَيْد، في حين أنّ لسان البحر في الجهة الشمالية الغربية يمتدّ صعودًا باتّجاه جزيرة «الزخنونية».

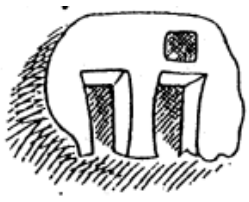

أقدّم هنا رسمًا تقريبيًّا استحضرته من ذاكرتي

منذ ذلك الوقت أكّد هذا التقرير ربان سفينة جلالة الملكة «ڤلتشر».

يُعتقد بوجود الكثير من الأماكن المهدّمة داخل البلاد إلّا أنّ معظمها مغطّاة ومخفية بالرمال.

يظهر على الخريطة التقريبية التي قدّمتها[1] معلمًا واضحًا بالقرب من [خور] العُدَيْد وهي تذكر أيضًا بعض الأماكن بالقرب من الساحل معروفًا عنها أنّها تحتوي على أنقاض [أثرية].

[ملاحظة: الخريطة المرفقة بهذا التقرير موجودة في نهاية هذا الكتاب].

(1) مرفقة. (هامش الأرشيف البريطاني).

## جزر البحرين[1]

وعلى الرغم من أنّ هذه البحار الضحلة [غير العميقة] تُعدّ بلا شكّ من المعالم الجميلة إلّا أنّها تمثّل خطرًا إلى حد ما، إذ لم يجرِ قطّ مسحها بالشكل المناسب، وباستثناء تلك الموجودة شمالي الجُزُر وشمالها الشرقي، فإنها غير معروفة عمليًّا. البحرين محاطة من ثلاث جهات باليابسة التي تمتد إلى مسافة بين 30 و40 ميلًا تقريبًا في المياه المتوسطة، وهو الجزء الذي لم يخضع للمسح، فإنّ البحرين قد تتعرّض في أيّ وقت للهجوم من تلك الناحية، ولهذا قد يصعب حمايتها. من أعلى جبل الدخان، أو تل الدخان، في مركز الجزيرة الأكبر حجمًا، يطالعك هذا البحر في مشهد مثالي يطوقه جزيرة [البحرين] الرئيسة، وإذا لزم الأمر يمكن بسهولة استخدام هذا التل كمحطة للإشارات [اللاسلكية]، إذ إنّ أعلى التل يمكن رؤيته بوضوح من المحرَّق والمنامة.

تتّصف المناطق الداخلية لجزُر البحرين، لا سيما الجزيرة الكبيرة، ببعض المعالم المميزة جدًّا.

وفرضًا أنك تقف في الوسط، في أعلى جبل الدُّخان، {أو تل الدُّخان}، إذا نظرت إلى الأطراف، فإنّ المشهد بكامله يطلّ عليك في الأسفل. أوّلًا، يبدو الجبل نفسه مكوَّنًا من الحجر الجيري ويبلغ ارتفاعه نحو أربعمئة قدَم فوق سطح البحر وكأنّه فوهة قديمة لأحد البراكين، وهو محاط بحلقة من المنحدرات المواجهة للداخل قبالة ثلاثة أو أربعة أميال. ولكن لا يبدو عليها أيّ أثر لتفاعل بركانيّ.

(1) انظر: أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية الأصلية، مركز أوال للدراسات والتوثيق (بيروت، 2019)، مج 2، ص 488 - 497. تجدر الإشارة إلى أنّ المعلومات التالية مكررة في ما سبق في المجلد نفسه (المجلد الثاني من مجموعة أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية الأصلية)، ولا نعلم سبب تكرارها إلا أن يكون تلخيصًا، أو سهوًا من الكاتب أو جامع هذه الوثائق.

تنحدر الأرض تدريجيًّا باتّجاه البحر من الجوانب كلها ابتداءً من القمّة الخارجية لهذه الحلقة من المنحدرات.

وعلى الرغم من أن الهدف من خريطة ميناء البحرين[1] لم يكن الهدف منها تمامًا أن تكوِّن مسحًا دقيقًا للأراضي، إلّا أنّها تظهر موقع الأرض بواقعية. تبدو الجزيرة بأكملها جرداء من الجهتين الجنوبية والشرقية، ولكن إلى الغرب من الجبل، تبدأ مجموعات من أشجار النخيل بالظهور على طول الساحل لتمتدّ من هناك حول الشاطئ الشمالي إلى الشمال الشرقيّ. وبالطبع، لا بدّ من أن تكون جميع هذه الأشجار مزودة بالمياه بوفرة، ذلك أن البحرين، في الحقيقة، تتنعّم بشكل رائع بهذه المياه.

ويعتقد العرب أنّ مصدر تلك الينابيع وغيرها في البرّ الرئيس تنبع من نهر في باطن الأرض ما زال يجري من الفرات، وبحسب ما قال (پليني) ج 6، ص 159: «الأنهار التي يُعتقَد أنّها تنبع من نهر الفرات». أمّا الينابيع الأساسيّة فهي [عين] قصاري، الممتدّة من المنامة إلى منطقة البلاد القديم، و[عين] أمّ شعوم، التي تُبعد ميلًا واحدًا عن شرقي المنامة، و[عين] أبو زيدان في البلاد القديم، وعذاري، التي تمدّ بالمياه أميالًا كثيرة من بساتين النخيل عبر قناةٍ قديمة مبنيّة بحرفيّة تنهار الآن بعض ضفافها الحجريّة، إضافةً إلى نهرٍ رائعٍ تتدفّق مياهه بسرعة؛ عرضه 10 أقدام، وعمقه قدَمَين. أمّا الينبوع [العين] نفسه، فهو بعمق 30 إلى 35 قدمًا وهو يضخ بقوّة بحيث يُدفع أي غواص إلى الأعلى لدى اقترابه من القاع[2]. تتّصف مياه هذا الينبوع العميق بأنّها نقيّة كالبلّور بمسحة لونٍ أخضر خفيف ورائع جدًّا. كما أنّ حوض هذا الينبوع اصطناعيّ ويبلغ عرضه 22 ياردة

(1) أعدّها القائد كونستبل (Constable) والملازم ويش (Wish) وقد أعاد المسح في العامين 1873 و1874، السادة (توموسون) وكثبيرت (Cuthbert) قائدا سفينة جلالة الملكة الشراعية ذات الصاريين «كونستانس» (Constance). (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) كنتُ مع بعض غواصي صيد اللؤلؤ وقد وصلوا إلى قعر المياه ومشوا لبعض الوقت هناك ومن ثمّ ظهروا كالأقزام على علوّ قدم واحد. (هامش الأرشيف البريطاني).

وطوله 40 ياردة. يحتضن [الينبوع] سربًا أو سربين من الأسماك الكبيرة، والكثير من السلاحف المائيّة، كما أنّ مياهه ليست حلوة تمامًا، وهي الخاصيّة التي تنطبق على الآبار كلها تقريبًا، مع الإشارة إلى أنّ مياه الشرب تُنقَل عبر الجِمال إلى متذوقيها من آبار أمّ غويفة والحنينية[1]، ويُقال إنّها تقع على عمق 20 قدمًا في تلال الرفاع. تُنقَل المياه من مختلف هذه الآبار عبر قنواتٍ مائيّة عادية من دون ضفاف، وأكبر قناة فيها تبدو كالجداول الطبيعية.

ولدى الاقتراب من الساحل، تطالعك أرضٌ ترابية بيضاء اللون -قد تكون بقايا مساكن قديمة- إلى جانب تلال شامخة خالية من الزرع تعلو فوق بساتين النخيل. كتلٌ وتلالٌ فوق بعضها تشكل سلسلةً حول المسار الممتدّ من المنحدرات إلى البحر، وهي ملتصقةً، على نحوٍ خاص، بمستوى مرتفع من اليابسة، إلّا أنّك قرب الساحل نفسه، تجدها ضمن مجموعاتٍ منفصلة. توجد المجموعة الأمّ على الأرجح في قرية عالي الحديثة، علمًا أنّ مجموعات أخرى كبيرة موجودة أيضًا في الكثير من المناطق لا سيما تلك الموجودة في البلاد القديم، والتلال الحمراء على يسار طريق الرفاع العام، والسلسلة المؤلّفة من خمس أو ستّ تلال كبيرة مقابل البحر الشمالي بالقرب من قرية سار، وهي مجموعة صغيرة من بين مجموعات كثيرة، وإنها جديرة بالاهتمام بشكلٍ أو بآخر. ولا بدّ من العودة للحديث عن هذه المعالم في وقتٍ لاحق.

قدّمتُ سابقًا مخطّطًا بسيطًا حول التكوين المتفرد لهذه الجزر، إذا صحّ التعبير، في ما يتعلق بموقعها والحقيقة المفروضة حتى على أقل المراقبين اهتمامًا بها، بأنّه إنما يقف على أرضٍ غير عادية، بل على أرضٍ ربّما كانت تعجّ بالحياة على الرغم كونها تعرضت للهجر بما فيه الكفاية، ويقبع تحت ترابها، على الأرجح، تاريخ أجيالٍ لا يعد ولا يحصى من مثله. لقد ذكرت القباب الترابية التي

(1) اسما قريتين تبعدان ميلاً واحدًا عن بعضهما البعض، وتقعان أعلى حلقة المنحدرات. (هامش الأرشيف البريطاني).

تغطي الجزيرة من الجوانب كلها، من الساحل إلى الوسط، أو إلى منحدرات الحوض المركزي. وسألقي نظرة على ما يُعرَف بالأيام التاريخية الأولى للعرق البشري الذي سكن هذه الجزر، ومن ثمّ سأقدّم تقريرًا مختصرًا حول ما تمّ استخلاصه بعد ثلاثة أسابيع من البحوث المستمرة، تاركًا لمن هم أعلم منّي في هذه الشؤون ليحكموا ما إذا كانت استنتاجاتي صحيحة أم خاطئة.

نعلم أنه من الممكن أن يكون الفينيقيون، والبابليون، والفرس، والعرب، والبرتغاليون، قد حكموا هذه الجزيرة. في ما يتعلّق بالفينيقيين، ذكر (هيرودوت) الآتي: «سكن الفينيقيون في بادئ الأمر على سواحل البحر الإريتري، وبعدئذٍ هاجروا إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، الخ...». وفي وقتٍ لاحق، في معرض حديثه عن القوّات التي استعرضها (زيركسيس) [الفارسي] لغزو اليونان، قال إنّ فينيقيي صيدا فازوا في سباق الزوارق الذي أُقيم عند أعتاب البلاط الملكي لمدينة (أبيدوس)، وإنّه «بحسب روايتهم، أقام هذا الشعب منذ القدم على سواحل البحر الإريتري، ولكن منذ ذلك الحين، استقرّوا في ساحل سوريا حيث ما زالوا يقيمون».

وبعد زيارتي الأولى إلى الشيخ، تم إحضار الخيول لنمتطيها ونتوجه عليها نحو المحرَّق، إلى بساتين النخيل في [سماهيج]، حيث ذكر الزعيم أنّهم اكتشفوا مؤخّرًا بئرًا قديمةً. من الواضح أن التلال الرملية في هذا الجانب من الجزيرة تغطي مبانٍ قديمة[1] و«البئر» التي تمّ اكتشافها كانت إمّا قناةً حجرية مع روافد متقاطعة، أو قاعدة أساسية لمبنًى حجريٍّ قديم يقع على عمق ست أو سبع أقدام، وهي الآن تحتوي على مياه. تمّ ضرب الأرض بمكشطة لإعداد مجال لزراعة شجرة نخيل صغيرة، وقد خُسفت ليُكتشَف البناء الحجري تحتها. لم أتمكن من

(1) سمعت منذ ذلك الحين من عبد الله بن رجب الذي يعمل في تجارة اللؤلؤ مع إخوانه أنّه يتذكّر لمّا كان صبيًّا كان يرى ضباطًا من فرقاطتين فرنسية وإنجليزية يرافقهم سفير فارسي (Ailel) وهم يحفرون ويقلبون الحجارة في هذا المكان بالتحديد. ولكنّه لم يعلم ما كانت النتائج. (هامش الأرشيف البريطاني).

طلب إجراء بحث هناك لأنّ ذلك قد يضرّ بالبستان، ولكنّني طلبت من البستانيّ العمل أسفل الموقع، ومعرفة ماهية ذلك المكان. وعدني بذلك، وانتهى الأمر عند هذا بالطبع.

بعد ذلك قمتُ بعدد من الزيارات إلى كلّ مسجد في هذا الجزء من الجزيرة معتقدًا أنها المكان الأكثر احتمالًا للقاء سكان أذكياء. ذهبت إلى الكثير من المساجد التي سُجّل على جدرانها نقوش عربية قديمة وكذلك زرت المسجد المهدم لمشهد أبو زيدان[1] بالقرب من البلاد القديم، الذي يُقال إنّه بُنيَ بمواد مسجد مدمر أكثر قدمًا ولا شك في أنه يحتوي على كتابات قديمة. يضم هذا المسجد لوحٌ قديم وحلقة من الحجارة حول واحد، إن لم يكن اثنين من جدران القاعة، منقوشًا عليها أحرف كبيرة بالخطّ الكوفي مأخوذة على الأرجح من مبنى قديم، ولكنّني لم أنسخ تلك الأحرف.

(1) إنّ بئر أبو زيدان لهي بئر جديرة بالذكر. تنبع من أرضٍ حجرية تُعتبر في الأساس جزءًا من جدران مسجدٍ صغير. مياه هذه البئر رائعة ودافئة في الطقس البارد ويُقال إنّها تغدو باردة في الحرّ وأنا أفترض أنّ هذا التغيّر يعود فقط إلى تغيّر درجة حرارة الجوّ. يرتفع من المياه عمود حجري مع حجرَين دائريَين حيث تدعم المياه جزءًا من الأجزاء العليا للمبنى. أمّا التصميم في الأرض الخارجية فهو مميّز. (هامش الأرشيف البريطاني).

رسم الحجر الذي اكتشفه النقيب (ديوراند)

{طوله قدمان وبوصتان}

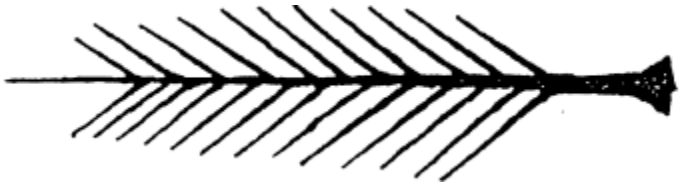

سعف نخلة فوق النقوش

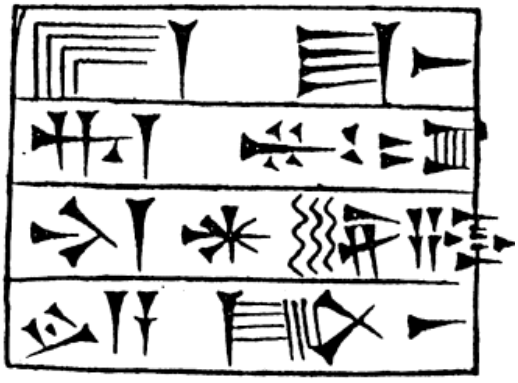

صورة طبق الأصل عن النقوش الموجودة على الحجر

النقوش ذاتها بالآشورية

وفي النهاية، وبعد زيارة عشرين مسجدًا على الأقلّ لم ينتج عنها سوى فنجان قهوة، وغليون [دخان]، وشكاوى لا تُعدُّ ولا تُحصَى حول استبداد الشيوخ وقبيلتهم، أُخبرتُ عن حجرٍ لم يتمكن أحد من قراءة نقوشه. توجّهت لرؤية هذا الحجر ووجدته مطمورًا في «قدس الأقداس» في مدرسة داود في البلاد القديم. الحجر نفسه مصنوع من البازلت الأسود، وهو على شكل مقدّمة مركب أو لسان حيوان، وحجمه قدمان وبوصتان. لم أجد صعوبة في الحصول على الحجر رغم قدسيّته بحيث أخبرت الملالي أنّه مجرّد حجر لعبدة الشيطان، وربما يكون وثنًا ومكانه ليس حيثما وُجد. وكي أدعم كلامي، تبرّعت ببضع «روبيّات» لترميم المسجد وتم تعويض الخسارة عليهم. أرسل الشيخ أحمد أحد العبيد للتنقيب عنه، ونقله إلى منزلي. تظهر الرموز بشكلٍ واضح أنّها بالكتابة البابلية، أو الآشورية المسمارية، ولكن بعض الرموز تبدو بالهيروغليفية.

وفي ما يتعلّق بالقباب الترابية، فمن الممكن أن تكون بقايا المعابد الفينيقية التي تحدث عنها (أندروسثينس). ولا شكّ في أنّ تلك المعابد القريبة من قرية عالي بُنيت فوقها مبانٍ من كتل ذات أشكال رمليّة. لا يمكنني ذكر المناطق كلها في هذه الجزر التي تضمّ، على الأرجح، مباني مطمورة غير أنّني أكتفي بلفت النظر إلى منطقة أو منطقتين بارزتين.

عند مغادرتنا لمدينة المنامة، وعبورنا الطريق الغربي الذي يمرّ على طول حدائق النخيل، وصلنا إلى ولاية القديم، أو البلاد القديم، وهي المدينة القديمة التي يُرجَّح أن تكون المباني فيها قد تراكمت فوق بعضها منذ القدم. وهنا لفت أنظارنا عدد من التلال البيضاء المرتفعة، والخالية من الشجيرات؛ ولكن عندما غادرنا المكان متوجّهين نحو الشمال الغربي مرورًا بقلعة البرتغال على الساحل البحري، التي ما تزال تحتفظ بضخامتها وعظمتها رغم دمارها، مررنا بصفٍّ من التلال الرملية المرتفعة الملتصقة بعضها ببعض، مواجهة للبحر الشمالي، على بُعد ما يقارب ميل واحد من الشاطئ بالقرب من قريتي باربار وشريبة. مشيت

على تلك التلال لأجد حجرًا واحدًا في مكانٍ بعيد وهو حجر كبير ثُقب فيه بوضوح فجوة على شكل مربّع وكأنّه مقبض بابٍ كبير إلى جانب فجوتين أخريين على شكل قناة مربّعة على الجهة نفسها. آسف أنّني لم ألحظ هذا الحجر بشكلٍ دقيق في ذلك الوقت. هنا، وبعد رؤية تلالٍ أخرى وبعد التجوّل في نصف الجزيرة، لامست أهميّةً لتلك التلال الخاصة، والسبب يعود في الحقيقة، أوّلًا، إلى حجمها، وثانيًا، إلى موقعها على الخطّ المواجه للبحر، فضلًا عن حقيقة عدم وجود تلال أصغر حجمًا بالقرب منها.

وبعد مغادرة هذه التلال عُدنا أدراجنا إلى البلاد القديم، ومرة أخرى، مررنا ببساتين النخيل لنجد أنفسنا بعدئذٍ مباشرة على مقربةٍ من طريقٍ عريض خالٍ من أيّ زرع، كما يبدو أنّه يرتفع بوصة أو بوصتين عن الأرض المحيطة به، التي تضمّ عددًا من الشجيراتٍ المتفرّقة. أنا متأكّد من أنّ جزءًا من هذا الطريق كان يومًا طريقًا شيّده الإنسان، غير أنّ حركة المرور في هذه الأيام لا تفوق حركة مرور الأغنام بين عالي والمنامة.

أما قرية «عالي»، القرية الصغيرة المدمرة، التي قادنا الطريق للوصول إليها، يسكنها الشيعة، مبنيّة من مساكن قديمة، وعلى مساكن أخرى أقدم منها، ويقع خارجها مباشرةً مجموعة فريدة رائعة جدًّا من التلال التي لفتت نظري. يبلغ عدد تلك التلال نحو 25 أو 30 تلّة، وأحجامها تتراوح بين كبيرة وصغيرة، لكن أكبرها يتراوح ارتفاعها تقريبًا بين 40 و50 قدمًا، وأعرض قاعدة لها تتراوح من 40 إلى 50 ياردة. وبفعل تأثير الطقس، باتت هذه التلال مسننة نوعًا ما مع حفاظها على التشابه القويّ بين بعضها وكأنّها عائلة واحدة، لا سيما من حيث الشكل المربّع لقممها المسنّنة، وهي جرداء، وقريبة من بعضها، {بغض النظر عن العدد الهائل من الكُتَل الرملية المشكّلة والظاهرة بالقرب من بعضها أو أعلى قمّمها، والرواق الموجود في أحدها، وأيضًا بالقرب من القمّة} وهذه الحقائق جعلت الشكّ ينتابني حول صحة تخميني الأوّل بشأن كونها معابد. ما تزال هذه التلال الوحيدة التي تحققت منها {في الأنحاء القريبة} ذات الشكل المتميّز لجهة حجمها،

وخلفها مباشرةً تمتدّ سلسلة فوق سلسلة ومجموعة فوق مجموعة من القباب الترابية [مدافن عالي] الأقلّ حجمًا، التي قد لا تكون سوى مدافن[1]. وقد علّقت آمالي على أن تكون هذه المجموعة الكبيرة شيئًا آخر [غير ما تبدو عليه]. ولكن إذا كانت هذه الأميال من الأكوام المتزاحمة قبورًا، فأين عاش السكّان؟ من الممكن أن يكونوا قد اعتمدوا مسار الخطّ الساحلي، كما هو الحال اليوم، وبنوا بيوتهم من سعف النخيل كما تفعل الطبقات الفقيرة حتى يومنا هذا[2]. ومن الممكن أن هذه الجزر كانت مقبرة جِرَّة، التي كانت في السابق سوقًا فينيقيًّا كبيرًا في هذه الأنحاء، ويُعتقَد أنّها تقبع أسفل الخليج الطويل الموجود خلف البحرين، في حين أن الأسباب الأخرى التي جعلت هذه الجزر تُعتبر أرضًا مقدّسة قد تكون خصوبتها، ومعابدها، ووفرة مياهها الجميلة. فقد جرى الاختلاف[3] على موقعها الصحيح بعض الشيء، إذ إنّ (دانڤيل) يحدّدها في القطيف، و(نيبور) يحدّدها في الكويت أو القرين، في حين أنّ (فورستر) يحدد موقعها عند أسفل الخليج الواقع خلف البحرين، وأعتقد أنّه الموقع الأصحّ على الأرجح.

أخبرني العرب بوجود الكثير من الأنقاض الضخمة في البرّ الرئيس [لشبه الجزيرة العربية]، وعلمتُ من أحد الرجال على وجه الخصوص أنّهم اكتشفوا آثارًا لمبنى، وأحجارًا، وأعمدة في مكانٍ يُستخرَج منه الملح. وأعتقد أنّ أسفل الخليج الواقع خلف البحرين لم يتمّ استكشافه بشكلٍ جيّد.

---

(1) يشير الكاتب هنا إلى مدافن عالي الأثرية المشهورة.

(2) أي حتى يوم كتابة تقرير (ديوارند).

(3) ذكر ڤنسينت (Vincent) في كتابه «الطواف في البحر الإريتري» أنّ الجِرَّة تقع في القطيف الحالية. وفي ما يتعلّق باشتقاق أسماء الطرانة (Tyranna) وأراديانا (Aradiana)، من أسماء الجزر الخليجية نفسها فهو يقول ببساطة، أو بشكل مخادع، إنَّها منسجمة مع إعجاب اليونانيين الدائم [بحضارتهم] فيجعلون لأي شيء مجهول موقع في تاريخهم الأسطوري. أظنّ أنّ هذا المكان، من بين أسبابٍ أخرى، قد حظي بأهميته من موقعه بالنسبة للرياح الموسمية والرياح الشمالية في الخليج نفسه، وكذلك في ما يتعلّق بكونه مصبًّا لنهر الفرات. للمزيد من المعلومات حول هذا الأمر، انظر بعض التقارير حول الرياح الموسمية وغيرها في الملاحظات التمهيدية لـ (فينسنت) حول «رحلة نيرخوس». (هامش كاتب التقرير).

وفي الحديث مجدّدًا عن التلال في قرية عالي، عند وصولي للمرة الأولى، قمتُ بجولة على التلال الأكبر حجمًا، وفي النهاية أثمرت جهودي باكتشاف مدخل إلى إحداها {تحت صخرةٍ مسطّحة بالقرب من القمّة}، ولم نكن قادرين سوى على الاستلقاء والزحف لنصل إلى ما بعد المدخل، ووجدنا أنفسنا في ممرٍ أو دهليزٍ طويل إلا أنه كان مسدودًا ببناء منهار على مسافة بضع ياردات أمامنا.

سقف هذا الممرّ مكون من ألواح عرضية حجرية مسطّحة، ممتدة من الجدار إلى الجدار بعرض ست أقدام، وعرض الممر أقلّ من ذلك نوعًا ما. كانت الجدران التي ما تزال سليمة، مغطّاة بجصٍّ حُبيبي خشن وصلب، أما تلك المهدمة، فكشفت سماكة عن صخور كبيرة ذات سُمك عريض وملتحمة بعضها ببعض بواسطة الجصّ الخشن نفسه.

يدفعني الشكل العام لهذه التلال الكبيرة للاعتقاد بأنّها كانت ذات صروحٍ دائرية مدعمة بأعمدة وذات أسقف مقببة أو مسطّحة بعض الشيء. لم أرَ أثرًا لنقوشٍ على أيّ من الكتل الصخرية الموجودة على هذه التلال. ما كان ظاهرًا كان حجمه ضخمًا، وعلى أيّ حال أعتقد أنّ معظمها مكوّن من حجر رمليّ قاسٍ، وهو «الكلس». وعلى الرغم من أنّ كل كتلة تحمل دلائل على أنّه قد تمّ تشكيلها، إلّا أنّها كانت متآكلة بفعل الزمن بحيث لا يمكن أن يبقى أي كتابة عليها مهما كانت عميقة. لا شكّ في أنّه مع الوقت استخدم السكّان هذه التلال كمقالع للحجارة ممّا قد يكون سببًا، إلى حدٍّ ما، لصورة تلك التلال الجرداء [الآن] فلا تجد حجرًا على سطحها. لكن الأحجار المدفونة قد تكون بحالة أفضل من نظيراتها المكشوفة. وبالنسبة لمواقع التلال نفسها، لم أتمكن من رؤية أي أثر لوحدة التصميمٍ في المجموعات، ربما باستثناء مكانٍ واحدٍ بدت فيه التّلال ذات الزوايا الأربع متّصلة بجدار، وقد شكّل وسطها ساحة رباعية الزوايا ظهرت فيها تلّة ذات شكل غير محدّد وأصغر من البقيّة ولكنّها شبيهة بها.

منذ كتابة ما ورد أعلاه، نقبت مدخل تلةٍ صغيرة غرب المجموعة الكبيرة، بلغ محيط التّل 57 خطوة، وارتفاعه من تسع إلى عشر أقدام. وبدأت العمل في تلة أكبر منها سأتحدّث عنها لاحقًا. أمّا التّلة الصغيرة فهي واحدة من مئات أمثالها تقع في مجموعات، وهي تبدو، ببساطة، قبرًا واحدًا رغم تقسيمها إلى حجراتٍ على نحوٍ غريب. بلغ ارتفاع الممرّ الوسطي أربع أقدام وتسع بوصات عن الأرض، وهو مسقوف بألواح فردية من الحجر الجيري الصلب والمنحوت الممتدّ على مسافة ثلاث أقدام وست بوصات. ويبلغ عرض الممرّ ثلاث أقدام تمامًا. أمّا ارتفاع الفتحات الجانبية فقد بلغ ثلاث أقدام وست بوصات فقط، مع كونها قصيرة بين ثلاث أقدام وثماني بوصات، وكذلك وجدتُ جمجمة بين عظام الفخذين ممّا يشير إلى أنّ إنسانًا قد دُفن هنا في وضع القرفصاء.

كانت جدران المدفن مبنيّة من أحجارٍ خشنة وغير مجصصة، مما أدى إلى وصول الغبار إلى الحجرات من بين الأحجار مغطيًا معظم الأرض إلى ارتفاع عدة بوصات. بدأت التنقيب من الجانب الشرقي لأصل إلى ممرٍّ أساس يقع بين الشرق والغرب، وهو صنيع بدأت أعتمده منذ ذلك الحين في بداية عملي في التل الأكبر حجمًا. عندما جرفنا الأرض، لم نجد أيّ مدخل، لكننا أحدثنا واحدًا عبر إزالة كتل كبيرة من الأحجار، ولحسن الحظّ أنّها كانت في وسط الممرّ الكبير. ومن هنا كان علينا النزول نحو ثلاث أقدام وست بوصات. ووجدنا في أول حجرة إلى اليمين {والشمال}، جمجمة وعظامًا لرجل. ولسوء الحظّ، اهتزّت السلّة قليلًا بعد أن وضعتها بعناية على أحد الجوانب، ورغم أنّ الجمجمة مدعومة بالتراب إلّا أنّها تناثرت إلى أجزاء صغيرة. واستنادًا إلى عظام الفخذ، لم يكن بمقدور هذا الإنسان الوقوف كثيرًا، ليس أكثر من خمس أقدام وتسع بوصات، ذلك إن لم يتمكن من الوقوف إطلاقًا. بدت الجمجمة صغيرة جدًّا ومنخفضة بشكل خاص عند مقدّمة الرأس، مع نموّ جيد للحافة الحجاجية، ومحجر الجمجمة ضيق ولكن طوله يزيد عن عرضه، لكنّ رغم ذلك تبقى الجمجمة صغيرة. تقع الجمجمة بين

عظام الفخذين. غير أنّ وضع هذه الجمجمة بالمقارنة مع انخفاض مستوى سقف الحجرة وصغر مساحتها يشير إلى أنّه تمّ دفن الجسد في وضعية القرفصاء. وفي الحجرة الصغيرة المقابِلَة للحجرة الأولى، وجدنا عظام حيوانٍ صغير، قد يكون غزالًا أو خروفًا، وبقايا أخرى لإناء من الفخار يُستخدم للشرب، وهي مبعثرة في تراب الممرّ الأوسط، إلى جانب الكثير من القطع الصغيرة التي لا تمتلك شكلًا محدّدًا، ومصنوعة من المعدن أو النحاس المتأكسد، بالإضافة إلى بعض أجزاء من إناء خزفي خشن وأحمر اللون.

وفي الحجرات الغربية والجانبية المحاذية، المسدودة بشكلٍ جزئي بصخرة أو صخرتين كبيرتين، لم نجد شيئًا باستثناء التراب وبعض العظام الرقائقية مصدرها الحجرة الجنوبية-الغربية، ولكن من دون جمجمة أو عظام بشرية يمكن تمييزها. وفي جميع أنحاء المدفن، تبعثرت هنا وهناك بين التراب أجزاء لما تبيّن لي أنه كان في ما مضى عاجًا أو خشبًا، وقد وُجدت هذه الأجزاء عند غربلة التراب الذي أزيل بكامله من المدفن وصولًا إلى الأحجار الأساس.

6 نيسان/ أبريل 1879: يمكنني الآن الحديث بعض الشيء عن التلال الكبيرة التي شاركت في استكشافها منذ كتابتي لما ورد أعلاه.

اخترت مبدئيًّا القبة الترابية الكبيرة الأفضل. ويبلغ ارتفاعها الحالي نحو 45 قدمًا، ومحيطها 200 خطوة، ومحيط التل الدائري حولها يبلغ 330 خطوة، وتفصل هذا الأخير 20 خطوة من مستوى الأرض عن قاعدة التل، مع وجود خط جداري يصل الدائرة الخارجية بقاعدة المدفن.

كنت أفكّر وآمل، انطلاقًا من حجم التل، ومتوهّمًا من التل الآخر الذي تفحّصته قليلًا، أنّ التل قد يغطي حطام معبدٍ دائريٍ صغير وليس بقايا أحد المدافن. وهكذا بدأنا العمل من الأعلى والوسط فنزلنا عدة ياردات إلى العمق. غير أنّنا لم نجد سوى حلقة من الأحجار الكبيرة، عندئذٍ، غادرنا أعلى التل وبدأت العمل فوق القاعدة ببضع أقدام مستخدمًا القاطع مع أخذ الحيطة للحفاظ على الخطّ

الشرقي والغربي ذاته الذي خبرته بفضل تجربتي السابقة عند المدفن الأصغر، وكذلك بعد أن لاحظت قناةً ضحلة من أعلى التل إلى أسفلها في هذا الاتجاه. وبعد بضع أقدام أعاق تقدّمنا عددٌ كبيرٌ من الأحجار التي قمنا بإزالتها ليظهر أنّها تشكّل جزءًا من جدار دائري ضخم. إحدى هذه الكتل كانت مكوّنة من الحجر الجيري وقد وجب علينا كسرها بالعتلة لإزالتها، وهي بطول ست أقدام تقريبًا وعرض ثلاث أقدام، وبعمق ثماني عشر بوصة.

بلغ ارتفاع هذا الجدار فوق المستوى السفلي للنفق الذي أحدثته نحو سبعة أو ثمانية أقدام، وهو ما يجعله مرتفعًا على الأقلّ عشرة أقدام عن مستوى سطح الأرض. أمّا الكتل المستخدمة فقد كانت من الحجر الجيري المنحوت والصلب[1] وذات أحجام مختلفة وغير مجصصة.

وعند اختراق الجدار، وجدت نفسي فجأةً في ممرٍّ أو دهليز عرضه نحو ست أقدام، ويضيق تدريجيًّا {وهو ما لاحظته فيما بعد} ليصبح بعرض خمس أقدام وثلاث بوصات في نهايته. وكانت الجدران على كلا الجانبَين خشنة وغير مجصصة، وذات أحجارٍ جيرية موضوعة بإهمال، ومتفاوتة في الحجم. كما كان اتجاهها صعودًا بشكلٍ هرميّ انطلاقًا من جدار الكتل المحيط بها، وتخرج قليلًا عن مستوى قاعدتها. اتّخذت طريقي بين هذه الجدران مزيلًا التراب من أمامي كل ما تقدمت في المسير، بحيث ملأت الممرّ خلفنا كلّما تقدّمنا إلى الأمام.

لقد زاد هذا الأمر من عملنا كثيرًا، رغم أنّه لم يكن ضروريًّا برأيي، نظرًا لتراصّ أحجار الكتلة، وحجم الدهليز الصغير نسبيًّا وكذلك الانحدار الخارجي للجدران.

(1) بعض الكتل الموجودة على التلال الكبيرة الأخرى {الملحوظة سابقًا} مكوّنة من الحجر الرملي وذات أشكال مصاغة بدقّة إذ ربما يكون المعماريون أقرب إلى تشكيل الحجر الرملي منها إلى تشكيل الحجر الجيري الأقسى أو أنّهم لم يفكّروا بأهمية الأمر أثناء قيامهم بذلك. (هامش الأرشيف البريطاني).

منعنا هذا العائق الثاني من دخول المدفن نفسه على بُعد مسافة ثلاثين قدَمًا وست بوصات من أول جدار دائري من الكتل. وعند اقترابنا من هذا الجدار الداخلي، وجدنا ممرًّا مجصصًا بخشونة من كلا جانبيه، ومنعنا العائق المتماسك جدًّا من النفاذ إلى هناك. كان يغطي الجدار طبقتان من الجهتين، إحداهما من الطين الخشن والثانية من الطين الأملس، وهي تقع تحت الطبقة الأولى وكانت ما تزال آثار الأصابع واضحة على الجصّ. أمّا الطبقة السفلية، فهي من مواد مختلفة ملساء جدًّا، وكذلك صلبة بحيث لزم استخدام معاولنا لإزالتها. بُني الجدار العرضي من الكتل الإسمنتية بعد الانتهاء من بناء الجدران الجانبية. وقد قمنا بتفجير هذا الجدار.

وانطلاقًا من المنصّة التي وُضعت عليها هذه الكتل، قادنا الانحسار بمسافة ثلاث أقدام وست بوصات إلى أرضية القبر المجصصة والملساء. وهنا اكتشفنا من بين الأحجار وبقايا قطع البناء، كمية كبيرة من قطع الفحم الكبيرة، فاستنتجت أنّ السقف كان يومًا مدعومًا بجذوع شجر النخيل. أضف إلى ذلك وجود بعض القطع التي تبدو كحصائر الخيزران المتفحّمة.

على يمين الممرّ ويساره يوجد رفّان، وكان الرف الأدنى مجصّصًا بعناية بطبقة من الطين، ولم يحملا هذان الرفان شيئًا ما عدا الغبار الأصفر الذي غطاهما. كان طولهما أربع أقدام وسبع بوصات من المدخل، وبعمق ثماني أقدام وعلى ارتفاع ست أقدام وتسع بوصات من الأرض أو المنصّة. لا شيء يدلّ على الطريقة التي تم بها وضع هذين الرفين. وعند النزول من المنصّة {نهاية الممرّ}، كانت الجدران المجصصة بعناية ما تزال تمتد على مسافة ثلاث أقدام وبوصتين يمينًا ويسارًا، ومن ثمّ تنعطف عند زوايا قائمة لتشكّل حجرات صغيرة من الشكل نفسه لحفظ الجثث، كتلك الموجودة في المدفن الأصغر الذي جرى وصفه سابقًا.

إنّ مقاييس هذه الحجرات التي تقع على يمين الممرّ ويساره تبلغ نحو سبع أقدام وثلاث بوصات طولًا وثلاث أقدام وثلاث بوصات عرضًا، وارتفاعها خمس

أقدام وست بوصات. ومن هذه الجدران الداخلية للحجرات تمتدّ إلى الخلف عبر حطام الكتل المنهارة جدرانٌ جانبية لممرٍّ أعرض بأربع أقدام من الدهليز الذي دخلناه.

من أجل تقديم لمحة عن حجم الأحجار المستخدمة، هناك كومة كبيرة تقع الآن في الممرّ ربما هو حجر كبير، كان واحدًا من الأحجار التي بُنيَ منها السقف ويبلغ حجمها خمس أقدام في أربع وقدَمَين في تسعة. حجر آخر يقع لوحده في الحجرة إلى اليسار وهو بطول خمس أقدام وسماكة قدم وعشر بوصات. بالطبع يحيط بهذه الأحجار كلها ومن فوقها وتحتها أكوام من أحجار أصغر حجمًا مطمورة مع أحجار الصوان والتراب المجصص. وعلى الرغم من البحث الدقيق الذي قمت به، إلّا أنّني لم أجد أي آثار لكتابة هنا أو هناك، ولا حتى أثرًا معماريًّا على أيٍّ من الأحجار.

ما فهمته أنّ سقف المدفن الذي لا يمكن أن يكون مبنيًّا من كتل عرضية فردية، نظرًا لعرض الممرّ الأساس، لم يكن كافيًا لدعم ثقل الأرض التي يعلوها، وقد انهار تدريجيًّا.

ومن بين المدافن الكبيرة كلها، يبقى واحد، رغم أنّه ليس من بين الأكبر حجمًا، ومن المؤكّد أنّ هذا القبر يستحق العمل عليه.

من تشرين الأول/ أكتوبر إلى نيسان/ أبريل يكون مناخ البحرين محبّبًا، أما خلال الأشهر الأخرى من السنة فإنّ العمل فيها مستحيل.

# ملاحظات على تقرير (ديوراند) حول جزر البحرين[1]

بقلم اللواء السير (إتش. رولنسون)، القائد الفارس للحمام،
زميل في الجمعية الملكية
رئيس الجمعية الملكية الآسيوية، ومديرها

اعتمادًا على مكتشفات النقيب (ديوراند) في البحرين، نظرت في مسألة العصور القديمة للخليج الفارسي، وعجبتُ من تراكم كمية كبيرة من القضايا المرتبطة بهذه المنطقة وأهميتها، منذ أن أجرى (فيسينت) و(هيرين) تحقيقاتهما حول «تجارة الأسلاف وملاحتهم»، وبعدئذٍ، على الرغم من أنني لم أحصل على ما يكفي من الراحة أثناء فترة تسلمي للقيادة في الوقت الحالي، لأمنح التحقيق ما يستحق من العمل، ما زلت أظن أنه من الممكن إرسال الملاحظات التي جمعتها أثناء قراءتي العابرة ليتم تمريرها في أحد لقاءات هذه الجمعية للاستفادة منها، وذلك بهدف إيضاح المسألة بشكل جزئي، وتحديدًا على أمل تقديم أسس للبحث لطلاب آخرين أكثر كفاءة.

وبالنتيجة، فإن أهمية المنطقة البحرية في الفترة الأولى من تاريخ العالم يمكن استنتاجها من الحقيقة التي تفيد أن البابليين أنفسهم يعترفون باكتسابهم لمعرفتهم من السكان الغامضين لجزر الخليج الفارسي، على الرغم من أن بابل

(1) انظر: أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية الأصلية، مركز أوال للدراسات والتوثيق (بيروت، 2019)، مج 2، 498 - 516.

كانت في الأساس وسيلة لنقل التمدن إلى آسيا الغربية. ومن الواضح أن التقليد الذي حافظ عليه بيروسوس (Berosus)[1]، من أوانيس (Oannes)، أو «إله السمك»، الذي أتى من تلك المنطقة من البحر الإريتري على حدود بابل «ليُعَلِّم سكان بلاد ما بين نهري دجلة والفرات» الأحرف والعلوم والفنون بأنواعها، يشير إلى هذه الفترة من الحضارة البدائية[2]. يظهر (أوانيس) في النقوش على أنه «خالق البشرية»، و«إله المعرفة»، وسيد مدن إريدو (Erid)، وسوريباك (Surippak)، وخالخا (Khalkha). وهو يعرف عادة باسم 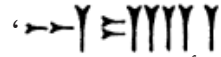 ، «إله مصدر الماء» -اللقب الذي اقترحت منذ سنين بعيدة أن أمنحه اللفظ (آيا)- وهي قراءة مؤقتة بقيت متداولة منذ ذلك الحين، على الرغم من أنها لا تحتاج سوى القليل من الموافقة ليتم التوصية بها. وعندئذٍ يرد السؤال الآتي: من هم «آباء المعرفة» الأوائل هؤلاء، الذين قاموا بتمدين من استقر في منطقة دجلة والفرات، الذين حُفظت ذاكرتهم في أسطورة «جنة عدن» وشجرة المعرفة؟ واستنادًا إلى الظروف

---

(1) **بيروسوس Berosus** هو راهب وفلكي ومؤرخ كلداني من بابل، ولد خلال فترة حكم الإسكندر المقدوني وذلك بين سنتي 330 و323ق.م. وعاش في القرن الثالث قبل الميلاد. أحد كتبه يبحث في بدايات الحياة البشرية والخليقة، ويتضمن وصفًا للبيئة الجغرافية والنباتات في بلاد بابل، وكتاب آخر يتضمن أسماء الملوك الذين حكموا بعد نبوخذ نصّر.

(2) في كتاب جورج سميث (George Smith) المتوفى تحت عنوان «رواية الخوالد عن سفر التكوين»، في فصله الثالث، في الصفحة 37، قد استخرج من مقتطفات كوري (Cory) معظم الكتابات اليونانية التي تشير إلى الأساطير الأولى، والاستعمار الأول في بابل، وقارنها بطريقة مملة بعض الشيء بالتقاليد المحفوظة في النقوش المسمارية. إن روايته عن (آيا) أو (أوانيس) غير مرضية بأي شكل من الأشكال، ولا تضيف شيئًا إلى ما نشرته حول هذا الموضوع منذ اثنين وعشرين عامًا في المجلد الأول لـ (رولنسون) تحت عنوان (هيرودوت) ص 599 وكانت الرغبة الكبرى هي إيجاد الكتابة المسمارية الأصلية للكلمة اليونانية Ὥαννης، ولكن حتى يومنا الحالي لم يفض بحثنا إلى النجاح. ولو ثبت أن تخمين لينورمانت (Lenormant) أن 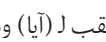 تمتلك القوة ذاتها لاسم خان (khan)، أي الاسم الأكادي للسمكة khanna؛ لكنا أجرينا مقارنة بين لـ 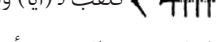 كلقب لـ (آيا) وبين (أوانيس)؛ لكن الدلائل كافةً تشير إلى أن 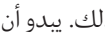 مشابهة للفظ (نان)، ولا شيء غير ذلك. يبدو أن الاسم الأصلي لـ (آيا) كان 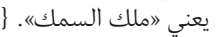 (أدو نونا)، الذي قد يعني «ملك السمك». {انظر B.M.I.، المجلد 2، ص 31، رقم 2، وهو تعليق اشتقاقي حول النص الأكادي لجزء لم يتم تعويضه من لوح «الانهيار»، وأجزاء أخرى من التعليق ذاته تشير إلى النص الذي نُشِرَ من لوح «الانهيار»، متضمنة في B.M.I.، المجلد 5، أصبح جاهزًا تقريبًا ليتم إصداره}. (هامش الأرشيف البريطاني).

الكثيرة التي سيرد تفصيل لها في سياق هذه الملاحظات، أعتقد أنهم كانوا من العرق الداكن، أسلاف «السود» المذكورين في النقوش، وقد يكونوا الآدميين ذاتهم في سفر التكوين. من الواضح أنهم لم ينتموا إلى ما هو معروف بالعائلة الساميّة للأمم، فبالكاد نجد اسمًا في علم الأساطير أو علم الجغرافيا في المنطقة يمكن أن يُرَدَّ إلى جذور عبرية أو عربية[1]. يبدو أنها كانت من العرق نفسه، وذلك يظهر استنادًا إلى لغتهم -الأكاديون في بابل. ويمكن الاعتقاد أنهم يردون ثقافتهم الأولى إلى موقعهم على خط التجارة الأكبر بين الشرق والغرب. بالفعل، لطالما أدت التجارة إلى شحذ الذكاء، وشقت الطريق أولًا إلى التحضر؛ وهذه هي المؤثرات ذاتها التي وضعت الفينيقيين فيما بعد على رأس التقدم الأوروبي، ولذلك يمكن الافتراض أنهم في فجر التاريخ، كانوا يعملون في الخليج الفارسي.

وهنا يمكنني أن أرى أن أسباب تمركز الأسواق التجارية بين الهند والبحر الأبيض المتوسط في الخليج الفارسي بدلًا من الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، أو في البحر الأحمر، منذ القدم، وحتى عهد اسكندر، هي التالي: أولًا، لم يتجرأ البحارة في نشأة الملاحة البحرية من العبور مباشرة عن طريق المحيط الهندي من ساحل المَلبار (Malabar) إلى عدن، بل كانوا مجبرين على الزحف على طول الشاطئ من مدخل الهند إلى مدخل الخليج الفارسي؛ ثانيًا، إن الخليج الفارسي، بتنوع الرياح التي تهب فيه، لطالما كان البحر الأكثر ملاءمةً للملاحة من البحر الأحمر الذي يبدو على شكل قمع، وتعصف الرياح به في اتجاه واحد لمدة تسعة أشهر

(1) إنه بالطبع من الصعب في بعض الحالات التحديد ما إذا كان اسم الأكاديين، أو الآشوريين الذين يشتق اسمهم من اسم علم، هو الشكل الأصلي للاسم. فعلى سبيل المثال، الأرواح الشريرة، أصحاب (أوانيس)، الذين يدعون أبيدينوس (Abydenus) {تبعًا لـ (بيروسوس) Ἐυἰδωκος و Ἐν-ευγάμος، تظهر في النقوش على شكل Egimu و Vadukku بالآشورية، ولكنها Gigim ، و Vaduk بالأكادية، وهي أشكال متفاوتة للقب نفسه، وقد تكون إشارة إلى «المهاجمين» و«المدمرين»، ويمكنني أن أضيف أن Ἐνά-βουλος قد تكون Ana-gallú {غِول بالعربية «المدمرون»}، ويتم استبدال اللفظ الشفاهي كالعادة باللفظ الحلقي الأجش، و Ἀνώ-δαφος يمكن أن تكون هي Ana-rabṣú، «الجاثمين»، ويمكن استبدال الأحرف d، rg. وبهذا الشكل، Ανήμενος يكون الوحيد بين الألفاظ الخمسة غير المحددة لـ (بيروسوس).

من دون انقطاع، وبالاتجاه الآخر لمدة ثلاثة أشهر أخرى؛ أما ثالثًا، إن وادي الفرات، والجهة الشمالية من الجزيرة العربية {على طول درب القوافل، من جِرَّة إلى تدمر مثلًا}، منحت التنقل الداخلي إلى الغرب تسهيلات أكبر من الطريق ذي المناخ الحار غير المجرب في وسط شبه الجزيرة. وبناءً عليه؛ ونظرًا لهذه الأسباب مجتمعة، حافظت ملوخا، ومجان، وأوفير (Ophir)، وجِرَّة، على هيمنتها التجارية، وقد خلفتها لاحقًا «سيراف»، و«قيس»، وكذلك «هرمز»، والبصرة.

وبعد أن أبديت رأيي بالأوضاع [التاريخية] السابقة في الخليج الفارسي بشكل عام، أغوص الآن في التفاصيل، مستندًا بشكل أساس على نقوش الإمبراطورية الآشورية والبابلية، وذلك بهدف الحصول على تفسير وافٍ للموضوع. ولا شك في أن أقدم مصدر متاح للمعلومات هو علم الأساطير البابلي. وينتابني شك قوي في أن عبادة (آيا) أو (أوانيس) التي جاءت من الخليج الفارسي، كانت في الأساس مختلفة عن عبادة الإلهين الآخرين من الثالوث، (آنو) و(بل)، وقد تكون عقيدة (آنو) محلية النشأة، في حين أن عقيدة (بل) تم اقتباسها من متسلقي الجبال الشرقيين، ويبقى 𒀭𒌓 أو ***Sadu rabu,*** «الجبل العظيم»، الذي يتم التحدث عنه دائمًا على أنه «والد (بل)»، وهو ***Kibir Koh,*** ، الحديث، أو المجال الخارجي لـ (زاغروس) -اسم يمتلك الدلالة نفسها[1]. وسواءً أكان من الممكن الحفاظ على

(1) للاطلاع على «الجبل العظيم»، ووالد (بل) أو (إيلو)، الإله الثاني من آلهة الثالوث، انظر B.M.I. المجلد 4، 18، 14؛ المجلد 4، 23، 30؛ المجلد 4، 27، 17؛ المجلد 4، 60، 23؛ ومكتشفات (سميث)، صفحة 392، الخط السابع. إن هذه السمة الرائعة لعلم الأساطير البابلي أُطلق عليه اسم ***Im-kharris*** في إحدى الفقرات {المجلد 4، 27، 17}، أو تلة الجنة، ووصفه كان أن «رأسه يصل إلى الجنة، في حين أن قاعدته تلامس ***abṣu,***»، وإن كان ذلك يمتلك أي دلالة جغرافية، فإنها تناسب ***Kibir-koh,*** ، الذي تمتد قاعدته إلى بحيرة طيب العظيمة. لقد كنت لبعض الوقت أعتقد أن ***Sadu rabu*** ، أو «الجبل العظيم» لـ (بل) هو تلة نفر الكبيرة، التي كانت المدينة الخاصة بـ (بل) على وجه التحديد؛ وحيث كانت الزقورة [أهرام رافدية في بلاد ما بين النهرين]، أو البرج يدعى ***Bit-Im-Kharris,*** ، «منزل تلة الجنة»، ولكن توصلت من خلال المزيد من الأبحاث إلى أن «الجبل العظيم» يمتلك تواجدًا ماديًّا فعليًّا، على الرغم من أن ذكره غالبًا ما يأتي في الأساطير {على غرار B.M.I.، المجلد 4، 60، 23، حيث يذكر اسم نيدوكي ***Nidukki*** ، أو البحرين بين قوسين}، ولذلك أقترح، بشكل مؤقت، أن يكون ***Kibir-koh*** النموذج الحديث له. ولا شك في أن ***sadu rabu,*** ، «والد (بل)» مختلف عن

هذا الاختلاف أم لم يكن، فإن ذلك لا يؤثر بشكل كبير على رسالتي الحالية التي تقتصر على (آيا) وموطنه في المحيط. أفضل ما يعرف به [(آيا)] هو سيد 𒀊𒍪𒌨 Abṣú أو «الهاوية»، وهو اسم عادةً ما يستخدم في إطار أسطوري للدلالة على «المياه تحت الأرض» لدى اليهود، ولكنه يدل أيضًا على حقيقة جغرافية، وهو البحر الذي يدعى اليوم الخليج الفارسي، وعلى وجه التحديد، البحر الداخلي الكبير، الذي امتد، في فترات محددة من التاريخ، بشكل أو بآخر فوق الأرض المنخفضة المتداخلة بين الشاطئ المطل على المياه الماحلة والأرض المرتفعة أسفل سفح الجبل. ولا أستطيع أن أشرح كيف أصبحت «المدينة المباركة» أو إريدو -المكان الرئيس لعبادة (آيا)، الذي يتمثل بخربة طيب، ويبعد اليوم أكثر من 200 ميل عن الساحل البحري- يدعى «منزل» 𒆠𒊭𒂗𒆠[1]؛ أو كيفية انطلاق السفينة المذكورة في الرواية الكلدانية حول الطوفان نحو 𒀊𒍪𒌨 Abṣú من مدينة Surripak [تل فارة في منطقة القادسية] {قد تكون بالقرب من الحويزة الحديثة}، حيث بناها اكسيسوثروس (Xisuthrus)[2]. أما الموقع الثالث لـ «إله الماء»، أو 𒀭𒀭𒀭𒆠 (آيا)، كان في 𒆳𒆳𒀀 خالخا (Khalkha)، وأعتقد أنها كانت جزيرة في

---

Sadu-rabu-matáti أو Kharris-gal-kurkurra ، الذي يصر الباحثين الآشوريين تقريبًا، باستثناء (سميث)، على اعتباره أوليمبوس الشرقي حتى وقتنا الحالي، ولكن في الواقع، لم يكن سوى معبد وطني كبير في آشور {أو Kilch Shergát }، مع مقبرة كبيرة ملحقة بها، mat aralli في كتاب بوتا (Botta)، السطر 153، 1. 12، و 𒀭𒀭𒀭𒆠 من كتابB.M.I. المجلد 1، ص 32، 32. كان (بل) يدعى، في بعض الأحيان، «الجبل العظيم» نفسه، وكان يُعبد إلى جانب الآلهة الآخرين في معبد Sadu-rabu-matáti المشهور في آشور. انظر كتاب (بوتا)، ص 131، 1. 19. (هامش الأرشيف البريطاني)

(1) انظر B.M.I.، المجلد 4، ص 45، 1. 35. وفي الفقرة نفسها، 𒆠𒊭𒂗𒆠 التسمية الأكادية لـ abṣú، ، تُفَسَّر على أنها «بيت المعرفة»، Bit-nimiki ، ولا شك أن في ذلك إشارة إلى المستعمرين البدائيين الذين أتوا من الخليج الفارسي. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) انظر العمود 1، 1. 27 من لوح الطوفان. أصف (سوريباك) على أنها أرض داخلية لأن أيًّا من التاريخ القديم أو الحديث لا يظهر بناء مدينة على ساحل البحر عند فوهة نهر قديم كالفرات، ببساطة لأن موقعًا كهذا من شأنه أن يؤدي إلى دفن المدينة تحت الرواسب الطمية في غضون عدد من السنين. (سوريباك) مذكورة بقدم Khammuragas، نحو 1500 ق. م.، ولكن لم تذكر بعد ذلك. انظر: «تاريخ بابل القديم» لـ (سميث)، Journ. Of Sec. of Bib.، الأرشيف، المجلد 1، ص 59، غير أن الاسم مذكور بشكله الأكادي Mairu (Mazu). (هامش الأرشيف البريطاني).

الخليج لأن هذا الاسم لم يذكر أبدًا في روايات الحملات العسكرية الآشورية، وبالتالي أجرؤ على مقارنتها بـ «خارك». وأظن أن الاسم الأخير يُعرف بـ Ἀράκια لـ (بطليموس)، قبالة الساحل الفارسي، Aracia لپليني، في حين أن المؤلف الثاني أضاف وصفًا مميزًا مفاده: « præalto, Neptuno sacra cum monte »[1].

ونظرًا لأن الأبجدية الفارسية دائمًا ما تستبدل فيها حرف «آر» r بحرف «أل» l، لذلك خارك تصبح بطبيعة الحال خالاك أو خالكا بالبابلية، وهو اسم يطلق على عرش الإله (آيا) في B.M.I. المجلد 2، ص 60، 1. 22، وهذه الملاحظة تؤكدها الجملة الآتية 𒀭𒆳𒁀𒀀𒆠𒀭𒊑𒆠 «السيد بل، ملك خالاك»، الموجودة ضمن ألقاب (آيا) على كسرة غير معروضة في المتحف البريطاني. أما رواية ياقوت [الحموي] حول «خارك»، فمثيرة للاهتمام، هو يقول «إنها جزيرة في الخليج الفارسي {البحر الفارسي}، تبدو كجبل شاهق {« monte præalto »} لـ (پليني)، والارتفاع هو فعلًا 280 قدمًا} في وسط البحر. وعندما تغادر إحدى السفن «عبدان» عند {فوهة نهر الفرات} باتجاه عُمان، وفي حال كانت الرياح جيدة، ستصل إلى «خارك» في نهار وليلة. وتعتبر [الجزيرة] إحدى ملحقات فارس، وتقع في البحر مقابل Janndbeh وMihruyan، ويظهر الموقع من الموقع الآخر بصورة جيدة، في حين أن الجبال الداخلية دائمًا ما تكون واضحة من الجزيرة. غالبًا ما قمت بزيارات إلى ذلك المكان، ووجدت قبرًا يحج إليه الناس ويقدمون العهود، ويدّعي سكان الجزيرة أنه قبر محمد ابن الحنفية، على الرغم من أن ذلك منافٍ للتاريخ».

(1) B.M.I.، المجلد 2، ص 60، 1. 21. يدعو بطليموس Aracia جزيرة (اسكندر)، ولكن السبب غير معروف. جزيرة Tabiana في الجوار سميت نسبة لنهر طيب، Ταόκη تمثل بالطبع تۆک الفرس. أما قصر الأخميديين Taoce، الذي ذكره (سترابو) ربما كان في قرية «دالكي» الحديثة، حيث يوجد تلة مرتفعة يبدو عليها القِدم. ولكن أكثر الأماكن التي يُرجى خيرها في عملية التنقيب هو ذلك الجزء من فارس في قرية «هنديجان» على ضفة نهر طيب، حيث يقول الرحالة مُسعر بن المهلهل أن في زمنه {القرن العاشر} «آثار رائعة، ومبانٍ مذهلة، نقبوا فيها عن كنوز مدفونة كما يفعلون في مصر، إضافةً إلى معابد مبنية بحرفية ساحرة و Pyræa.». الأنقاض ما زالت موجودة، بحسب ما سمعت، بين ضفتي النهر على بعد مسافة جنوب Bebuhan.

أعتقد الآن أنه من الممكن، نظرًا إلى استمرارية الأعراف الواضحة في الشرق -أي الحج إلى ضريح وهمي- قد يكون أثرًا لعبادة (آيا) القديمة للبحارة. لا شك من وجود معبد كهف بدائي في الوقت الحالي في وسط جزيرة «خارك»، يحمل علامات العصر القديم جدًّا، على الرغم من أن آثار صليب، ومخطوطات سورية شبه ممحية، تظهر أنه لا بد من أن يكون قد استخدم في وقتٍ لاحقٍ كدير مسيحي. وعادةً ما كان المعلقون الجغرافيون سعداء لتعريف «خارك» على أنها "Ικαρος" أو 'Ιχάρα' الخاصة باليونانيين، حيث كان هناك ضريحٌ لأپولو (Apollo)، وديانا (Diana)، غير أن المقاسات غير مناسبة تمامًا. لقد وجد أرخياس(Archias) -الضابط الاستكشافي الأول الذي أرسله الملك من بابل- إيكاروس (Icarus) الذي منحه (الاسكندر) هذا الاسم، فيكون بذلك بعيدًا عشرة أميال، أو اثنا عشر ميلًا من فوهة نهر الفرات؛ أما دليل (أندروستينس)، الذي أجرى دراسة في وقتٍ لاحق، فيظهر أيضًا أنه كان قريبًا من الساحل العربي[1]. من المحتمل أن تكون الأرض الجديدة لجزيرة بوبيان، التي تشكلت جراء الرواسب الطمية المستمرة، قد امتصته؛ لذا فإنه لا فائدة من البحث عن الموقع.

وما يثير المزيد من الاهتمام لدى الإشارة إلى مسار التقدم الذي اعتمدته الجالية الطورانية البدائية للاقتراب من الفرات، الانتباه إلى أن نيارخوس (Nearchus) مر بجزيرة أخرى مقدسة بالنسبة إلى نپتون (Neptune) {(آيا) أو (أوانيس)}، في أقصى الشرق بعيدة ببعد Oaracta، أو «قشم»[2]، وبالتالي تكون نتيجة

(1) (فينسنت) في كتابه «تجارة الأسلاف وملاحتهم»، المجلد 1، ص 522، أثبت أن (أرخياس) زار (إيكاروس) لدى جزيرة فيلكا مقابل ميناء القرين، ولكنه يعترف أن المسافة غير متطابقة؛ في حين أنه يعتقد أن إشارة بطليموس هي لجزيرة مختلفة، وإحدى مجموعة جزر البحرين. وعندما نستعرض الامتداد الشاسع للأراضي الجديدة التي تشكلت عند فوهة نهر الفرات، ويبلغ طولها على الأقل خمسين ميلًا، في عهد (الاسكندر)، يجب أن يكون واضحًا أنه من المستحيل إثبات المقاسات اليونانية لدى مقارنتها بالمسافات الحديثة. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) يفترض (فينسنت) أن جزيرة (نپتون) التي ذكرها (نيارخوس)، هي ممزر، أو كما تدعى الآن «هينجام»؛ ولكن ممزر، أو أرغان، هي حتمًا Organa، وأعتقد أن جزيرة (نپتون)، التي يمكن رؤيتها منها في عرض البحر، لا يمكن سوى أن تكون طنب الكبرى. ويجب أن تذكروا أن أرجان، أو «هينجام» حيث نمتلك اليوم محطة تلجراف، هي تمامًا على خط الملاحة على طول الخليج وبالقرب من «قشم»، وبالتالي من المستحيل وصفها على أنها «جزيرة في عرض البحر». (هامش الأرشيف البريطاني).

الاستدلال على الشكل الآتي؛ أن المهاجرين الأوائل حضروا من المحيط الهندي، ولكن لا يمكن الجزم ما إذا حضروا من الهند تحديدًا، أو من مصر عبر البحر الأحمر والساحل الجنوبي للجزيرة العربية. من جهة، يوجد تقليد ملحوظ ادّخره ديودورس (Diodorus) يفيد أن «بيلوس (Bellus)، ابن (نپتون)؛ أي (مردوخ) ابن (آيا) قاد جالية من مصر إلى منطقة بابل، ورسخ موقعه على ضفة نهر الفرات، وقدَّس الكهنة الذين يطلق عليهم البابليون اسم الكلدانيين، وهم من يراقبون حركة النجوم محاكاةً للكهنة والمنجمين في مصر»[1].

أما من جهة أخرى، يجب أن تلحظوا أن التقليد المحلي، الذي ادخره أحد Semironius بابل، واقتبس عنه مؤلف (Paschal Chronicle)[2]، والوصف الذي قدمه مدرس علم الفلك البدائي المشهور لدى البابليين على أنه أندوباريوس (Andubarius) الهندي؛ وهذا الاسم آندوبار(Andubar) ينطبق على الشخصية الأسطورية التي عادةً ما يطلق عليها العلماء الآشوريون اسم إيزدوبار (Izdubar)، الذي ولَّدت مغامراته -ترجمها (جورج سميث)- مؤخرًا الكثير من الاهتمام بين الطلاب الشرقيين والإنجيليين[3]. نجد في المكون الأول لهذا الاسم، 𒀭𒌍𒁺، 𒀭𒁺 (آنو)، أحد الآلهة، وثانيًا، (دوبار)، {أو طُبار باللغة العربية، وهو أحد أنواع شجر النخيل}، تسبقها الكلمة التعريفية لـ

---

(1) انظر مكتبة (ديودورس) الصقلي، المجلد الأول، التعليق رقم 2 وتبين لي أيضًا أن لقب **μυσαρὸς**، الذي أطلقه بيروسوس (Berosus) على (أوانيس)، ونظرًا لأنه لم يُحدد بعد، قد يمثل اللقب العرقي **Muṣāri**، أو مصري، في إشارة إلى جنسية الجالية البدائية. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) حقبة زمنية كتبت في العام 630 ميلادي تقريبًا، وتعتبر مصدرًا مهمًّا للمعلومات حول الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت، ولكن في فترات سابقة، كانت تركز على التاريخ اليهودي. كما تتضمن لائحة عن القناصل الرومانيين.

(3) سأقوم بترجمة هذه الفقرة الغريبة، متحدثًا عنها بالتفصيل: **Ἐν τοῖς χρόνοις τῆς πυργοποιίας ἐκ τοῦ γένους τοῦ Ἀρφαξὰδ ἀνήρ τις Ἰνδὸς ἀνεφάνη σοφὸς ἀστρονόμος ὀνόματι Ἀνδουβάριος, ὃς καὶ συνεγράψατο πρῶτος Ἰνδοῖς ἀστρονομίαν.**

-Paschal Chronicle.، طبعة ديندورف (Dindorf)، المجلد الأول، ص 64.

على الرغم مما يقال إن (أندوبار) هو من عَلَّمَ الهنود، إلا أن الفصل المنسوخ كاملًا من Semironius مرتبط بالتقاليد البابلية، واسم أرفخشد (Arphaxad)، الذي كان الوالد المفترض للكلدانيين، يشير إلى الشيء نفسه. كانت تسمية المعلمين تيمنًا بالأشجار أمرًا شائعًا، وبالتالي سمي معلم أرواح الموتى «بوذا» أو «شجرة البطم». (هامش الأرشيف البريطاني).

«خشب»، التي لا تلفظ كالعادة. وكما أشرت منذ فترة طويلة، فإن (أندوبار) هو تشخيص الشمس؛ وهذا التعريف تم تأكيده في الترنيمة التي ترجمها (سميث) {مكتشفات، ص 394}، حيث تنطبق الصفات الشمسية جميعها، «قاضي البشرية،...إلخ» على البطل موضوع الحديث؛ أمام قاطع الترنيمة الاثنتي العشرة الخاصة به، فهي تُصَوِّرُ أقسام دائرة البروج الاثني عشر، وبالتالي من الممكن أن تعتبر مدخلًا معروفًا إلى علم الفلك. وثمة قول شائع بين أهالي Sowad في أثناء الغزو العربي، ردده التقليديون القدامى من دون أن يفهموه، وهو أن نفر (Niffer) هي بابل الأصلية، وأن المدائن كانت قطيسفون، وأن Abillah {ميناء المدخل عند فوهة نهر الفرات} كانت من ملحقات الهند؛ ويبدو أن هذا الارتباط بين الاسمين يشير إلى الهجرة الأصلية[1].

لكن عبادة (آيا) أو (نپتون) لم تكن العقيدة الوحيدة التي أدخلها السود إلى بابل. وكان الخليج الفارسي معروف على حد سواء بعبادة الشمس، وبعبادة أقرب ملحقاتها، كوكب عطارد الذي كانت عبادته هي التي ترتبط بها اكتشافات البحرين بشكل مباشر. أما في ما يتعلق بعبادة الشمس، فيمكنني أن أشير أولًا إلى تقرير ضباط (الاسكندر) الذي يفيد أن جزيرة (إيكاروس) في الجزء الشمالي من الخليج الفارسي، كانت مقدسة بالنسبة لأپولو (Apollo) وديانا (Diana)، وثانيًا أشير إلى ما ذكره (بطليموس) حول Ἱερα ἡλίου ἄκρα على الساحل العربي باتجاه الجنوب، في حين أنه بالنسبة إلى دليل الكتابة المسمارية، يمكنني أن أشير إلى أنه إلى جانب الكثير من الفقرات التي يبدو أنها تربط الشمس مباشرة بنيدوكي (Nidukki) أو البحرين[2]، يوجد السلسلة الكاملة للمغامرات التي

(1) (ياقوت) في «مدخل إلى نفر». (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) انظر: كتاب B.M.I. المجلد الرابع، ص 60، العمود الأول، الأسطر 23، 24، 26، و38؛ ليس من المستحيل سوى أن 𒀭𒌓𒆠 الذي لا شك في أنه كان أحد آلهة نيدوكي، قد يكون شكلًا من أشكال إله الشمس، إذ إنه مرتبط بـ Bisciba، وهو اسم آخر للشمس، في B.M.I. المجلد الثاني، ص 69، السطرين 66، 67. (هامش الأرشيف البريطاني).

خاضها (إيزدوبار) {أو ما يصح أن يقال له (أندوبار) الهندي}. وبانتمائه [أندوبار] إلى فترة الاستعمار البابلي الأولي، فإنه يمثل، بلا شك، الأسطورة الشمسية، وبالتالي يمكن أن يُعتبر إشارة إلى الإيمان الأساس. أما في ما يتعلق بعطارد، فإن الدليل أكثر أهمية ومباشرة.

إن المخطوطات الموجودة على الحجر الأسود الذي اكتشفه النقيب (ديوراند) في البحرين، تشكل بالفعل قاعدة العمل التي يستند عليها النقاش. إنها مكتوبة بما يُدعى عادةً البابلي الهيراطيقي، ويمكن أن يُترجم على الشكل الآتي: Hekal Rimugas, eri-Inzak Aqiru، أي «قصر ريموقاس (Rimugas)، خادم عطارد من قبيلة عقير». من الضروري الانتباه إلى أنه لا شك في أن اسم (ريموقاس) هو اشتقاق آكادي، فانتهاء الاسم بحرف S هو خاصية بارزة في الأسماء ما قبل السامية، في حين أن إنزاك (Inzak) تُذكر في جزء ثنائي اللغة على أنها الاسم الأكادي لـ (نيبو) أو عطارد، ويُعبد في 𒀭𒉌𒆠 أو البحرين[1]. ولكن كان ما يزال هناك إله آخر يُعبد في الخليج الفارسي، الذي ربما كان أكثر أهمية من أي ما ذُكر سابقًا. وكان اليونان في عهد (الاسكندر) يدعون هذا الإله بڤينوس (Venus)، وكانوا يربطونه بعطارد أو (إنزاك). وكانت تعرف زوجته [زوجة (إنزاك] في بابل باسم تاسميت (Tasmit)؛ ولكن في المخطوطات تدعى لخ آمون (Lakhamun)، 𒈬𒀀𒈾𒀭𒈬، وتُعرف بزيرو پانيت(Ziru-panit) التي كانت زوجة مردوخ، والإلهة الحارسة لبابل، وهذه حادثة أخرى عن الخلط نفسه بين زوجة مردوخ، وزوجة (نيبو) أو عطارد التي تتبين من الاسم پان نان (Pan-nun)، وهو الذي ينتمي، على حد سواء، إلى (زيرو پانيت) وإلى (تاسميت)[2]. واليوم لا يوجد الشكل المحدد لـ (لخ آمون) في أي فقرة أخرى

(1) قارن بين B.M.I.، المجلد الثاني، ص 54، 166، التي استعيدت من نسخة ثانية، وبين B.M.I.، المجلد الثاني، ص 60، 130(هامش الأرشيف البريطاني).

(2) أقتبس الفقرات المتعددة الآتية لصالح الطلاب الآشوريين، التي تتكرر فيها هذه القراءات المتكافئة:
أ. 𒈬𒀀𒈾𒀭𒈬 = 𒀭𒉌𒆠.𒈬𒀀𒈾𒀭𒈬، (لـخ آمـون) = (زيـرو پانيـت) في

من المخطوطات ما عدا تلك التي تمنح هذا الاسم إلى (ڤينوس) البحرين، وهي حالة، أقل ما يقال عنها إنها ملحوظة، نظرًا إلى اتساع اللوائح[1] الأسطورية واكتمالها، في حين أن اسم (لخ آمو)، الذي هو مطابق تقريبًا لـ «الأم العظيمة»، أو «المبدأ الأنثوي للطبيعة» في تكراره، وكما هو واضح من لوائح الخلق، ومصادر أخرى، إنه يناسب تمامًا (زيرو پانيت) من نيدوكي.

وعندئذٍ أميل إلى الاعتقاد أن (لخ آمو) و(لخ آمون) هما شكلان لاسم واحد، وأن الإلهة الحارسة للبحرين كانت في الواقع الإلهة ذاتها التي كانت تعبد في بابل في العهد اللاحق تحت أشكال ثلاثة على الأقل، أي (زيرو پانيت) زوجة مردوخ؛ و(تاسميت) زوجة (نيبو)؛ وجولا (Gula)، زوجة نينيب (Ninip)، وهو هرقل (Hercules) الآشوري. وعلى أي حال، فإن صفات (جولا)[2]، التي يذكر اسمها

---

نيدوكي، B.M.I.، المجلد الثاني، ص54، 158، استعيدت من نسخة ثانية. 𒀭𒆠𒈬𒀭𒈾 أو 𒀭𒆠𒈬𒀭𒈾𒀀، أي لخ آما (Lakhama) أو لخ آمو (Lakhamu)، «لمبدأ الأنثوي للطبيعة» {مثل أناتا (Anata) زوجة (آنو)}، B.M.I.، المجلد الثاني، ص 54، 19، المجلد الثالث،ص 59، 115، ولوح الخلق، 110؛ ب. 𒀭𒆠𒈬𒀭𒈾 (پان نان) وهي حاشية 𒀭𒆠𒈬𒀭𒈾𒀀 (تاسميت)، B.M.I.، المجلد الثاني، ص 48، 139، ولكن𒀭𒆠𒈬𒀭𒈾 𒀭𒆠𒈬𒀭𒈾 «(پان نان) {النهر العظيم} في الجنة وعلى الأرض» فهو اسم (زيرو پانيت)، B.M.I.، المجلد الثاني، ص 54، 154، استعيدت من نسخة ثانية، ويمكن أن تنطبق على الإلهة نفسها التي تعتبر زوجة مردوخ، B.M.I.، المجلد الرابع، ص 21، 152؛ في حين أنه في لائحة غير منشورة «(پان نان) في الجنة وعلى الأرض» هي زوجة 𒀭𒆠𒈬𒀭𒈾 . 𒀭𒆠𒈬𒀭𒈾 أو 𒀭𒆠𒈬𒀭𒈾 «معلن الحظ الجيد»، الذي لم يكن سوى شكل آخر من أشكال (نيبو)، أو عطارد انظر B.M.I.، المجلد الثالث، ص 66، العمود 3، 130، والعمود 7، 129، وB.M.I. المجلد الرابع، ص 59، 143(هامش الأرشيف البريطاني).

(1) في حال كانت (لخ آمون) قراءة أصلية، فيمكن تفسيرها على أنها «رسول آمون» {𒀭𒆠𒈬𒀭𒈾 = *lakh sukkal*}، ويبدو أنها مستوحاة من مصر على سبيل المثال Huras، Bar، Parra، وغيرها من الأسماء المشتركة بين آلهة المصريين والبابليين؛ ولكنني لا أجرؤ على التعميم بناءً على مثال واحد. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) يبدو أن لا حاجة إلى الكثير من المراجع. (جولا) مرتبطة مع 𒀭𒆠𒈬𒀭𒈾 (لخمو) {ليتم تمييزها عن (لخ آمو)}، بحسب الظاهر رجل وزوجته، على قطعة في المتحف تقدم لائحة كاملة من الآلهة، ولم تنشر حتى الآن. أما بالنسبة إلى لقبها «الأم العظيمة للسود»، انظر B.M.I.، المجلد الرابع، ص 61، 127، وهي مرتبطة مع 𒀭𒆠𒈬𒀭𒈾 أو (نينيپ)، شريكها المعتاد، سواء أكان باسمه الخاص، أو الشكل الآخر من الاسم 𒀭𒆠𒈬𒀭𒈾 دامو (Damu). إن لقبها الأكثر شيوعًا هو سيدة Nisinna أو «خارك»، التي هي ربما المكان نفسه كـ Karaka الموجودة في لائحة (داريوس)، و Charax المذكورة في الجغرافيات اللاحقة {المحمرة الحديثة، بالقرب من فوهة نهر الفرات}، انظر B.M.I.،

في اللوائح العامة بين قوسين تحت مسمى (لخ آمو)، المبدأ الذكوري للطبيعة، تنطبق تمامًا على إلهة البحرين؛ إذ إنها أولًا، «الأم العظيمة { ummu alidat }، أو «الأم»} للسود، وثانيًا، «ملكة خارك»، و«هي من تبارك المدفن» {abrikkat aralli}، وثالثًا، هي «ملكة الحياة»، و«هي من تبعث الموتى»، وفي الواقع، إنها سيدة البعث، وبالتالي، هي الإلهة التي يرغب «السود» أو الإريتريون في أن يدفنوا، بطبيعة الحال، حول ضريحها؛ على غرار ما يرغبه أبناء الطوائف الفارسية في أن يدفنوا في كربلاء وفي النجف ليس احترامًا فقط لقبور الأئمة الشهداء، بقدر ما هو بسبب أن يوم القيامة سيكون في وادي السلام وفق ما هو متوقع تقليديًّا، في جوار تلك المنطقة مباشرةً.

وفي حالة مشابهة، يمكنني أن أضيف أن سبب تعدد المدافن القديمة في وركاء أو أوروك، هو صيت ضريح عشتار المجاور، التي من المفترض أنها أيضًا ترأس البعث، بصفتها ممثلًا آخر للطاقة المنتجة في الطبيعة؛ وهنا، يصبح من الضروري النظر في المسألة الجغرافية العامة المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمسألة الأسطورية، التي تفيد أن الأولى [المسألة الجغرافية] تكون مبهمة من دون امتلاك معرفة وافية للأخيرة [المسألة الأسطورة].

ولذلك فليكن معلومًا أنه في الألواح الآشورية كافةً، من العصر الأقدم إلى الأخير، ثمة إشارة دائمة إلى جزيرة تدعى 𒆳𒂗𒍪 نيدوكي في الأكادية، و 𒉌𒆠𒈾 تيلڤون (Tilvun) أو تيلمون (Tilmun) في الآشورية[1]، وأن

---

المجلد الثاني، الصفحة 51، 134، وقارن بين B.M.I. المجلد الرابع، ص 63، السطرين 15 و 21 أما بالنسبة للقبها Nupaltidat miti «هي من تعيد الموتى إلى الحياة»، انظر B.M.I. المجلد الرابع، ص 19، 18، وB.M.I.، المجلد الثاني، ص 39، 131، وص 62، 115وفي الفقرات المتعددة التي يُقتبس عنها فيها، من الواضح أنها كانت تعتبر محكمة الحياة والموت، انظر حجر ميشو (Michaux)، العمود 4، 15، B.M.I.، المجلد الثالث، الصفحة 41، 129، وص43، العمود 4، 115يجب أن نعترف بعدم وجود أي دليل يربط (جولا) مباشرة بنيدوكي أو البحرين، على الرغم من أنه مؤكد بشكل محتمل أن عبادتها كانت سائدة جدًّا في الخليج الفارسي. (هامش الأرشيف البريطاني).

(1) قد يكون معنى الاسم الأكادي، نيدوكي، إما «امتلاك الهياكل» أو «امتلاك إله»، نظرًا لأن الحرف يُستخدم كعلامة للأحرف الأولى من الاسم 𒀭𒆠 ، تمتلك الدلالتين، وكلا هذين المعنيين يمكن

هذا الاسم، الذي ينطبق على البحرين من دون أي شك، غالبًا ما يقترن بالاسمين الآخرين، ملوخا ومجان (Magan أو Makkan)، ويمكن أن الافترض يقينًا، أن الأماكن الثلاث موجودة في المنطقة نفسها. والآن ملوخا ومجان، اللذان يعنيان، ببساطة، «أعلى» و«أسفل»، يعرفهما علماء الآشوريات بشكل أفضل من خلال إسقاطهما على مصر، أي في إشارتهم إلى «الدولة السفلى والعليا» أو مصر في الرقم المزدوج. إن مسألة نقاش ما إذا كانت ملوخا ومجان المصريتان هما ليبيا وسيناء، هو أمر غير ذي صلة بحجتي الحالية، بحسب ما اقترحه لينورمانت (Lenormant)[1]، في حين أنه يبدو مقبولًا لدى (أوپيرت)، وحتى لدى سيس (Sayce)، أو ما إذا كان الاسمان يشيران إلى الدولة العليا في مصر والدلتا بحسب ما أعتقد.

وما يتوجب عليَّ فعله هنا هو أن أظهر أنه كان يوجد ملوخا ومجان شرقيتين وغربيتين أيضًا، وأن الاسمين في الجغرافيا الشرقية يشيران إلى ميناءين في الخليج الفارسي، ولا بد من أن تكون متاخمة للبحرين[2]. وأتابع حديثي موجزًا

---

أن يكون مناسبًا للسمة المقدسة للجزيرة. ولكن من الصعب إيجاد دلالة مشابهة للمرادف الآشوري (تيلڤون) أو (تيلمون)، في حال كان الأمر مقتصرًا على الاشتقاق السامي. غير أنه من المحتمل أن يكون الاسم (تيلمون) اسمًا وكيلًا، حيث تعتبر (تيل) رديفًا لـ (تيلا)، وهو المسمى الطوراني لآكاد(Akkad) «الأراضي المرتفعة»، أما (مان)، فقد فسرها دابتو (dabtu) في الأبجدية المقطعة 156 على أنها «إحسان أو نعمة»، فيكون بذلك معنى الاسم «التلة المباركة» أو ربما «الجزيرة المباركة». (هامش الأرشيف البريطاني).

(1) انظر يوميات جمعية علم الآثار التوراتي، المجلد السادس، ص 348، و399 أرى أن (أم. لينورمانت) ينسب الفضل إلى البروفيسور جولز أوپيرت (Jules Oppert) في التعريف الأساسل ملوخا على أنه Μερόη الخاص باليونانيين، ولكن أعتقد أن هذا غير صحيح. لقد ظهرت «الرسومات التوضيحية للتاريخ المصري من خلال المخطوطات المسمارية» الخاصة بي في المجلد السابع من السلسلة الجديدة لـ «معاملات الجمعية الملكية للأدب» {شباط/ فبراير 1861}، وذلك قبل فترة طويلة من نشر (أم. أوپيرت) أي شيء حول هذا الموضوع. ويمكن أن تجدوا في تلك الورقة معظم تعريفات الأسماء المصرية التاريخية والجغرافية، إلى جانب الاقتراحات المتعلقة بـ Meroc، وهي التي يعتبرها بوغش (Bugsch) إحدى أكثر المكتشفات المثيرة للاهتمام في ذلك العصر. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) في حال أكدت التقاليد على وجود استعمار قديم جدًّا لمصر في بابل، فيمكننا أن نفترض أن الاسمين ملوخا ومجان قد أُدخلا إلى الخليج الفارسي عن طريق المهاجرين الأصليين من البحر الأحمر، وبالتالي

الدليل على هذا الأمر[1]. في اللوائح الجغرافية كافةً، إلى جانب تصنيف السفن والمنتجات، إن أسماء نيدوكي وملوخا ومجان مقرونة باتساق يستحيل تفسيره في حال كانت إحداها في الخليج الفارسي والأخرى في البحر الأبيض المتوسط. وبالفعل، لا يوجد أي سبب محتمل يعلل ورود أسماء مناطق مصرية بعيدة في

---

يمكن تبرير البحث عن اشتقاق في لهجات منطقة وادي النيل. اقترح (لينورمانت) في إحدى المرات وجود اشتقاق سامي مباشر لملوخا، وذلك من خلال مقارنتها بالكلمة العبرية כולח «ملح»، ومن الغريب أن مدينة جرّه بنيت بالفعل على كتل من الصخور الملحية، وبالتالي فإن الاسم، إذا كان اشتقاقه صحيحًا، سيكون مناسبًا تمامًا لتلك المنطقة؛ ولكن هذا التفسير لا يأخذ في عين الاعتبار الاختلاف بين مجان وملوخا ولذلك لا يمكنني أن أقبل به. ومع ذلك لا يمكنني أن أوافق على قراءة (لينورمانت) التالية لـ Keslukh {كسلوحيم التوراتيون} بدلًا من ملوخا {يوميات الأرشيف التوراتي، المجلد السادس ص 402}. أُفَضِّلُ اشتقاق ملوخا من جذر يشبه עלה، على الرغم من أنه قد يكون مصريًّا وليس آشوريًّا. أما في ما يتعلق بـ (أوفير) و(أپيراك) اللتين تجرأت على اعتبارهما مرادفين لملوخا، فإن ذلك غير مؤكد. لا شك في أن Khupur ذكرت في B.M.I.، المجلد الثاني، ص 50، 151، على أنها مصطلح آكادي لـ «الأرض المرتفعة»؛ ولكنني أجد أنه من الصعب الاعتراف، مع (سيس)، أن هذا مجرد شكل معدل لـ (خفير)، أو أيپير (Aipir)، أو آپار (Apar) {إزرا 49}، وهو الاسم المتداول لسوسينس (Susians) أو عيلام، فالاسم الكامل للدولة التي سكنتها هاتان القبيلتان كانت خالتاپيرتي (Khaltapirti)، نقش الرستم، الشطر 117، {التي تبدو تقريبًا غير متغيرة في Χαλταπήτις الخاصة ببطليموس المجاورة لـ Κισσία }، والأشكال الأخرى لخالپيرتي(Khalpirti)، وخاپيرتي (Khapirti)، وخاپير (Khapir)، وأپار (Apar)، كانت مجرد تفكيك للاسم الأصلي. إضافة إلى ذلك، استمر الفساد في لاپيت (Lapet)، الاسم الذي كان يطلق على مدينة «الأهواز» عند الفتح العربي {Procop. Edit. Dindorf. المجلد الثاني، ص 504}. عندئذٍ أعتقد أنه من الأضمن عدم محاولة الربط لجهة الاشتقاق بين (أوفير) و(أپيراك)، و(أبير) السوسانية، ولكن لكي أكون راضيًا عندما أظهر أن المكانين -الأول هو الميناء الذي زارته أساطيل سليمان، المذكور في سفر التكوين 29 .x تحت مسمى هاڤيلا وكُتِب بين قوسين، عند فوهة نهر الفرات، والثاني هو البلد الذي استولى عليه نارامسين {إلى جانب مجان} بعد فتح نيدوكي- مهما كان اسميهما، لا بد من أنهما كانا على الساحل العربي مقابل البحرين، ومن المرجح أن يكونا في الموقع الذي احتل في ما بعد من قبل جرّه، أو بالقرب منه. ويمكنني أن أختتم ملاحظاتي حول هذا الموضوع باقتراح اسم (أوبير)، الذي يطلق على ملك نيدوكي أو تيلمون في السجلات التاريخية لـ (سرجون) الثاني، الذي من الممكن أن يعيد إحياء اللقب الأصلي لسوق التجارة الكبير في المنطقة المجاورة، التي كان يعبر عنها باللغة العبرية بـ אופיר (هامش الأرشيف البريطاني).

(1) بالنسبة للملاحظات حول نيدوكي، انظر B.M.I.، المجلد الثاني، ص 46، السطرين 5، 48؛ المجلد الثاني، ص 51، 117، المجلد الثاني، ص 53، 111، المجلد الثالث، ص 60، 118، المجلد الثالث، ص 4، 170، استعيدت من نسخة ثانية، المجلد الرابع، ص 60، في كل مكان، المجلد الرابع، ص 25، 118في إحدى القطع غير المنشورة التي تحتوي على لائحة جغرافية مثيرة للاهتمام، نجد اسمين ذكرا على أنهما رديفين لنيدوكي، و(تيلمون)، وأنزو (Anzu)، 𒀭𒄑𒉡 يليهما مباشرة مجان وملوخا. أما (أنزو) غير معروفة، ولكن من الممكن أنها تمثل جزيرة البحرين الأصغر حجمًا. (هامش الأرشيف البريطاني).

هذه اللوائح -بعضها قديم جدًّا- المرتبطة حصرًا ببابل، والإمبراطورية الآشورية، وتوابعهما[1]. قد يكون أقدم ذكر لنيدوكي في العمل التنجيمي العظيم، ويبدو أن هذا العمل قد أنشئ قبل تأسيس الإمبراطورية الآشورية بفترة طويلة، فاسم آشور لم يذكر فيها ولا حتى مرة واحدة، ولكن الدلالة الجغرافية الوحيدة فيها تشير إلى أن نيدوكي ربما كانت شرق بابل.

غالبًا ما تُذكر نيدوكي في اللوح الأسطوري الذي نُشر في B.M.I.، المجلد الرابع، الصفحة 60، ولكن بصورة أسطورية على ما يبدو، لأنها تقترن بـ «الجبل العظيم» لـ (بل)، والثور الغامض، وعبادة الشمس، والشرق عمومًا بأسلوب محير جدًّا. إن الذكر التاريخي الأول للمكان يظهر في لوح يروي قصة عمل سرجون (Sargon) العظيم {في العام 1600 ق.م. تقريبًا وفقًا لـ (سميث)}، حيث يُقال إن الملك قد وصل إلى «البحر الأدنى» أو الخليج الفارسي، وبلد «السود»، وإنه أخضع نيدوكي، إضافةً إلى ميناء بحري آخر اسمه غير واضح. ويبدو أن هذا الذكر هو الأكثر أهمية استكمالًا للأعمال نفسها على لوح آخر، حيث يُقال إن ابن (سرجون)، نارامسين (Naramsin)، قد هزم ريسبين(Ris-bin)، ملك أپيراك (Apirak)، وحليفه ملك مجان، غير أن اسم الأخير غير موجود. والآن نجد أن مجان و(أپيراك) المذكورين هنا، وقد يكونا مذكورين أيضًا على إناء (نارامسين) الذي حصل عليه وقد فُقد منذ ذلك الوقت، لا يمكن أن تكونا تابعتين لمصر بأي شكل من الأشكال، وإنما يجب البحث عنهما في الخليج الفارسي[2].

---

(1) انظر تحديدًا B.M.I.، المجلد الرابع، ص 38، السطرين 13، و14في اللائحة الغريبة للدول وألقابها الوصفية، B.M.I.، المجلد الثاني، ص 51، من المحتمل جدًّا أن يكون الاسمان في السطر رقم 18، اللذان يأتيان بعد مجان وملوخا ويشيران إلى جزر البحرين. الأول هو 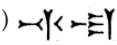 (تيلا) = ، والآخر هو ساجيس (Saggis) = 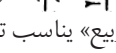 ، أو عطارد. إن لقب «منطقة الربيع» يناسب تمامًا وصف النقيب (ديوراند) للبحرين. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) انظر ترجمة (سميث) للوح (سرجون)، الذي استعيد من نسخة ثانية، في يوميات جمعية الآثار التوراتية، المجلد الأول، ص 46، ترجمته لسجل (نارامسين) في الوثيقة نفسها، ص 51 في ما يتعلق بقراءته للاسمين المذكورين على إناء (نارامسين)، (أپيراك) ومجان، فينتابني بعض الشك حيال هذه القراءة. لقد درست بشكل متكرر المخطوطات الموجودة على الإناء الأصلي، وتوصلت إلى أن الحرف الأول

أعتقد أن (أبيراك) -أو مع اختزال الزيادة الأكادية أبير (Apir)- بالرجوع إلى (أوفير) التوراتية، ربما كانت تقع إما في القطيف أو في جرّه، وهي في المكان نفسه الذي تقع فيه ملوخا؛ ومن الممكن أن هذين الاسمين يدلان على «الأعلى»، على العكس من مجان -«الأدنى»[1].

وأينما كان الموقع المحدد لهذا الميناء، لا شك في أنه كان منذ القدم، سوق التجارة الهندية، ولهذا السبب جذب رجال البحرية التابعين لسليمان، وكانت البضائع التي تحملها سفنه هندية الاسم والصفة، كما هو معروفٌ تمامًا. ويبدو أن الإله الذي كان يُعبد هناك أخذ اسمه من ميناء مجان المجاور، وكان هذا الإله إما «الشمس» أو عطارد -أحد ملحقاته- ويبدو أن اسم الإله 𒀭𒌓𒄿𒁀𒀀𒁉 قد أُطلق على الميناء نفسه في وقتٍ لاحق، إذ إن **Μαγινδάνα** مذكورة في جدول (بطليموس)، الذي أُخذ من التجار الرومانيين في ذلك الوقت، عند مدخل خليج جِرَّه، حيث تقع مدينة (Dhelum)، التي تعود إلى (Dhelama)، أي «ظلام» بحسب الجغرافيين العرب[2]. بالإشارة إلى نيدوكي أو (تيلمون)، من الضروري أن

---

في السطر الخامس كان 𒀭𒌓𒄿𒁀𒀀𒁉 لأنه كان مطبوعًا بالفعل {B.M.I.، المجلد الأول،ص 3، رقم 7}، على نسخة حصلت عليها عندئذٍ؛ ولا يمكنني أن أجد سبيلًا إلى قراءة هذا الرمز على أنه أبي (Api).

(1) إن وفرة الأماكن التي تظهر في الكثير من الأسماء الأكادية القديمة مثل أسنوناك (Asnunak)، وسوريباك (Surippak)، وسوسيناك (Susinak)، و(أبيراك)، وغيرها. قد تكون أثرًا لـ Ki «مكان». (سيس) أظهر بعض المنطق في اعتبار أبير، الاسم المتداول لسوسينا، على أنه مرادف نوما (Numma) أو عيلام «العليا» {يوميات الآثار التوراتية، المجلد الثالث، ص 468}، ومن المؤكد أن مجان مذكورة في B.M.I.، المجلد الرابع، ص 13، 116، على أنها «الأدنى»، على العكس من إليتي (eliti) أو «الأعلى». (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) كنت أعتبر أن الأسماء الموجودة في القطعة، B.M.I.، المجلد الثالث، ص 69، الأسطر 53 - 58، من Mitra إلى **Bisćba,** ، هي كلها ألقاب لـ «الشمس»، واعتقدت أن Maganda-anna هي نفسها **ina isid samé** «في القسم الأدنى من الجنة»، وهي صفة دائمًا ما تنطبق على الشمس {B.M.I.، المجلد الرابع، ص 28، 125، والآثار التوراتية، المجلد الخامس، ص 438، والمجلد السادس، ص 383}، ولكن بدا أنه من المستحيل أن يكون «إله الظلام»، Ilu zalam، المستخدم كاسم لظلال الشمس في B.M.I.، المجلد الأول، ص 18، 144، أن يمثل الشمس نفسها؛ ولذلك أفضل الآن أن أحيل الأسماء كلها، بما فيها **Bisćba,** إلى عطارد. وأضيف أن لقب «الإله القاتم» ما زال متداولًا في مدينة (Dhelum) الحديثة. (هامش الأرشيف البريطاني).

نذكر أن تعريفها على أنه البحرين تظهره الفقرة المشهورة في السجل التاريخي لـ (سرجون) الأصغر سنًّا، في حال وُصف (أوبير) بالخضوع، وهو ملك الجزر الذي كان يعيش كالسمكة في الماء، على بعد 30 «قصبة»، أو «ضعفي الوقت» {ما يساوي نحو 120 ميلًا إنجليزيًّا} ابتداءً من فوهة نهر الفرات، وهو مقياس دقيق للغاية.

وبالعودة الآن إلى الجزء الأسطوري من الموضوع، فإن تعريف الإله (إنزاك) هو أمر ذو أهمية كبيرة. الاسم  مكتوب على حجر النقيب (ديوارند)، ويجب أن نقارنه مع الشكل الآتي، وهو الذي يظهر على أنه موازٍ لـ «نيبو التابع لنيدوكي» في B.M.I.، المجلد الثاني، الصفحة 54، 1. 66. غير أن هذا الاسم لـ(إنزاك) مؤلف من عنصرين، (إن) «سيد»، و(زاك) «الأول أو الأقرب»، وهو شكل مختلف للقب 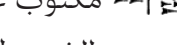 ، أوزاك (Uzak)، الذي ظهر في B.M.I.، المجلد الثاني، الصفحة 60، 1. 30 من بين ألقاب (نيبو)، مع ترجمة (bil asaridu)، أو «السيد الأقرب». ومن الممكن أن يكون هذا اللقب أساريدو (Asaridu) قد منح لعطارد، نظرًا لأنه الكوكب الأقرب إلى الشمس[1]. وأحد المركبات اللفظية الأخرى للكلمة نفسها، asaridu، كانت {انظر أبجدية (سميث)، رقم 94، 2}، وبالتالي فإنه من المبرر بالنسبة إلينا أن نمنح عطارد اللقب الكوكبي 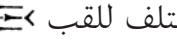 {B.M.I.، المجلد الثاني، الصفحة 49، 1. 42} الذي يشار به إلى زحل حتى يومنا هذا. ومرة أخرى، يفتح هذا التعريف الباب أمام المزيد من الشروحات، فقد ذكر أن {تعني حرفيًّا «النجم الأقرب إلى الشمس»} هو نفسه  أو 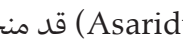 «إله الظلام» المشار إليه في B.M.I.، المجلد الرابع، الصفحة 25، 1. 18، على أنه الإله الخاص بنيدوكي. لا شك في

(1) أساريدو الذي يظهر في اللوائح على أنه الرديف لكل من 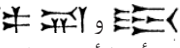 و 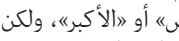 {يقرؤه (لينورمانت على أنها (ساجيس)}، عادة ما يعني «الأول»، أو «الرئيس» أو «الأكبر»، ولكن يبدو أن «الأقرب» يمكن أن تكون ترجمة صحيحة. الاشتقاق غير معروف، ولكنني أظن أنه الاسم الذي اشتق العرب منه اسم عطارد (Atarid) عن طريق استبدال حرف الألف بحرف العين، وتفخيم الحرف الشمسي كما هو الأمر في (Athtar) وعشتار، أو (فينوس)، وAturia لآشوريا، وغيرها. (هامش الأرشيف البريطاني).

أن اللقب 𒀭𒈾𒀀𒇷 «إله الظلام» {Assyr.Ilu salmi،B.M.I.، المجلد الثاني، الصفحة 49، 1. 42، والمجلد الثالث، الصفحة 69، 1.66}، قد أُطلق على عطارد نظرًا إلى دنوه من الشمس، ويعتبر هذا النجم، بحسب الفلكيين اللاتينيين، «perustus aut solatus» {وللسبب نفسه، غالبًا ما يُلقب (نيبو) في المخطوطات بـ 𒀭𒂗𒍪𒆤 أو emuk liti، «المغطس باللهب»، وغالبًا ما يختلط الأمر بينه وبين «روح النار» 𒀭𒋛𒂗𒍪، الذي، على الرغم من ذلك، يبدو أنه يُعَرَّف فلكيًّا بالبرق}[1]؛ ويمكن أن نرى في هذه الوثيقة أصل القصص اليونانية حول الملك إريثراس (Erythras) وبحر إريتريا. من المؤكد أن التلة الضخمة التي اكتشفها النقيب (ديوراند) في جزيرة البحرين، وفتحها بشكل جزئي، تمثل مدفن (إريثراس) على جزيرة تيران أو أوجيريس(Ogyris)، ولفت انتباه ضباط (الاسكندر).

إن الدليل الجغرافي على الهوية مكتمل تمامًا، ووصف المكان الذي قدمه أورثاجوراس (Orthagoras) «على تلة شاهقة مغطاة بأشجار النخيل البرية» يناسب الموقع الموجود في الوقت الحالي[2]. المسألة الوحيدة التي يصعب اتخاذ قرار بشأنها هي هل كان مدفن (إريثراس) «الملك الأحمر»، ذو الشهرة الواسعة، معبدًا لـ (إنزاك) {أو عطارد «الإله القاتم»}، أو هل من الممكن عدم وجود مدفن حقيقي في الجزيرة لأحد ملوك السود القدامى، الذي استخدم اسمه كمسمى لعرقه[3].

(1) انظر B.M.I.، المجلد الثاني، ص 60، 138 إن التعريف الأكثر وضوحًا لـ (نيبو) على أنه إله النار يظهر في مخطوطة على اللوح المعروف الذي يمنح القيمة العددية للآلهة الآشورية، وعلى الرغم من أنه غالبًا ما يكون مقتبسًا، أعتقد أنه لم ينشر أبدًا بالتفصيل. وهنا، الإله الأخير للقسم الثاني، الذي لا بد أن يشير إلى (نيبو)، يدعى 𒀭𒂗𒍪𒆤 𒀭𒋛𒂗𒍪 للاطلاع على تعريف إله النار بالبرق، birku، انظر B.M.I.، المجلد الثالث، ص 66، العمود 2، 120، والعمود 7، 110. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) (سترابو)، الصفحة 766. (هامش الأرشيف البريطاني).

(3) أرتيميدورس (Artemidorus)، الذي اقتبس عنه (سترابو)، ص 779، يشير إلى صفة (إريثراس) المسماة به، وذلك عندما يقول إن بعض المحليين كانوا ينادونه ابن پيرسيس (Perses)، الذي حكم سابقًا في هذه الأنحاء. (هامش الأرشيف البريطاني).

لقد كان اللون القاتم، أو الداكن للمستعمرين البدائيين هو ما دفع اليونانيون لتسميتهم بالإريتريين، وهم من أدوا بسكان الجزيرة إلى اتخاذ «الإله القاتم» إلههم الحارس؛ أما بالنسبة إلى الطغراء الذي يتم تعريف (نيبو) {من نيدوكي} من خلاله، فله تفسير في أحد الأبجديات المقطعية المسمارية وهو Sagga -gunu، أي «لون الرأس» أو «البني المحمر»[1]؛ إن الشخصية موضوع الحديث، تمتلك بشكل غريب أيضًا القيمتين المقطعيتين لـ sur وKus، ومن الممكن أن تكون القيمة الأولى هي التي فرضت الصلة مع السوريين في منطقة البحر الأبيض المتوسط، الأمر الذي أربك اليونانيين بشكل كبير؛ في حين أن القيمة الثانية أشارت، بغموض أقل، إلى اشتقاق من كوش (Kush)، أو الإثيوبيين الآسيويين الذين ذكرهم كل من (هيرودوت) و(سترابو)، وهما من سكنا في المنطقة نفسها.

أما اليونانيون العقلانيون، الذين اعتبروا أن الملك (إريثراس) أسطورة، حاولوا تفسير اسم بحر (إريتريا) عبر انعكاس اللون الأحمر لأشعة الشمس العمودية على الأمواج، أو من خلال لون الجبال المحاذية، التي احمرت بسبب قوة الحرارة[2]؛ ولكن لون سكان الجزيرة، كما يبدو بالنسبة إلي، يقدم حلًّا منطقيًّا للمشكلة. لن أناقش المسألة هنا على نحوٍ نقديّ سواء أكان هناك فعلًا صلة إثنية بين سكّان جُزُر الخليج الفارسي ومؤسّسي الموانئ البحرية المتوسطية في صور وصيدون [صيدا] أم لا، والسبب في ذلك يعود إلى عدم وجود دليل مباشر مقتبس من المخطوطات يؤيّد، أو يعارض افتراضًا مماثلًا. إنّ التشابه المفترَض في الأسماء

(1) الأبجدية المقطعية رقم 843، وB.M.I.، المجلد الثاني، ص 21، 1.، 41 في الفقرة الأخيرة، sur هي حاشية Inzu «عنز»، «العنزة ذات اللون البني المحمر»، أو {برج الجدي، أو Tebeth} التي يدعوها (سيس) {السفينة المزدوجة}. ولا يبدو أن علماء الآشوريات اكتشفوا أن gunu المذكورة في اللوائح تعني «الألوان» {Chald  }، وأن الشكل الإيديوجرافي كان يعتبر دائمًا بادئة ، كما هو الأمر في  «سمكة»،  «لون السمكة»،  «رأس»،  «لون الرأس»،  «لون الطين»،  وغيرها. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) انظر (سترابو)، loc. Sit.. (هامش الأرشيف البريطاني).

بين (تايلوس) و(آرادوس) في الخليج الفارسي، وصور وأرواد على الساحل الفينيقي لا يحتمل أي دراسة جديّة ولو للحظة[1]؛ ولكن في الوقت نفسه لا أرى ما هو غير محتمَل في المهاجرين الطورانيين [من منطقة طوران] الذين كانوا أوّل من احتلّ بابل في الخليج، ثمّ طُردوا لاحقًا إلى الجانب الغربي حتّى وصلوا إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وأسّسوا ذلك التحالف من المدن على الساحل البحري التي كانت تنتمي {منذ قرونٍ طويلة قبل استقرار الساميين} إلى فلسطينيي الإنجيل، وهو عرق طوراني بات على قرابة مباشرة مع الكنعانيين والحثّيين.

أمّا في ما يخصّ مرجعية المعلومات التي قدّمها كهنة صور إلى (هيرودوت)، ومفادها أنّ معبد (هرقل) تأسّس قبل زيارته بـ 2300 عام واعتبرته الاكتشافات الحديثة المعلم التاريخي الأقدم في مصر وبابل، لا أستبعد [صحة] هذه العبارة «هذه الهجرة الطورانية العظيمة لا بدّ من أنّها حصلت منذ 5000 عام على الأقلّ». بالتأكيد لم تتمّ [الهجرة] دفعة واحدة؛ يبدو أنّ الاستعمار في أوروبا وآسيا الغربية اتّبع الحركة نفسها. وكانت الهجرة، خصوصًا من البحرين إلى صور، مجرّد أحد الانتقالات الكثيرة المتعاقبة. إنّه بالتأكيد إثبات ملحوظ لاستمرارية انتقال العادات بين الآشوريين للحضارة المستمدة من الخليج الفارسي، فـ [الإله] (نيبو)، هو حامي «العرق الداكن»، والإله الوصيّ على البحرين، ويُحكى عنه دائمًا في علم الأساطير الآشورية بأنّه مبتكر نظام الكتابة المسمارية[2]. في الحقيقة، كنتُ أتصوّر أحيانًا أنّه يمكن تعقّب الخط

(1) قبل الانتهاء من الحديث عن نيدوكي [البحرين]، أودّ الإشارة إلى مقطع طريف في المجلّد 2 من كتاب B.M.I.، ص 60، العمود 3، حيث يبدو أنّه يخصّ رحلة أسطورية لملك الجزيرة على متن سفينة بُنيَت من أجل هذا الغرض. الطريق غير واضح أبدًا، كما أنّ الأسماء الجغرافية مشوّهة في الكثير من الحالات. ولكنّني أشكّ بقوة أنّ القائمة كانت تهدف إلى عرض نوع من الطواف حول بحر (إريتريا). أمّا فهرس الأسماء فهو كالآتي: نيدوكي، Suli، Guse، Nibiru، سلالة عشتار من Nigara، سلالة (نيجارا) من (نيجيرا)، جبال البيرو، Pasiri، Pasa، Tobar، Khiliba، Khilibana، Kumad، Tilikhasbat، Sandarippi، Se..... و Busi. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) راجع مقاطع أخرى من B.M.I، المجلّد الثاني، ص 60، السطر 34 ستجد بحثًا مطوّلاً حول علاقة

الكامل للهجرة عبر اتّباع سجلات العبادة المحلية. فعلى سبيل المثال، عبادة (نيبو)، «الإله المحروق أو الداكن»، قد تكون تأسّست أصلًا في البحرين كقوة حامية من البركان {أو جبل الدخان}، وما تزال ملحوظة في الجزيرة؛ واستنادًا إلى جستن (Justin) كانت [العبادة] تهدف إلى الهرب من الهزّات الأرضية التي تسبّبها هذه الطبيعة المرعبة بلا شكّ وبسببها غادر المهاجرون الأوائل من الجزيرة[1].

أمّا ضريح (آيا) في «خارك» فهو يشكّل الخطوة التاريخية التالية في تقدّم المستعمرة؛ ومنذ ذلك الحين، وبحسب العادة نفسها، عَبَر المهاجرون إلى «المياه الآشورية»، وقد وجدنا أنّ (آيا) ينبع من 𒂍𒀀𒉡 ، «الروح البدائية للأعماق»، مثبّتًا عاصمته الأولى في المدينة المقدّسة آرواد أو طيب، على الساحل الشمالي للبحر الداخلي أو *abṣú* ، وهو المكان الذي حافظ، في الحقيقة، على ميزته المقدّسة حتّى يومنا هذا[2]. لا بدّ من استذكار أنّ (آيا)، أو [الإله] (أوانيس)

---

(نيبو) بالكتابة والتعلّم وذلك في مقالتي بعنوان «حول دين البابليين والآشوريين On Religion of the Babylonians and Assyrians» (هيرودوت، المجلد الأول، ص 639). كان هرمس البابلي مشهورًا لدى اليونانيين الأواخر بقدر شهرة مؤلّف مهتفو الوحي الكلدانية؛ وقد ورد في القوائم اثنان من الآلهة بأسماء Irmis و Kharmis الذين يُعتقد أنّ اليونانيين قد استعاروا منهما الاسم، رغم أنّ وظيفة [هذين الإلهين] تبدو أنّها حماية الزقورات [الأهرام الرافدية] أو «أبراج المعابد»، بدل حماية المكتبات. من كتاب B.M.I المجلّد الثالث، ص 66، العمود 7، السطر 13(هامش الأرشيف البريطاني).

(1) (جستن)، الثامن عشر، 3، 2:

«Tyriorum gens condita a Phoenicibus fuit, qui terraemotu uexati, relicto patriae solo, Assyrium stagnum primo, mox mari proximum littus incoluerunt, condita ibi urbe quam a piscium ubertate Sidona appellauerunt.

إنّ وفرة الأسماك تُعدّ على الأرجح أثرًا آخر لعبادة (أوانيس). (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) أقتطف الرواية التالية عن طِيب من ياقوت: «هي بلدة صغيرة بين وسيط (Wasit) و خوزستان (khuzistan)؛ سكّانها نبطيّون إلى يومنا هذا ولغتهم هي اللّغة النبطية. داود بن أحمد بن سعيد، هو تاجر من (طيب) {رحمه الله} يقول ما يلي: من الشائع بيننا أنّ شيث (Seth)، ابن آدم، قد أسّس [مدينة] طيب، وأنّ أهلها بقوا على دين شيث وهو نفسه دين الصابئة، إلى أن ظهر الإسلام وأصبحوا مسلمين. هناك بعض الطلاسم المميّزة في (طيب)، بعضها اندثر والبعض الآخر ما يزال مطبّقًا إلى هذا اليوم؛ [أحد هذه الطلاسم] أنّ أي حشرة [دبور] تدخل المكان تموت على الفور؛ وحتى هذا اليوم تقريبًا لم يُكتشَف وجود أي أفعى أو عقرب في المكان، أو حتّى غربان سوداء أو بيضاء». ومن بين الحجج الكثيرة التي تشبّه (طيب) بـ [جنّة] عدن في سفر التكوين، أذكر اثنتين غير معروفتَين عمومًا.

نصفه سمكة والنصف الآخر إنسان، ولهذا نلاحظ عبادة السمك في كلّ مكان؛ وقد نلاحظ تأثير الطريق الذي يؤدي إلى مستعمرة (آيا). أمّا خطّ التقدّم، فهو في الواقع، يُشار إليه أولاً عبر والدة الإله (آيا) في المحيط الهندي، ثانيًا، عبر (آيا) نفسه في الخليج الفارسي وشمالًا إلى طيب، وثالثًا، عبر ابنته 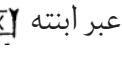 بعدإنشائها وتسميتها بنينوى، وهي تتمثّل بالطغراء نفسها الخاصة باسم الإلهة، وتشير إلى «موضع السمكة»[1]. ومن نينوى، يمكننا تعقّب طريق المستعمرة على طول الخطّ نفسه، وربما قام العبريون لاحقًا باتّباع [ذلك الطريق]، عبر السمكة المقدّسة في حرّان وهيرابوليس (Hierapolis) {أو جرابلس Carchemish}[2] باتّجاه سوريا، حيث نعلم أنّ السمك هناك له ميزة مقدّسة، وحيث كان يُعبَد إله

---

جوخة (Jukha) ردًّا على [نهر] جيحون (Gihon) في سفر التكوين، وهو اسم الذراع الشرقي لنهر دجلة على أحد جوانب مدينة (طيب)؛ في حين أنّ فيشون (Phison) هو على الجانب الآخر، ويُسمّى في النسخة السامرية بال «قدَف»، وردا على [نهر] الكرخة (Kerkha) أو يولايوس (Eulaeus)، الذي ينبع من مهرجان قدف، أو سيميرا (Seimerrah)، وهو وحده من بين الأنهار البابلية الذي يحتوي على «السهام» أو حجر العقيق اليماني. أمّا الاسم الأكادي لطيبة (Tsibba) {أي طيب}، فهو يُستخدَم لـ[مدينة] أرواد أو 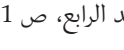 «المدينة المقدّسة»، انظر B.M.I.، المجلّد الرابع، ص 21، السطر 40 (هامش الأرشيف البريطاني).

(1) من المستحيل التغاضي عن حقيقة الخرافتين البابليتين حول نينوى، ففي الرواية التي أشير إليها حول رحلة يونان وقصة سفر طوبيا، تلعب السمكة دورًا رئيسًا؛ وهذا الأمر يُعدّ ملحوظًا على الأقلّ حتّى لو كان صدفة. ولكن لا بدّ من التحفّظ على أي ملاحظات أخرى حول أسطورة السمكة والحديث عنها في مناسبة أخرى. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) أنتهز هذه الفرصة للتأكيد على ادّعائي الخاص بأنّ اكتشاف جرابلس المذكورة في الإنجيل {جرابلس المذكورة في النقوش}لم يكن عبر قرقيصيا، عند مصبّ [نهر] الخابور، بل عبر (هيراپوليس)، أو مابوج (Mabog) إلى جهة الشمال، وهو الكشف الذي نُسِب إلى السيد ماسپيرو (**Maspero**) في المقال الأخير الممتاز في صحيفة التايمز (The Times) حول تاريخ الحثّيين. وقد أعلنتُ عن هذا الاكتشاف في العام 1853 {انظر بحثي حول «التاريخ المبكر لبابل، في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية، المجلّد الخامس عشر، ص 231}، وأشرتُ أيضًا إلى أنّ السوريين ترجموا (جرابلس) عبر (مابوج) {فترتان زمنيّتان، 35، 20}، على أنّه اسمٌ مقتبس من «أمّ الآلهة» أو «الإلهة سوريا» التي كانت تُعبَد آنذاك. وأُضيف هنا، كصُدفة طريفة، أنّ أتارجاتيس (Atargatis) {أو **תרעתא** أتارعاتا} هو الاسم السرياني للإلهة العظيمة وهو يعني «بوّابة»؛ وأنّ كاميس (Camis) هو اسم الإلهة العظيمة للإيطاليين الأوائل وأنّ له الدلالة نفسها، وقد سُمّيت بـ جنوا (Janua) {زوجة يانوس (Janus)}. هل من المسموح بعد ذلك، ترجمة (جرابلس) على أنّها «قلعة الإلهة غاميس (Gamis) أو (Camis) {البوّابة}»؟ ويبدو أنّ الإلهة نفسها بات السوريّون يُسمّونها لاحقًا بال «بابية».

السمك على وجه الخصوص في عسقلان وأشدود. إنّ توضيح الفضول في هذا الموضوع يستلزم المزيد من الدراسة التي يمكن الاعتماد عليها هنا، وهو يستحقّ اهتمام من يتوفّر لديهم الوقت للتفرّغ لذلك.

وقبل اختتام ملاحظاتي، أقترح الآن النظر بشكلٍ موجَز في الجانب الجغرافي للموضوع.

كما هو معلوم، ساد الكثير من الشكّ والنزاع في الآراء حول اكتشاف جزر الخليج الفارسي في الجغرافيا القديمة؛ ولكنّ هذا الشكّ نشأ بشكلٍ رئيس من الغربلة غير الكاملة لسلطات الحكم. وانطلاقًا من معرفتنا الحالية المحسّنة بعلم توصيف المياه [هيدروغرافيا] في الخليج، واللهجة العامية للمنطقة، أستطيع التفكير في أن الصعوبات ستزول جميعها، وفي أنّه بمقدورنا التعرّف على الأشكال اليونانية للأسماء العربية بقدر تيقّننا من التعرّف على جزر الأرخبيل. لقد اكتسب اليونانيون معارفهم الأولى في هذا الجزء من آسيا من خلال (نيارخوس)، وهو أميرال (الإسكندر)، وقد جمعها أريان(Arrian) بعد قرونٍ من الحادثة، وذلك من خلال سجلات الضبّاط الذين شاركوا في الحملة. حصل (سترابو) أيضًا على المعلومات نفسها، إمّا مباشرةً أو عبر (إراتوستينس)، ولهذا غالبًا ما كان يقدّم تعليقًا قيِّمًا حول (أريان). في الحقيقة، حصلنا على التقارير الصحيحة لضبّاط (الإسكندر) في ما يتعلّق بالسواحل الفارسية والعربية فقط عبر مقارنة روايتَي كلا الباحثَين.

وبعد مغادرة أسطول (نيارخوس) من أرموزيا (Armozia) {«بندر عبّاس» أو «هرمز» القديمة}، أبحر عبر الساحل على طول جزيرة «قيس» التي سمّاها (أريان) و(سترابو) و(بطليموس) و(پليني) جميعهم باسم (أوراكتا) أو ڤوروكتا (Voroctha) {الاسم الحديث ڤروكت (Vroct)}، ورسا عند نقطتَين على الساحل، كان قد وصل الحاكم الفارسي للمقاطعة ويُدعى «مازين» (Mazenes) إلى أول محطة أو المحطة الأقرب شرقًا، وتولّى قيادة الحملة من تلك النقطة وحتّى نهر «كارون» (Pasitigris).

لم يجرؤ اليونانيون على الدخول إلى (فوروكثا)، ولهذا فإنّ ما علموه عن جغرافية الجزيرة وجوارها لا بدّ من أنّ مصدرها كان «مازين» وشريكه ميثروپاست (Mithropastes)، مرزبان [حاكم] فيرجيا، الذي نفاه (داريوس) إلى الخليج الفارسي. وبناءً على ذلك، عندما يذكر (أريان) أنّ الضريح الشهير للملك (إريثراس)، الذي سُمّي البحر الإريتري تيمّنًا به، يمكن رؤيته في جزيرة (فوروكثا) فهو يُسيء بوضوح الاقتباس من (نيارخوس) و(أورثاجوراس)؛ إذ إنّ روايتهما، التي حفظها (سترابو)، مفادها أنّ (ميثروپاست) نُفيَ إلى جزيرة توپلان (Tuplun) حيث يمكن رؤية ضريح الملك (إريثراس) «على تلّة عالية مغطّاة بأشجار النخيل»؛ ويضيفان أنّه بعد هروب (ميثروپاست) من (أوجيريس) {وهو ما يظهر أنّها في المنطقة المجاورة نفسها ك (تيران)، قصد «مازين» في (فوروكثا) وطلب هناك اللّجوء مع اليونانيين. أمّا «توپلان» فهي مجرّد اللّفظ الفارسي للكلمة اليونانية Τυλίνη التي تعني {مخبرين يونانيين أصبحوا من الفرُس}، وهو ما قد يعني مجدّدًا 𐎲𐎱𐎼 𐎭𐎰 𐎲𐎼 (تيلڤون) الاسم الآشوري لـ [جزيرة] نيدوكي أو الجزيرة الكبرى في البحرين؛ أو قد يكون اسم (تيران) اسمًا مستقلًّا تمّ تغييره إلى ديرين (Dirin).

توجّه (أندروسثينس)، الضابط المرافق لـ (الإسكندر)، عبر الساحل العربي من طريدون عند مصبّ نهر الفرات بطول 2400 ستاديا إلى جرّه، ومن ثمّ عبر إلى البحرين، وقد أطلق على الجزيرتين اسما Τύρος و "Αραδος مع التأثّر الواضح بلفظ ربّانه الفارسي. ولكنّ بطليموس الذي تبع التجّار الرومان أعطى القراءة الأكثر صحة لـTύλος و "Αραθος .

أمّا اسم تول (Tul) أو تيل(Til) فهو غير معلوم اليوم، ولكن يبدو أنّه يعود إلى الفتح العربي، مع ذكر الأسقف المسيحي لتالون (Talon) أو تيلون (Tilun) في رسالة سورية مؤرّخة في أوائل القرن السابع ضمن [وثائق] كنسية لمحافظة كتارا

(Catara) الخاضعة لمطرانية فارس[1]. وما يزال اسم عراد يُعرَف على أنّه اسم القرية الرئيسة في جزيرة المحرّق الصغرى. وفي الجغرافيا العربية يُكتب الاسم الأرّة [بتاء مربوطة في نهايته] وهو ما يميّزها بشكلٍ كبير عن [المدينة] المتوسطية (أرفاد). وعلى الرغم من اليقين بعدم وجود أي صلة بين (تول) و(آراث) مع صور و(أرواد)، إلاّ أنّني لا أرى أيّ مبرّر للاشتباه في إفادة (أندروشينس) التي تفيد أنّ المعابد الموجودة على الجزيرة كانت مشابهة لمعابد الفينقيين، وهي الحقيقة التي ينبغي أن يكون واثقًا منها نظرًا لكونه أحد سكّان [جزيرة] ثاسوس (Thasos) التي كانت مستعمرة يونانية-فينيقية، فضلًا عن أنّ السكّان لم يحتفظوا إلى ذلك الوقت بعادة أسلافهم في الزمن البعيد مع نشرهم الاستعمار في البحر الأبيض المتوسط.

استنادًا إلى الجغرافيين العرب القدامى، أمثال الاصطخري، وابن حوقل وأتباعهما، ذُكرت ثلاث جُزُر فقط في الخليج الفارسي هي «خارك»، و«لافت»، وأوال، أو الأسماء الحديثة لها «خـارك»، و«قيـس»، والبحرين. ولكنّ الاسم الأكثر شهرةً في الداخل وعلى الساحل، لمنطقة البحرين في الأزمنة اللاحقة كان «هجَر»، وهو الاسم الذي يبدو أنّه استُخدم في وقتٍ من الأوقات كعاصمة للجزيرة الكبرى، التي ربما حاليًّا هي خرائب منطقة البلاد القديم.

---

(1) كانت الكنيسة النسطورية تضمّ خمسة أساقفة في تلك الفترة في محافظة قطر يتولّون أسقفيات (ديرين) و(مساميغ) و(تالون) والخطّ وهجَر. يتعرّف الـ (Assemanni) على (تالون) على أنّها **Τύλος,** أو البحرين من دون تردّد ولكن مع دراسة الممالك السريانية التي يتكلّم عنها فأنا أشكّ في صحّة ذلك الأمر. أرى أنّ الأسقفية داخل الجزيرة كانت دائمًا تُسمّى (ديرين) وهي أقرب إلى **Τυρίνη** لدى (سترابو) أكثر من (تالون). تتصدّر (ديرين) القائمة أيضًا ومن هناك أعاد الراهب جورج ملابس الأغنياء في الكنيسة إلى بلاد آشور وهي قد تكون مستوردة من الهند. هذه الدلالات الكثيرة تشير إلى جزيرة البحرين أكثر من أي منطقة أخرى في الداخل. ولربما هناك اسمان مختلفان هما (تيلا) {(تيلمون)} التي تشير إلى الجزيرة، أو (تيران) أو (ديرين) التي تشير إلى البلدة الرئيسة في الجزيرة. ورغم أنّ (تالون) تمثّل على الأرجح (تيلوم) أو (ديلوم) وهو الميناء عند مدخل خليج جرّه على الساحل المقابل. انظر (Assemanni)، الإنجيل، مستشرق، المجلّد الرابع، ص 736، والمقاطع المشار إليها. كان الـ(Assemanni) مستشرقًا كبيرًا ولكنّه جغرافي سيئ، وكانت اكتشافاته دائمًا عُرضة للشكّ. وفي هذه الحالة مثلًا، يفترض أنّ قطر تمثّل سقطرى ومن غير المعلوم ما إذا كان جنوب ساحل البحرين يُسمّى قطر أو كتّار. (هامش الأرشيف البريطاني).

إنّ النقوش على الحجر الأسود الخاص بالنقيب (ديوراند)، المكتَشَفة على جزيرة البحرين تتيح لنا الاعتقاد بأنّ القبيلة التي كانت تهيمن قديمًا على الجزيرة وتحيط بالمنطقة هي قبيلة عقير. وهنا مجدّدًا يظهر لدينا الاسم اليوناني الأصلي "Ωγυρις"، والاسم الحديث عقير أو عُجَير باللغة العامية. أمّا (أوجيريس) فهي منطقة قام (داريوس) بطرد (ميثروپاست) إليها في حين أنّ (تيران) كانت الجزيرة التي هرب منها الزعيم للانضمام إلى اليونانيين في (أوراكاتا)[1].

يُعدّ موقع (أوجيريس) أو (تيران) في مقابل جرّه وثبّته اليونانيون بما يكفي من الدقّة؛ حيث حدّد (أندروشينس) أنّها تبعد 2400 ستاديا عن طريدون، أو ربما (إيكاروس)، في حين أنّ (أورثاجوراس) يعطي قياسًا عرضيًّا يبلغ 2000 ستاديا انطلاقًا من ساحل أرمينيا. ومن المستحيل القول ما إذا كان كوينتوس كيورتيوس (Quintos Curtius) يقصد (أوجيريس) أو (أوراكتا) عندما حدّد مدفن (إريثراس) في جزيرة تبعد مسافة قصيرة عن القارة وذلك بأمرٍ من ضبّاط (الإسكندر)؛ ولكن يبدو أنّ أجاثارسيدس (Agatharcides) يشير في أي حالٍ من الأحوال إلى (أوراكتا) أي «قيس» التي لا يفصلها عن البرّ الرئيس سوى نهر صغير، وذلك عندما يعيد تكرار أسطورة الفارسي المدعوّ (إريثراس) الذي تبع أحصنته بعد أن سبحت في ذراع البحر هربًا من لبوة، وهكذا كان اكتشافه للجزيرة. تبع كلّ من پومپيوس ميلا (Pomponius Mela) و(ديونيسيوس) (پليني) الذي يبدو أنّه كان يتمتّع بسلطة مستقلّة لتحديد مدفن (إريثراس) في (أوجيريس) وإذا كانت "Ουγορις" قراءة أصلية في نسخة البلاط الملكي لبطليموس. في هذه الحالة، لا بدّ من أنّ العالم الجغرافي قد استعان أيضًا بخرائط مختلفة جدًّا عن تلك التي أعدّها (أندروشينس) و(أورثاجوراس).

(1) بالنسبة إلى السلطات الخاصة بموقع (تيران) و(أوجيريس)، انظر (سترابو)، ص 766، وسيلاريوس (Cellarius) ص 700 وفي هذا الشأن، يقول ياقوت حول عُقير إنّها «قرية على الشاطئ البحري المقابل لهجَر»، وحول قطر يقول إنّها «في مقاطعة البحرين على ساحل الخطّ بين عُمان وعُقَير، وهي قرية تُسمّى قطر تأتي منها الملابس المخطّطة باللّون الأحمر وتُدعى قطريّة». (هامش الأرشيف البريطاني).

غير أنّ بطليموس لم يُشر إلى الملك (إريثراس) أو إلى مدفنه؛ وغالبًا ما كان يذكر علماء الجغرافيا العرب قرية عُقير في ملاحظاتهم عن ساحل البحرين، ولكن لا يبدو أنّها كانت منطقة ذات أهمية كبيرة في الفتح العربي في ذلك الوقت، إذ إنّها لا ترد في سجلات تلك الفترة، وفي الحقيقة، لم يُعد لها اسمها الحديث شُهرتها القديمة. لقد كانت البحرين والأراضي المحاذية لها على عهد النبي محمد [ص]. تحت إدارة مرزبان فارسي أو «lord of marches»، وكان السكان ينتمون بشكلٍ رئيس إلى عرب قبائل عبد القيس، وبكر [ابن وائل]، وتميم، بالإضافة إلى عدد كبير من المجوس واليهود والمسيحيين. ولهذا شنّت سلسلة من الغزوات خلال فترات حُكم أول أربعة خلفاء بهدف تحويل السكّان إلى الإسلام أو إخضاعهم للجِزية أو الضريبة عن كلّ شخص [ضريبة على الرأس][1].

ولهذا يمكن إيجاد أسماء الكثير من المدن العربية في الحوليات العربية الأولى التي أصبحت مفردات تقليدية للشعراء والمؤرّخين في المستقبل ولكن القليل منها بقي إلى أزمنة لاحقة. وفي القائمة الآتية، التي أوردها ياقوت [الحموي]، فإنّ أول أربعة أسماء هي فقط كانت معروفة عمومًا للجغرافيين؛ وهي 1. الخطّ، 2. القطيف، 3. الأرّة، 4. هجر، 5. بينونة، 6. الزّارة، 7. جواثا، 8. السابور، 9. دارين، 10. الغابة[2].

(1) يضمّ الكتاب الشهير «الفتوح» للكاتب البلاذري (Beladheri) فصلاً مميّزًا حول فتح البحرين. تنقيح دي غوجي (De Goje)، ص 70 - 86 (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) يُنقَل عن ياقوت عن بعض الباحثين المجهولين قوله إنّ عاصمة هجَر هي الصفا أو المشقّر، وهي مدينة مزدوجة توصَف على النحو الآتي: «المشقّر، هي قلعة قوية جدًّا لقبيلة عبد القيس في البحرين، كانوا يستخدمونها لأغراض دفاعية. وكان لديهم أيضًا حصن آخر يُدعى الصفا أمام مدينة هجَر. يقع مسجد الجامع في المشقّر، وبين القلعتين كان يجري نهرٌ يُسمّى العين يمتدّ إلى مدينة محمد ابن الجمير (Muhammad ibn-El-Ghimr)...» لا أعلم شيئًا عن هذه المناطق، وفي الحقيقة، لم تصادفني يومًا هذه الأسماء إلاّ في معجم ياقوت العظيم. أمّا ابن حوقل فهو يعطي مدن البحرين هذه أسماء هجَر، والقطيف، والعقير وبحيح، والخرج، في حين أنّه يصف أوال على أنّه اسم جزيرة تابعة لابن سعود وسليمان بن الحسن، القادة القرامطة المشهورين الذين قبضوا الكثير من الضرائب من السفن التي كانت تُتاجر هناك. (هامش الأرشيف البريطاني).

1. الخطّ كان خطّ الساحل البحري المقابل للبحرين، «Ἀττα' الخاص ببطلموس»، وعلى مستوى الاحتمالات كافةً، قام المهاجرون من هناك باستعمار جزيرة «قيس» التي كانت تُسمى على زمن (الإسكندر) بـ «كتارا» (Katara)، وكانت كالبحرين مقدّسة لدى عطارد والزهرة. نشطت تجارة كبيرة بين هذا الجزء من الساحل وبين الهند خلال عصور الإسلام الأولى إلى درجة أنّ الرماح التي كانت تُستَخدَم في الجزيرة العربية وتتمّ صناعتها من شجر البامبو الهندي؛ كان يتمّ إنزالها على هذه الشواطئ حيث كانت تُعرف بالرماح الخطيّة[1].

2. القطيف، ميناء الأحساء، لطالما كان موقعًا أثريًّا إلّا أنّ الاسم الممنوح له لا يشير إلى هويّته.

3. الأرّة، كما ذكرتُ سابقًا هي عراد الحديثة في جزيرة المحرّق و[جزيرة] أراثوس (Arathus) [أرادوس] القديمة.

4. هجَر، كان الاسم المستخدَم بدون تمييز مع اسم البحرين، سواء أكان للجزيرة الكبرى، أو لعاصمة تلك الجزيرة، وهي ملحوظة في خرائب البلاد القديم.

ومن بين البلدات المتبقية، السابور، أو السابون (Sabun) كما تُكتَب في أغلب الأحيان، ودارين أو ديرين. وهي مناطق كان يُلاحَظ وجودها في الكثير من الممالك الأخرى على الرغم من عدم معرفة موقعها المحدّد، ولكنّني أعتقد

(1) يقول ياقوت مقتبسًا عن أبي منصور قوله إنّ ساحل عُمان كان يُدعى الخطّ، والمناطق الرئيسة على الساحل كانت القطيف، والعُقَير، وقطر، ومن ثمّ يُضيف [ياقوت] كلامه الخاص قائلًا «جميع هذه المناطق تابعة للساحل البحري للبحرين وعُمان، وهي اعتادت على إحضار رماح البامبو من الهند، ومن ثمّ تصديرها وبيعها إلى العرب». ولهذا فقد كانوا يقومون في العهد البابلي بإحضار خشب الساج من الهند إلى (ماغا)، ويستخدمونها في بناء المعابد والقصور تحت اسم 𒈦𒂍𒃲، المجلّد الثالث، ص 28، السطر 38 (هامش الأرشيف البريطاني).

أنّ بقية المناطق تنتمي بشكلٍ حصري إلى الحرب المقدّسة. ومن بين الأسماء الأخرى للجوار، يمكنني ملاحظة أنّ الزرقاء في [خرائط] المقدّسي هي بالتأكيد نفسها Σαρκόη في [خرائط] (بطليموس)؛ أمّا قطر {جنوب البحرين} فهي تمثّل Καδάρα [1]. وبالنسبة إلى قطر نفسها، فإنّ السوق التجاري الكبير بين الشرق والغرب، منذ العصور الأولى إلى القرن الثاني أو الثالث من عصرنا الحالي، كان بلا شكّ يقع على مسافة قصيرة من داخل الجزيرة {(سترابو) وهو يتبع (أندروسثينس)، قال إنها تبعد مئتي ستاديا} من مصبّ النهر المقابل للبحرين مباشرةً. يتحدّث النقيب (ديوراند) عن بقايا تلك البُقعة من الأرض ويقول إنّها لا تزال تحتفظ باسم جرّه، إلّا أنني لا أعلم أنّ الموقع قد شهد زيارة أي مسافر في الوقت الحديث على الرغم من أنّ ذلك قد يخفّف من عناء الدراسة. يراودني شخصيًّا الكثير من الشكّ في أنّ السوق الكبير للتجارة الهندية في الخليج يمثّل أرض (أوفير) المذكورة في الإنجيل، و(أپيراك) أو (ملوخا) في النقوش، وأنّ الميناء الشقيق مجان {في Μαγίνδανα خرائط بطليموس} هو يقع إمّا في ديلم أو في عُجير أو في الجوار القريب مباشرةً.

لا أثر لأسماء بقيت من هذا القبيل كمجان وملوخا، في حين أنّ جرّه بقيت على الأرجح في اللّغة العربية تُدعى جرعا، وهي تعني «الصحراء الرملية». لكنّني وجدتها في كلام ابن حوقل حول حروب زنادقة القرامطة، بأنّها تُستَخدَم للدلالة

(1) يقول المقدّسي {ص 71} حول هجَر أو البحرين إنّ عاصمتها هي الأحساء، ومناطقها الرئيسة هي السابون، والزرقاء، والعُقَير، وأوال في حين أنّ يمامه (Yamameh) تابعة لها. يصف [المقدّسي] الأحساء على أنّها، بنحوٍ أكثر دقّة، عاصمة هجَر، التي تُسمّى البحرين أيضًا؛ وهي منطقة كبيرة ذات وفرة في أشجار النخيل وكثافة سكانية عالية، إلّا أنّها مشهورة بالطقس الحارّ والجفاف. تبعد عن البحر درجة واحدة ...والمنطقة الرئيسة للقرامطة..».

ويُضيف ياقوت أنّ الأحساء هي «بلدة معروفة في البحرين؛ أسّسها أبو طاهر الحسن وحصّنها وجعلها عاصمة هجَر، وهو ابن عبد السعيد، زعيم القرامطة وما يزال المكان مليئًا بالسكّان ويُحتَفَل به». يقول ياقوت أيضًا إنّ اسم البحرين مستمدّ من «بحيرة معيّنة عند بوابة مدينة الأحساء، التي تبلغ مساحتها ثلاثة أميال مكعّبة، ومياهها مالحة ونتنة وغير صالحة للزراعة. تبعد الأحساء نحو عشرة فراسخ عن البحر». (هامش الأرشيف البريطاني).

على منطقة بجوار الأحساء[1]. أهل جرّه احتكروا التجارة بين الخليج الفارسي وسوريا وأسّسوا جرّه من أجل تنظيم حركتهم، [هؤلاء] يقول عنهم اليونانيون علنًا إنّهم من البدو العرب[2] أيّ إنّهم كانوا من الجرعائيين أو سكّان «الصحراء الرملية» تمامًا كالبدو أو البدوي المشتقّ اسمهم من البادية وهي تحمل الدلالة نفسها [للصحراء الرملية].

قد يكون الموضوع ذا أهمية جغرافية إثنية لإثبات متى وكيف قام العرب الساميون، الذين ينتمي إليهم الجرعائيون أو أهالي جرّه بلا شكّ، بالحلول مكان السكان الطورانيين -لن أقول السكان الأصليين- على طول الشواطئ وجزر الخليج الفارسي. قد نجد المفتاح على الأرجح في المقارنة الدقيقة بين العادات غير الإسلامية وعبادة الأوثان لدى العرب، وبين علم الأساطير في النقوش المسمارية؛ على الرغم من أنّه وقبل الحصول على نتائج مؤكّدة، من الضروري معالجة الأساطير من المنظور الطوراني والعناصر السامية، وهو عملٌ لم يجرّبه بعد أحد حتّى علماؤنا المتقدّمون في العلم الآشوري، ولهذا أشك في توفّر المعلومات حوله حقًّا.

ملاحظة: أمناء المتحف البريطاني يقدّرون قيمة أبحاث النقيب (ديوراند) في البحرين، التي تمّ تخصيص مبلغ 100 «جنيه استرليني»من أجلها في العام الماضي، بهدف إجراء تنقيب تجريبي عن الآثار في الجزيرة لصالح الحكومة البريطانية، ومن الممكن زيادة المنحة في حال التنبّؤ بإمكانية اكتشاف عيّنات من الكتابة المسمارية؛ ولكن عند وصول التعليمات إلى «بوشهر»، تمّ استدعاء النقيب (ديوراند) إلى الهند ولم تسنَح الفرصة منذ ذلك الوقت لتفويض ضابط آخر في الجزيرة من أجل إكمال عمل فتح المدافن؛ ولكنّ البحث المعلّق لم يتمّ التخلّي عنه وما زلنا بانتظار نتائج مهمّة.

(1) تنقيح، (دي غوجي)، ص 22. (هامش الأرشيف البريطاني).

(2) (Nicand. Alexiph.) النسخة 244؛ الطريق الذي كانت تتبعه القوافل من جرّه إلى تدمر كان على الأرجح الطريق نفسه الذي تبعه، في الاتجاه المعاكس، السيد (بلجريف) من سوريا عبر حائل والرياض والأحساء إلى القطيف. (هامش الأرشيف البريطاني).

**خريطة ملحقة بالتقرير ص 115 من هذا الكتاب.**

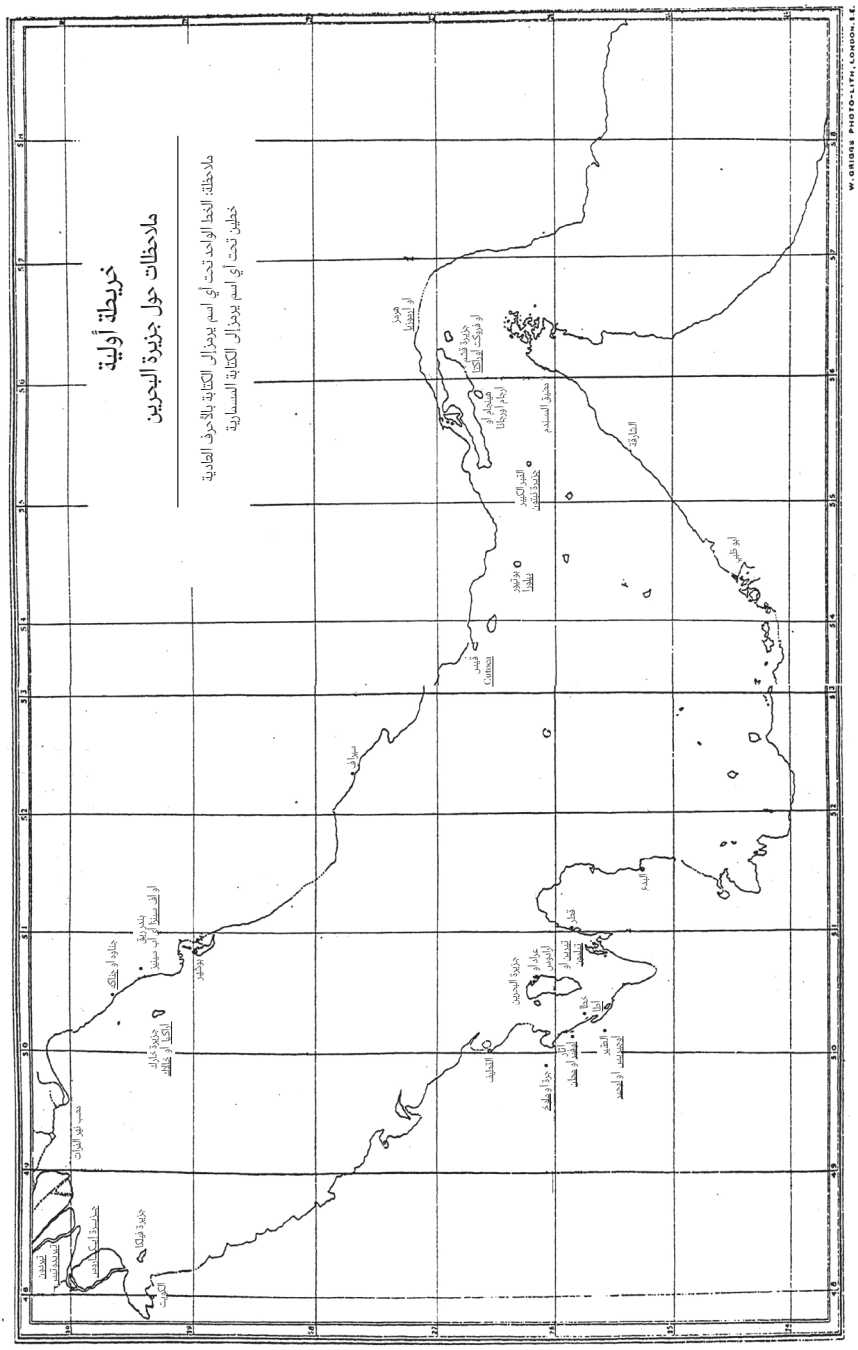

# كشاف عام

## أ


آبار أم غويفة: 120، 159.
آرادوس: 191.
آرثر وليام ستيف: 18، 89.
آسيا: 59، 66، 191، 194.
آسيا الصغرى: 53.
آسيا الغربية: 173، 191.
الآسيويون: 62.
آشور: 132، 176.
الآشوريون: 176، 179، 191.
آل إبراهيم: 31.
آل ابن علي: 93.
آل بوكوارة (قبيلة): 30.
آل حرم: 28.
آل حسن: 31.
آل خليفة: 13.
آل زايد (قبيلة): 31.
آل شبيب: 50.
آل مهندي (قبيلة): 31.
آل نصور: 14، 28، 29، 30.
آنو: 175، 179.
آيا (إله): 175، 176، 177، 178، 180، 193.
أبراج المحرق: 98.
إبراهيم عليه السلام: 131.
أبلو: 180.
ابن جلجل: 127.
ابن حكيم: 116.
ابن حوقل: 196، 200.
ابن سعود: 198.
ابن عبد السعيد: 200.
أبو البهلول: 79.
أبو الخرب: 106.
أبو طاهر الحسن: 200.
أبو علي (منطقة): 49.
أبو منصور: 199.
أبيدوس (مدينة): 126، 160.
أبيدينوس: 174.
أبيراك: 186، 187، 200.
الأتراك: 95.
إتش. إتش. وايتلوك: 67.
الأحرار: 31.
الأحساء: 80، 200، 201.
أحمد (الشيخ): 122، 130.
أحمد بن خليفة: 29.
أحمد بن خميس: 76.
إدوارد. لو. ديوراند: 18، 19، 133، 134، 181، 188، 197، 200، 201.
إراتوسشينس: 127.
أراديانا: 138، 165.
الأرة: 198، 199.
أرتيموس وورد: 145.
أرخياس: 178.
أرسطو: 145.
أرشيف البحرين: 29.
أرض أوفير: 200.
أيرلندا: 45.
أرموزيا: 194.
أرواد: 191، 192، 196.
أريان: 28، 194، 195.
الإريتريون: 183، 190.
إريثراس: 189، 198.
إريدو: 173.
أساريدو: 188.
الأسطول البريطاني: 115.
أسطول البصرة: 46.
أسطول الخليج الفارسي: 76.
أسطول الهند: 76.

أسفار إلى الجزيرة العربية (جايمز ريموند ولستيد): 16، 43، 55.
أسفار إلى مدينة الخلفاء (جايمز ريموند ولستيد): 16، 43.
إسكندر الأكبر: 48، 66، 127، 173، 174، 178، 180، 189، 194، 195، 199.
الإسكندرية: 127.
إسماعيل: 132.
الإسماعيلية: 132.
الإسماعيليون: 139.
الأسواق الأجنبية: 62.
أشدود: 194.
الإصطخري: 196.
أغاروم (قبيلة): 19.
الإغريق: 137.
أف. وايتلوك (الملازم): 43.
أفريقيا: 66، 83.
الأفغان: 28.
إقليم البحرين القديم: 79.
إقليم عمان القديم: 137.
الأكاديون: 174.
أكسيسوثروس: 176.
ألكسندر بوليهستور: 131.
ألمانيا: 60.
ألوغ بيك: 139.
أم قصر: 46.
أم. هوفتون (الملازم): 67.
الإمبراطورية الإخمينية: 126، 132.
الإمبراطورية الهندية: 11.
أنتونيو كوريا: 95.
إنجلترا: 9، 14، 27.
الإنجليز: 33، 34.
الإنجيليون: 179.
أندروسثينس: 127، 133، 163، 196، 200.
أندوباريوس: 179.
إنزاك: 181، 188.
الأهواز: 185.
أوال= البحرين
أوانيس: 173، 174، 175، 178.
أوبيرت: 184.
أوجيريس: 195، 196.
أوراكتا: 197.
أورثاجوراس: 189، 195، 197.
أورمسبي (النقيب): 15.
أوروبا: 10، 11، 14، 66، 131، 145، 191.
الأوروبيون: 26، 62، 66.
أوفير: 175.
إي. أل. ديوراند: 115، 155، 172.
إي. بي. سكوايرز: 67.
إي. سي. روس (العقيد): 18.
إيران: 31، 47.
إيزدوبار: 181.
الإيطاليون: 193.
إيكاروس: 178، 180، 197.
إيلو: 175.

## ب

بابل: 128، 173، 174، 179، 180، 191.
البابليون: 19، 126، 160، 172، 179، 182.
باربار (قرية): 133، 163.
باريس: 138.
بالينوروس= شركة الهند الشرقية
البانيان: 31، 93، 117.
البتيل (سفن): 31، 93.
البحارنة المهاجرون: 46.
بحبح: 198.
البحر الأبيض المتوسط: 55، 126، 160، 185، 191، 196.
البحر الأحمر: 14، 15، 37، 43، 45، 174.
البحر الإريتري: 126، 138، 160، 165، 173، 190.
البحر الشمالي: 121.
بحر عُمان: 65.
بحرية بومباي: 43.
البحرية الهندية: 12، 13، 14، 17، 27، 43، 73، 75، 89، 98، 109.
البحرين: 13، 14، 16، 17، 18، 19، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 34، 35، 39، 41، 46، 49، 50، 51، 52، 53، 57، 58، 59، 65، 68، 69، 75، 76، 77، 79، 81، 83، 84، 85، 86، 87، 91، 94، 96، 97، 98، 101، 105، 109، 116، 117، 119، 127، 128، 137، 138،

157، 171، 172، 175، 180، 181، 182، 183، 184،
192، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201.
البحرينيون: 31، 116.
بحيرة طيب: 175.
البدو: 47، 48، 49، 65.
بدو النصّار (قبيلة): 47.
البديع (قرية): 96.
البرتغاليون: 13، 16، 19، 28، 30، 68، 94، 95،
115، 126، 160.
برج بو ماهر: 82.
برج قلالي: 102، 107، 108.
برج المنامة: 52.
بريطانيا: 9، 10، 11، 12، 45، 75، 76، 86.
البريطانيون: 11، 12، 16، 17، 68، 115.
پرينجل (النقيب): 147.
بستان رية: 108.
البسيتين(قرية):81،85،89،99،102،103،107،108.
البصرة: 15، 32، 36، 37، 45، 46، 47، 49، 93،
117، 175.
بطليموس: 68، 127، 139، 177، 178، 180، 185،
187، 194، 197، 198، 200.
البغداديون: 53.
بغلة (سفينة): 15، 31، 35، 46، 48، 52، 92، 111.
بكر بن وائل: 198.
بل: 175، 176، 177، 186.
بلاد آشور: 196.
بلاد القديم: 19، 79، 94، 121، 129، 133، 159،
161، 164، 196.
بلاد ما بين النهرين: 124، 175.
البلاذري: 198.
البلاط الملكي: 126.
بلجريف: 201.
پليني: 119، 131، 138، 139، 158، 177، 194، 197.
بندر ريق: 29.
بنو المنتفق: 46، 50.
بنو خالد: 31، 139، 140.
بنو خفاجة: 46.
بنو عبادة: 46.
بنو عبد الله: 46.
بنو عقيل: 46.
بنو كعب: 46، 47.
بنو مالك: 46.
بنيامين التطيلي: 66.
بوريسثينس (نهر): 137، 140.
بوشهر: 18، 26، 27، 29، 45، 58، 86، 105، 106،
201.
البوكيرك: 28.
بوم (سفينة): 82، 83.
بومباي: 11، 13، 27، 43، 89.
بومبيوس ميلا: 197.
بئر أبو زيدان: 129، 161.
بيروت: 25، 28، 39، 45، 57، 92، 93، 99.
بيروسوس: 173، 174.
بينونة: 198.
بيوتيا اليونانية: 131.

## ت

تاسميت: 181.
تالون: 195، 196.
تايلوس: 28، 191.
تخوم البحرين: 40.
تدمر: 201.
تركي بن سعود: 48.
تركيا: 36، 53.
تروجوس پومپيوس: 128.
تشارلز مالكوم: 43.
تشارلز. جي. كونستبل: 75، 77، 118.
تلال الرفاع: 120، 159.
تلال عالي: 19.
[تلال Marachibat sadun: 111].
تميم: 198.
توبلي (قرية): 75.
توماس بوير: 67.
توماس موليون: 67.
تومسون: 118، 119.
تي . إي. روجرز: 67.
تيران: 195.
تيلفون: 183، 185.
تيلمون: 187.

## ث

ثويني: 48، 49، 50، 51.

## ج

جابر أحمد البو خلف: 28.
جايمز ريموند ولستيد: 15، 16، 43.
جبارة بن حاتم النصوري: 28.
جبارة بن ياسر بن خالد بن مهنا الجبري: 28.
جبارة الهولي: 28.
جبال ألبيرو: 191.
جبل Dreng: 105.
جبل الدخان: 77، 79، 80، 81، 83، 84، 85، 91، 97، 103، 107، 108، 109، 112، 119، 121، 157.
الجبل العظيم: 175، 176، 186.
جبل علي: 25.
الجبور (قبيلة): 28.
جرة: 138، 139، 140، 175، 185، 187، 200، 201.
الجرعائيون: 201.
جرف حيان: 101، 102.
جرف الدبيل: 106.
جرف الدية: 85.
جرف عراد: 85، 99.
الجرف القاري: 100، 101.
جرف المحرق: 108.
جرف نجوى: 110.
جزر Maude: 57، 65.
جزر البحرين: 15، 17، 18، 28، 76، 80، 81، 95، 96، 105، 106، 116، 118، 128، 134، 139، 157، 178.
جزر الخليج: 13.
جزر حالول: 57.
جزر سيال: 43.
جزر مود: 16.
جزر الهند الشرقية: 10.
جزيرة Khasaefi: 82.
جزيرة أراثوس: 199.
جزيرة أرادوس: 127.
جزيرة أم الشجر: 82، 100.
جزيرة أم النعسان: 96.
جزيرة إيكيريا: 68.
جزيرة بوبيان: 18، 91، 178.
جزيرة بوشاهين: 82، 100.
جزيرة تايلوس: 127.
جزيرة تيرا: 68.
جزيرة تيران: 189، 197.
جزيرة ثاسوس: 196.
جزيرة خارك: 16، 45، 46، 58، 68، 177، 178، 183، 192، 196.
جزيرة خصيفة: 100.
جزيرة الزخنونية: 80.
جزيرة سترة: 75، 80، 97.
جزيرة صير بني ياس: 16، 65.
الجزيرة العربية: 10، 15، 18، 28، 36، 43، 50، 55، 64، 68، 69، 91، 117، 123، 140، 165، 175، 179، 199.
جزيرة العزل: 82.
جزيرة قيس: 196، 199.
جزيرة المحرق: 18، 85، 98، 99، 101، 102، 103، 105، 108، 109، 118، 196، 199.
جزيرة النبيه صالح: 84، 97.
جزيرة هرثة: 100، 102.
جستن: 192.
الجشّ: 49.
الجعيمة: 28.
الجغرافيون العرب: 68، 69.
الجفير: 97.
جلال خالد الهارون: 28.
الجمعية الملكية: 15، 16، 55.
الجمعية الملكية الآسيوية: 15، 55.
جو (بلدة): 32، 96.
جواثا: 198.
جورج بارنز بروكس (النقيب): 12، 13، 14، 16، 27.
جورج سميث: 173، 179، 180، 186.
جورج كرزون (اللورد): 9، 11.
جولا: 182.
جوميز ديستو مايور: 95.
جون كونستبل: 75، 118.

جون ماكلور (الملازم): 26، 66.
جي. بي. بروكس (الملازم): 67، 96، 99، 101، 102، 104.
جيبله: 94.
جيه. آر. ولستيد: 55.
جيه . أندرسون: 67.
جيه. إتش. روبانز: 67.
جيو. بيلتشر: 67.

## ح

حائل: 201.
الحجر الأسود: 181.
الحد (منطقة): 82، 93، 100، 109.
حران: 193.
الحرب العراقية –الإيرانية: 100.
حرب طروادة: 127.
حسين محمد حسين: 79.
الحكومة البريطانية: 10، 12، 30، 92، 117.
حكومة بومباي: 11، 13.
الحكومة الصفوية: 28.
الحكومة الفارسية: 29.
حكومة ماونتستيوارت إلفينستون: 66.
الحلة: 48.
حلة السوق: 94.
حلف الحولة: 28.
الحمبوة: 99.
حميد السعدون: 50.
الحنينية (قرية): 81، 120، 159.
حوتيمي: 43.
الحويزة: 176.
حيد Chaschus: 76.
حيد الجارم: 40، 41، 75.
حيد جيليا: 39، 40، 41.
حيد زروان: 85.
حيد عراد: 39.

## خ

خالخا: 173، 176.
الخالدي: 28.
خربة طيب: 176.
الخرج: 198.
خزعل (الشيخ): 47.
خشايارش الأول (الملك): 126.
خصيفة: 18.
خليج توبلي: 75، 84.
خليج العقبة: 15، 43.
خليج عُمان: 18.
الخليج الفارسي: 9، 10، 11، 12، 13، 16، 17، 18، 25، 26، 27، 31، 32، 34، 39، 40، 43، 46، 55، 57، 58، 60، 66، 68، 76، 77، 86، 89، 115، 117، 126، 138، 139، 172، 174، 175، 176، 180، 181، 185، 186، 191، 193، 195، 196، 201.
خليج جرة: 187.
خليج سلوى: 156.
خليفة (الشيخ): 32.
خليفة بن سلمان: 50، 52، 53.
الخوالد: 173.
خور الباب: 101، 104، 109، 110.
خور الجارم: 85، 101، 110.
خور الجليعة: 102، 109.
خور خشت: 75، 76، 82، 83، 84.
خور عبد الله: 48.
خور الفشت: 110.
خور الكاب (قناة): 75، 76، 77، 84.
خور المحرق: 102.
خيم بني خالد: 48.

## د

دار الوكالة البريطانية: 92.
داروين: 125.
داريوس: 132، 197.
داريوش الأول: 126.
دالكي (قرية): 177.
دانقيل: 138، 165.

دبليو. إتش. دايبورد: 45.
دبليو. أل. كليمونتس: 67.
دبليو. أم. لوي: 67.
دبليو. إي. روجرز: 67.
دبليو. جي. كير: 30.
دبليو. سپراي: 67.
دجلة: 193.
الدرّاز (قرية): 116.
الدريس: 47.
دلمون: 19.
الدمام: 17، 30، 75، 76، 96.
الدنيبر (نهر): 137، 140.
الدواسر: 96.
دوحة فكاكة: 68.
الدوحة: 57، 78.
دول الخليج: 17، 26.
الدول الشرقية: 127.
الدوينيه (سفينة): 93.
دي غوجي: 198، 201.
ديانا: 180.
الدير (قرية): 34، 85، 99، 100.
ديرين: 196، 198، 199.
ديسكڤري (سفينة): 66، 67.
ديلم: 29، 200.
ديونيسوس بيرياجتس: 139.

## ر

رأس البر: 52، 96، 97.
رأس تنورة: 49، 76، 110، 111.
رأس الجارم: 76، 86.
رأس الجفير: 96.
رأس الجواجب: 110، 111.
رأس الحد: 102.
رأس حد البحرين= رأس البر
الرأس الخالي: 111.
رأس خصيفة: 102، 104، 107.
رأس الخيمة: 12، 65، 66.
رأس ركن: 16، 18، 65.
رأس رمان: 92، 96.
رأس زروان: 86، 103، 108.
رأس شقايب: 104.
رأس الصالح= جزيرة النبيه صالح
رأس مسندم: 25.
رحمة بن جابر: 30.
رحمة بن مطر: 28.
رصيف عراد البحري: 40، 41.
الرفاع: 32، 35، 50، 51، 52، 53، 77، 79، 80، 81، 97، 159.
الرفاع الشرقي: 81.
الركن الشمالي الشرقي: 91.
روبرت كوغان: 67.
روجرز (الملازم): 96.
رولنسون: 126، 127، 130، 131، 132، 172.
الرومان: 137، 187.
ريا (منطقة): 99، 100، 104، 109.
الرياض: 201.
ريتشارد وليام ديش: 16، 17، 18، 73، 109، 118.

## ز

الزارة: 198.
زاغروس: 175.
الزبير: 45.
الزرقاء: 200.
زعماء البحرين: 51.
زعماء الخليج: 13.
زعماء المشيخة الشمالية: 51.
الزلاق (قرية): 80.
الزنج: 94.
زيركسيس (الفارسي): 126، 160.
زيرو بانيت: 181.

## س

سابور (الملك): 46.
السابور: 198، 199، 200.

ساحل الجزيرة العربية: 10، 25.
ساحل سوريا: 126، 160.
ساحل الضفة المرجانية: 49.
الساحل العربي: 12، 16، 28، 57، 66، 86.
ساحل عمان: 199.
ساحل عُمان الشمالي: 11.
الساحل الغربي: 96.
الساحل الفارسي: 32، 86.
الساحل الفينيقي: 191.
ساحل القراصنة: 11، 57، 58.
ساحل الملبار: 174.
السادة (قبيلة): 93.
سادلير (النقيب): 69.
سار (قرية): 121، 159.
الساميون: 191.
سايك (سفينة): 13، 27، 66، 67.
السايه: 18، 81، 85، 99، 102، 103، 108.
سبخة الراوية (طريق): 99.
سترابو: 68، 121، 128، 131، 138، 139، 177، 190، 194، 195، 200.
سرجون الثاني: 185، 188.
سقطرى: 16، 55، 196.
سكترين (عملة أوروبية): 50.
السكيثيون (قبيلة): 137، 138، 140.
سلالة نيجارا: 191.
السلطة (قبيلة): 31.
سلطنة عمان: 43.
سلمان بن ناصر بن العزيز (الشيخ): 46.
سليمان: 187.
سليمان بن الحسن: 198.
سماهيج: 30، 34، 35، 39، 85، 99، 102، 128.
سميراميس: 76، 79، 86.
السنابس: 76، 79.
السنة: 31، 95.
السند: 36.
السهول (قبيلة): 31.
سواحل الخليج: 12.
سواحل القرن الأفريقي: 55.
سوريا: 193، 195، 201.
سوريباك: 173.
السوريون: 193.
سوسينس: 185.
سوق الخميس: 79.
السويس: 45.
السويفية: 85.
سي. جي. كونستبل (النقيب): 18، 89.
سيتزن: 126.
سيحة منى: 94.
سيراف: 175.
سيس: 184، 185.
سيف مرزوق الشملان: 60، 64.

## ش

شارع كينج: 89.
شارع مالربورو: 55.
الشارقة: 9، 15، 46.
شايع (الشيخ): 47.
شبه القارة الهندية: 10.
شحات الليبية (مدينة): 127.
الشرقيون: 179.
الشركة البحرية: 27.
شركة الهند الشرقية: 10، 12، 13، 27، 43، 65.
شريبة (قرية): 133، 163.
شط جزيرة البحرين: 96.
شط العرب: 47.
الشعوب الشرقية: 62.
الشعوب الهندو-أوروبية: 137.
شيث: 192.
شيراز: 53.
الشيعة: 31، 95، 135، 148، 164.
شيوخ البحرين: 53.

## ص

الصابئة: 31، 192.
صحيفة التايمز: 11، 193.
الصخير (منطقة): 77.
الصفا: 198.

صور: 191، 196.
الصين: 10.

## ض

ضريح آيا: 192.
ضريح الزبير بن العوام: 45.
ضريح عشتار: 183.
ضفة بردستان: 86.
ضفة بولثامة: 106.
الضفة الشرقية: 106.

## ط

الطرانة: 138، 165.
طليطلة: 66.
طوران: 191.
الطورانيون: 191، 201.
طيب (بلدة): 192، 193.

## ع

العالم العربي: 137.
عالي (قرية): 121، 135، 140، 164، 166.
عامر بن صعصعة: 50.
عبادان: 47.
عباس الأول (الشاه): 115.
عباس الشيراوي: 47.
عبد الله بن أحمد: 32، 50، 53، 81.
عبد الله بن رجب: 156.
عبد الله خليفة الشملان: 60.
عبد الله درياني: 28.
عبد الخالق الجنبي: 137.
عبدان: 177.
العبريون: 193.
العتوب: 14، 29، 91.
عدن: 174.
عراد: 30، 34، 35، 39، 40، 48، 53، 78، 101، 127، 196، 199.
العراق: 28، 45، 46، 50.
العرب: 19، 28، 31، 33، 46، 48، 49، 51، 53، 94، 95، 110، 119، 126، 131، 140، 148، 156، 158، 160، 201.
عرب العتوب: 52.
عرب الهولة: 28.
عربستان: 46.
عسقلان: 194.
عشتروت (الإلهة): 130.
عشيرة المحيسن: 46.
عفار (مدينة): 46.
العقير: 15، 49، 51، 80، 181، 197، 198، 199، 200.
عقيل حيادي أبو دايم الكعبي: 46.
علي أحمد هلال: 99، 100.
علي بن أبي طالب: 95.
علي بن خليفة (الشيخ): 79.
علي عبد الله فارس: 12.
عُمان: 177، 197.
عمر بن عبد العزيز الأموي: 79.
عيسان بن حمود: 50، 51.
عيسى بن علي (الشيخ): 99، 122.
عيلام: 185، 187.
عين أبو زيدان: 119، 158.
عين أم شعوم: 119.
عين رية: 85، 99.
عين الزمة: 93.
عين عذاري: 81.
عين قصاري: 81، 119، 158.

## غ

الغابة (مدينة): 198.
غابة الرصيف القاري: 39، 40.
الغانج (نهر): 137.
غاي (النقيب): 13، 27، 67.

غزالة (منطقة): 52.
الغزو البرتغالي: 95.
الغزو الفارسي: 95.

## ف

فارس: 28، 29، 36، 45، 52، 64، 117، 119، 124، 126، 177.
الفالوس: 130.
الفاو: 47.
الفرات: 119، 139، 158، 178، 179، 180، 185.
فراس بن عجيل: 50.
الفرس: 13، 14، 19، 28، 29، 31، 52، 95، 115، 126، 160، 195.
فرنسا: 10.
الفرنسيون: 138، 145.
فروكت: 194.
فشت الجارم: 104، 105، 108، 109.
فشت العظم: 104، 108، 109.
ڤلتشر (سفينة): 156.
الفلكيون اللاتينيون: 189.
فورستر: 119، 131، 138، 139، 165.
فوكلاند (زورق): 79.
فيرجيا: 195.
فيسينت: 172، 178.
فيشون (نهر): 139.
فينوس: 181، 182.
فينيشيان (عملة أوروبية): 50.
الفينيقيون: 19، 126، 127، 130، 160.

## ق

القادسية: 176.
القاهرة: 45.
قبائل عبد القيس: 198.
قبائل الملاحة العرب: 12.
قدموس: 131، 132.
القراصنة: 30، 66.
القرامطة: 79، 198، 200.
قرقيصيا: 193.
قرية Moanir: 47، 48.
قرين: 36، 48، 138، 165.
قشم: 178.
قصر الأخميديون: 177.
قصر ريموقاس: 181.
قصر ريموم: 19.
القصرة: 50.
قطر: 31، 52، 78، 196، 197، 199.
قطيسفون: 180.
القطيف: 28، 29، 30، 46، 49، 76، 77، 80، 109، 110، 111، 116، 138، 165، 187، 198، 199، 201.
قلاع البحرين: 32.
قلالي: 18، 34، 82، 85، 100، 102.
قلعة Yardi: 82.
قلعة أسير جور: 32.
قلعة البحرين: 78، 94.
قلعة البرتغال: 18، 30، 41، 52، 78، 83، 84، 94، 101، 103، 109، 110، 115، 118، 133.
قلعة الجبلة: 78.
قلعة الرفاع: 102، 103، 107.
قلعة الزلاق: 96.
قلعة سترة: 97.
قلعة الفرنجة: 78.
قلعة غاميس: 193.
قلعة المحرق: 82، 98.
القناصل الرومانيون: 179.
قناعات (جناعات) (قبيلة): 31.
القوات الفارسية: 29.
القواسم: 28، 30، 66.
قورش: 132.
القوط: 137.
قوم ألسار: 28، 29.
قيس: 175.
قيصر(قبيلة): 31.

## ك


كارولينا: 27.
كارون (نهر): 46.
كاظمة: 137.
الكالدوسيون: 139.
كاميس: 193.
كثبيرت: 118.
كدلستون: 11.
كرباباد (قرية): 78.
كربلاء: 137، 183.
الكشاشة: 102.
كصبة: 47.
كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معد بن عدنان: 46.
الكعبيون: 47.
الكلدانيون: 139، 140، 179.
كلكتا: 134.
الكلية الحربية: 43.
كليوباترا: 59.
كمبل (النقيب): 91.
الكنعانيون: 191.
كنكون: 29.
الكنيسة النسطورية: 196.
الكوفة: 50.
الكويت: 11، 31، 36، 39، 45، 60، 64، 93، 137، 138، 165.
كوينتوس كيورتيوس: 197.


## ل


لافت: 196.
لخ آمون: 181، 182، 183.
لنجة: 29.
لندن: 10، 26، 62.
لوريمر. جيه. جي: 31، 45، 46، 57، 78، 97.
الليبيون: 137.
الليديون: 137.
لينورمانت: 173، 184.


## م


مارك تواين: 145.
مازين: 194، 195.
ماسبيرو: 193.
ماغا: 199.
مالك (الإمام): 31.
ماهي (باخرة): 75، 76، 83، 110.
المتحف البريطاني: 201.
متسلمة (قبيلة): 31.
مجان: 175، 184، 185، 200.
مجلة الدراسات العربية: 43.
مجلس الأوقاف الجعفرية: 79.
مجلس العموم البريطاني: 11.
مجلس الملكة: 11.
المجوس: 198.
المحرق: 30، 32، 34، 35، 39، 53، 78، 93، 97، 101، 102، 104، 106، 107، 109، 116، 117، 128، 157.
محمد بن الجمير: 198.
محمد بن خليفة: 32، 81.
محمد بن الفضل العيوني (ابو سنان): 79.
محمد علي التاجر: 93، 94، 96، 99.
محمد محمود خليل: 28.
محمد النبهاني (الشيخ): 50.
المحمديون: 137.
المحمرة: 15، 46، 47.
المحيط الهندي: 55، 174، 179.
مداخن عالي: 136.
مدرسة أبو زيدان: 133.
مدرسة داود: 129.
مدفن إريثراس: 197.
مدفن الملك الأحمر: 189.
مدينة Dhelum: 187.
مدينة عيسى: 75.
مذخور (الشيخ): 47.
مذكرات في جزيرة سقطرى (جايمز ريموند ولستيد): 16، 43.

المذهب المالكي: 31.
مردوخ: 179، 181.
مركز أوال للدراسات والتوثيق: 25، 45، 57، 91، 94، 115.
مروادي: 83.
مروان: 116.
مساميغ: 196.
المستعمرون: 16.
مسجد الخميس: 79، 94، 108.
مسجد الراهب: 99.
مسعر بن المهلهل: 177.
مسقط: 11، 30، 32، 37، 43، 51، 53، 117.
المسيحيون: 46، 198.
المشقر: 198.
المشهد ذو المنارتين= مسجد الخميس
مصائد بو عمامة: 106.
مصائد بو لثامة: 106.
مصر: 45، 179، 182، 184، 191.
المصريون: 182.
مطرانية فارس: 196.
المعابد الفينيقية: 133، 196.
المعامر: 47.
المعامير (قرية): 80، 97.
معبد هرقل: 191.
معسكر بدو النصار: 48.
مقبرة جرّة: 137، 138، 165.
مقبرة الجرهاء الفينيقية: 19.
المقدسي: 200.
المكتبة البريطانية: 12.
ملكة بريطانيا: 75، 76، 86.
ملوخا: 175، 184، 185، 200.
المملكة المتحدة: 45.
المناصير (قبيلة): 48.
المناطق القطبية الشمالية: 80.
المنامة: 18، 31، 32، 35، 51، 52، 53، 68، 75، 77، 78، 79، 81، 85، 91، 94، 97، 101، 103، 117، 119، 133، 135، 157، 163.
المنتفق بن عامر بن عقيل: 50.
منصور بن خالد بن مهنا الجبري: 28.
المنطقة العربية: 14، 34.
المهاندة: 31.
موانئ القبارصة: 29.
موانئ القواسم: 45.
مورسبي (النقيب): 43.
المويلقة: 94.
ميثروباست: 195، 197.
ميشيل دي مونتاني: 145.
ميلو: 131.
ميناء الأحساء: 80، 199.
ميناء البحرين: 14، 39، 40، 41، 42، 75، 77، 81، 86، 101، 109، 118.
ميناء البرتغاليين: 78.
ميناء القرية:51.
ميناء القطيف: 58.
ميناء المنامة: 30.

## ن

نارامسين: 185، 186.
ناصر الترزي (أبو الفداء): 139.
نافيش: 139.
نبع أم السوالي: 93.
نبع بو ماهر: 98.
نبع الساجة: 81.
النبهاني: 79.
نپتون: 178، 179، 180.
نجد: 14، 31، 43، 45، 46، 47.
النجف: 183.
نصر (الشيخ): 45.
النعيم (قرية): 78، 103.
نهر جيحون: 193.
نهر الخابور: 193.
نهر طيب: 177.
نهر كارون: 194.
نهر الكرخة: 193.
نيارخوس: 66، 138، 178، 194.
نيبو: 182، 189، 190، 191، 192.
نيبور: 66، 138، 165.
نيدوكي: 175، 182، 183، 185، 186، 187، 190، 195.

النيل: 185.
نينوى: 193.
نينيب: 182.

## هـ

هاڤيلا: 139.
هانوفر: 45.
هجر: 137، 139، 196، 197، 198، 199، 200.
الهرامزة: 95.
هرقل: 182.
هرمز: 28، 175.
هضبة المحرق: 99.
الهند: 9، 10، 11، 14، 26، 32، 36، 52، 53، 64، 76، 83، 93، 122، 174، 180، 196، 199، 201.
الهند البريطانية: 11.
الهندوس: 64، 137.
هنديجان (قرية): 177.
هنري رولنسون: 19.
هنري كولبيرن: 55.
الهنود: 53، 148، 179.
هود بن جامين: 28.
الهولة: 31.
هيرابوليس: 193.
هيرودوت: 126، 127، 130، 131، 146، 160، 190، 191.
هيرين: 126، 172.
هينجام: 178.
هينز (النقيب): 15، 27، 43.
هيوتون (الملازم): 27.

## و

الواحات الداخلية: 49.
وادي السلام: 183.
الوثائق البريطانية: 29، 39، 45، 57، 91، 115.
وركاء: 183.
وسام السبع: 92، 93، 94، 96، 99.
ولاية ماين: 27.
وليام الرابع: 45.
وليام جرانت كير (السير): 11.
وليام هنري وايبورد: 14، 15، 43.
الوهابيون: 15، 53، 92.
ويلسون (الرائد): 58، 59.

## ي

ياقوت الحموي: 177، 180، 198، 199.
يانوس: 193.
اليمن: 55، 83.
اليهود: 46، 176، 198.
يوسبيوس: 131.
يوسفيوس: 132.
يولايوس: 193.
اليونان: 126، 131.
اليونانيون: 131، 138، 145، 178، 184، 190، 192، 194، 195، 201.